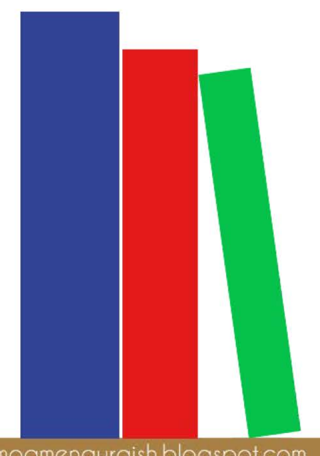




مكتبة
مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه.

الإمام الصادق (ع)

العلّامة

صداقة وسيرة و23 سنة

العلاّمة

السيّد محمّد حسين فضل الله

صداقة وسيرة و23 سنة

1986 - 2009

سركيس نعّوم



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
1435 هـ - 2014 م

ردمك 978-614-01-1193-6

تــوزيــع



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (1-961+)
الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (1-961+)

مُقدّمة

مصطفى ناصر كان بالنسبة إليّ صديقاً ولا يزال. تعرّفت إليه صحافياً يراسل جريدة سعودية ثم ناشراً لـ «وكالة الأنباء الدولية» المحلية. وعرفت منه قيامه بمحاولات جدّية لدخول عالم التجارة أو «البزنس»، كما تسمى اليوم، رغبة منه في تحسين أوضاعه المادية. فأخذ وكالة توزيع للتنباك العجمي في لبنان. لكنّ مواجهات النافذين له أحبطت وبنجاح محاولاته، فتوجّه نحو تقديم الاستشارات في الموضوعات التي هو فيها خبير، ومّا أكثرها، وحوّلته هذه وسيطاً ماهراً وموثوقاً به «طنطنت» وسائل الإعلام بأخباره يوم نَجَحَ، جرّاء صداقته مع الرئيس الشهيد رفيق الحريري وقيادة «حزب الله» وعدد من النافذين داخل الجهة الإقليمية الراعية له، في عقد جلسات حوار بين الأوّل والأمين العام للثاني السيّد حسن نصر الله، اتفق فيها الاثنان، على ما يقول، على أمور كثيرة كان أهمها العمل معاً لاستقرار لبنان، كلٌّ من موقعه وموقفه وإن متناقضين، وتأكيد الحريري أنه لن يقاتل «الحزب» أو يطعنه، وأنه سيترك الحكم والبلاد في حال واجَهَ خياراً من هذا النوع.

مصطفى ناصر هذا كان صديقاً صدوقاً للعلاّمة السيّد محمد حسين فضل الله. وبصفته هذه، سألَني في إحدى السنوات الثمانينية من القرن الماضي إذا كنت أرغب في مقابلته. وفهمت منه أنّ «المرجع الأبرز»، كما صار لقبه في لقاءاتي معه التي نشرْتُها على مدى سنوات طويلة في جريدة «النهار» وفي زاوية «الموقف هذا النهار»، يعترف بأهمية الإعلام وبضرورته، وأنه يتابعه في استمرار، وأن شيئاً في مقالاتي لَفَتَه. كان جوابي الترحيب طبعاً. ذهبنا إليه معاً، وتحدثنا بقلب مفتوح وصراحة وصدق في آن، في موضوعات الساعة الاستراتيجية والسياسية. كان عارفاً أنني سأنشر الحوار. لكنّنا لم نتحدث عن ذلك. ولاحظ، في أثناء الجلسة، أنني لا أستعمل القلم لكتابة فكرة أو ملاحظة ولا آلة تسجيل، وهذه كانت عادة دارجة للصحافيين في تلك الأيام، لكنّه أيضاً لم يعلّق. كان شريكاً في الجلسة مستشارُه الإعلاميّ الحاج هاني عبد الله الذي لازَمَه في هذا الموقع حتى انتقاله إلى

دنيا الحق، ثم انتقل بعد ذلك إلى ملازمة نجله السيّد علي فضل الله وأشقائه وكل المسؤولين عن الصرح الديني والفقهي والتعليمي والاجتماعي الذي شيّده بعرق الجبين، وبـ «الخمس» وبتبرعات المؤمنين بفقهه وفتاواه والمقلدين له عندما أعلن مرجعيته استجابة لمطالبة الناس.

عدت إلى مكتبي في «النهار». استذكرت الحوار الواسع والعميق، ودوَّنت عناصره الأساسية. وفي اليوم التالي، كتبت أوّل حلقة من أوّل سلسلة حوارية أجريتها معه، ونشرتها بعد 24 ساعة، وقد تضمّنت على ما أعتقد سبعة مقالات. بعد انتهاء النشر، اتصل بي هاتفياً، في مساء يوم عاصف على فندق «كافالييه» في شارع الحمراء البيروتي حيث كنا «نقيم»، وهنّأني بحرارة على دِقّتي وعلى قوة ذاكرتي وعلى أسلوبي، وسألني مازحاً إن كنت أحمل «مسجّلة» في جيبي. اتفقنا على استمرار اللقاءات. وبدأت صداقة بل أخوّة بيننا استمرت حتى وفاته، سادَتْها صراحة تامّة وابتعاد عن «الخيخنة» ونقل الأخبار وكتابة التقارير إلى هذه الجهة أو تلك، سياسية كانت أو مخابراتية، ومحلية كانت أو عربية أو إقليمية أو دولية.

استمر مصطفى ناصر الصديق رفيقاً لي في لقاءاتي مع السيّد فضل الله وبطلب منّي بل إلحاح. وهذا طبعٌ متأصِّلٌ فيّ قد يكون نوعاً من الوفاء للشخص الذي أدّى لي خدمة جليلة بتعريفي إلى قامة كبيرة بل إلى رمز وكنزٍ إسلاميّ ووطنيّ ولبنانيّ وعربيّ. لكن، مع الوقت، وَهَنَت العلاقة القوية بينه وبين «السيّد». فخفَّت مرافقته لي إلى منزله في حارة حريك، ثم انقطعت. طبعاً، أعرف الأسباب وربما يعرفها كثيرون غيري، لكنّني لن أخوض فيها. تناولت اللقاءات الكثيرة و«سلاسل» «الموقف هذا النهار» عنها لبنان السياسيّ والطائفيّ والمذهبيّ والدينيّ والاجتماعيّ والعربيّ، وتناولت سوريا التي كانت في لبنان عسكرياً وسياسيّاً، وتناولت قضية فلسطين والاغتصاب الصهيوني لها، والأوضاع في العالم العربي. وركَّزت على الجمهورية الإسلاميّة الإيرانية ونظامها في الداخل وطموحاتها في الخارج، وعلى «حزب الله» والطائفة الشيعية، وعلى أميركا وتطور سياساتها في المنطقة.

وبدا لي في كل موضوع سألته عنه ثم ناقشناه، أنه ملمٌّ به وعارف بتفاصيله ومتابع له. ثم تأكّد لي امتلاكه قدرة هائلة على الحصول على المعلومات وتحليلها في صورة موضوعية، وعلى الاستشراف الناجح للمستقبل معظم الأحيان.

استمرت علاقتي به رغم بدء الحركيّين الإسلاميّين الشيعة الذين أسّس هو «تيّارهم» في لبنان بل في العالم الشيعي، وساهم بذلك في بروز حركيّة وإن

مختلفة في العالم السنّي، بالانفضاض عنه قسراً إذا جاز التعبير، جرّاء ارتباطات حزبية أو تنظيمية أو إقليمية، ولا سيما بعدما أعلن «مرجعيته» التي تحفّظت عليها قبل إعلانها الجمهورية الإسلاميّة الإيرانية، والتي نالها من النقد والهجوم القاسي بعد إعلانها ما لا يتحمَّله بشر. لكنّه صمد لاقتناعه بأنّه لا يخالف «الأصول»، وبأنّه على صواب، وبأنّ الذين يحاربونه في لبنان وخارجه ومعهم تلاميذه يفعلون ذلك لا لضعف ثقتهم به وإيمانهم بمقدرته الفقهية والعلمية واستحقاقه للمرجعية، بل لأنّ المرحلة السياسية تفرض عليهم ذلك. وبرهن بذلك عن إرادة صلبة، وعن عزمٍ لا يلين، وعن إيمان لا يُقهر بالله تعالى أوّلاً ثم بنفسه فبمريديه ومقلّديه. طبعاً نالني جزء لا بأس به من النقد في الحملات التي استهدفته. فقيل إنني وسيط بينه وبين الأجهزة الاستخبارية الأميركية بما أنني «عميل» لها. وقيل أيضا إنني أقبض منه راتباً شهرياً. والإنصاف يقتضي منّي التأكيد أنه كان يضحك من تهمة العمالة للأميركيين ويسخر، والتأكيد أيضاً أنّه لم يفتح معي سيرة المال يوماً، ولا شراء الذمة والإرادة والمقالات كان في طبعه. مرة واحدة، عندما كانت إحدى حكومات ما بعد اتفاق الطائف تُشَرْعِن وسائل إعلامية «شغّالة» في صورة غير شرعية بحكم الأمر الواقع، اقترح عليّ أن أكون عضو مجلس إدارة في «إذاعة البشائر» التي كان يشرف عليها. لكنني رفضت بتهذيب فائق وبشكر له على ثقته بي، وكان السبب أنني لست مهيّأ لهذا النوع من العمل في كل الوسائل الإعلامية. قد يكون الضعف الذي أصاب علاقتي مع أصحاب الحملات ناجماً عن وفائي للسيد فضل الله، وعن تمسكي بصداقته، وعن استمراري في التردد عليه، وعن «فتح» منبرٍ له في «النهار». على الأقل هذا ما سمعته مواربة من البعض. لكن، صراحةً، لم يُبلغ أحد ذلك إليّ. لم يكن في إمكاني إلا مبادلة الثقة بالثقة والوفاء بالوفاء. كنت أعرف أنّ الحاملين يعرفون في قرارة أنفسهم أن مَن كان صديقاً لهم بصداقته، ومن دون انتماء لهم أو لغيرهم، سيبقى كذلك.

كنا أحياناً، السيّد فضل الله وأنا، نختلف في أثناء الحوار والمناقشة. لكن الحوار كان كفيلاً بتوضيح الأفكار. مرة واحدة تباينت المواقف حول «الزواج المدني»، كان ذلك يوم أثير في الإعلام والمحافل السياسية ثم في مجلس الوزراء الذي كان الرئيس رفيق الحريري رئيسه في ولاية الرئيس الراحل إلياس الهراوي. إذ قال السيّد أو نَسبَت إليه وسائل الإعلام أنّ أولاد المتزوجين مدنياً هم أولاد زنى. فسمحت لنفسي أنا المتزوج مدنياً بأن أكتب «موقفاً» مدروساً كان

عنوانه كافياً للفته إلى شعوري بالإساءة، وهو: «أبناء المدني ليسوا أولاد زنى». اتصل بي والتقينا. أوضح وجهة نظره واقتنعت بأنه لم يسئ إلى أحد ولا يحب ذلك ولم يُرِدْه.

ماذا عن كتاب «العلاّمة» الذي أكتب مقدّمته هذه؟

في أواخر تسعينات القرن الماضي وأوائل القرن الجاري، خطرَتْ لي فكرة كتابة سيرة السيّد فضل الله الغنية جدًا بالأحداث والمفاصل تُظهِر التطورات في تقويمه للأحداث وفي موقفه منها، ولكن من دون أن تتسبب بتغيير في استراتيجيته. فاقترحتها عليه في حضور مستشاره الإعلامي الحاج هاني. ولم أطلب جواباً سريعاً. بل قلت إنها فكرة للنقاش. عام 2001، نضجت الفكرة وبدأنا تنفيذها في 9 تموز من السنة نفسها وانتهينا في 9 تشرين الثاني. عقدنا جلسات حوارية مطوّلة سألته فيها عن كل شيء بدءاً بنشأته، ومروراً بنشاطه في لبنان وبعلاقته مع الثورة الإسلاميّة في إيران وقادتها وشخصياتها، وانتهاء بالمرجعية التي أعلنها فأقامت الدنيا عليه ولم تقعدها. وشارك الحاج هاني عبد الله والسيّد علي رفعت مهدي في تسجيل الحوارات ثمّ في تفريغها من الأشرطة على الورق.

قرأتها ودقّقت فيها، فوجدت أنّ الناس يعتبرون، وعن حق، أنّ السيّد فضل الله عايش أحداثاً، وشارك في صنع أحداث، وعانى أزمات، وحقَّق أموراً كثيرة مهمة، وواجه مواقف صعبة انطلاقا من لبنان الذي كان، أيام الحرب خصوصاً، ساحة تتصارع فيها دول المنطقة كلها والعالم ولكن بالواسطة (ومنها إسرائيل طبعاً). وسيعتبرون أنّ ما قاله أو أوحى به في «السيرة» أقل بكثير من ذلك. فأبلغت ذلك إلى مستشاره الإعلامي الصديق هاني عبد الله. وافقني على ذلك. وبدا لي منه أنه أثار ولوحده هذا الأمر مع سماحته، لكنّه تمسّك بعدم الاستفاضة لأنّ «المصلحة العامة» لا تسمح بالمزيد.

بعد أسابيع أو أشهر وفي جلسة حوارية معه، قلتُ له: «سماحة السيّد، أنت كبير جداً فعلا وفي رأي الناس. وما سيتضمنه الكتاب هو أقل من حجمك ودورك بكثير»، فذكر حُججه واستمر في تمسّكه برفض الاستفاضة مع تقديمه اقتراحات تحسينية، علماً أن تنفيذها لم يكن سهلاً. لذلك قلت له بعد أسابيع: «مولانا، قلتُ لك سابقاً أنت كبيرٌ جداً. أكرِّر ذلك الآن، وأضيف إليه: «أنت أكبر مني حجماً وتجربة وسنّاً ومعرفة وخصوصاً بالتجربة والعمر والمعرفة. فإذا كنت أرى أن «السيرة»

في حجمها ومضمونها الحاليين لا تليق بك، فإنني أرى في الوقت نفسه أن عليّ التريث في نشرها». ابتسم. لم يعترض، ونامت في الأدراج. والحقيقة التي لم أقلها يومها للسيّد أنني رغبت في الاتصال بالجهات الإقليميّة التي تعرف عنه ومنه الكثير، وفي مقدّمها الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانية وسوريا حافظ الأسد.

لكنّني لم أنفّذ رغبتي لمعرفتي أنّ الملفّات فيها، كما في كلّ الدول، لا تُفتح إلاّ لكاتب سيرة «مُتعامِل» أو «مُتعاوِن». ولم أكن كذلك مع أحد.

لكن، في السنة الثانية لوفاته افتقدته كثيراً، ففتحت «الجارور»، وقرأت مخطوطة «تيّار في سيرة» (سيرته)، ورأيت أنه من الضروري نشرها بعنوان «**العلاّمة**» إنصافاً له، وإفساحاً في المجال أمام الأجيال الجديدة كي تتعرف إليه شخصاً وفكراً وأخلاقاً وفقهاً وعلماً ومعرفة، وخصوصاً في ظرف مصيري وصعب جداً يعيشه لبنان ومعه العالَمان العربي والإسلامي والشرق الأوسط برمته، وكي تُجرى المقارنات الضرورية، وكي تدفع قادتها ومن كل الطوائف في الاتجاهات التي تمنع الانزلاق السريع للبنان نحو الكارثة النهائية.

فاتصلت بالحاج هاني عبد الله، وزرت نجل «السيّد» السيّد علي فضل الله، وطرحت عليه الفكرة مضيفاً إليها اقتراحاً بنشر حواراتي «النهارية» معه كلها أو معظمها في كتاب مرفق أو أكثر، فرحَّب. باشرت العمل، لكنني فضّلت أن استغني عن إعادة صوغ الحوارات «الصحافية» الطابع لكتابة سيرة السيّد وأن أنشرها بصيغتها الأصلية، فتبقى الحيوية فيها ويتلقى القارئ فكره صافياً ومن دون أي تدخّل.

أتمنى أن يحظى «**العلاّمة**» برضاكم وأُصلّي كي يمنّ الله، عزّ وجلّ، على اللبنانيين مسلمين سنّة وشيعة ودروزاً ومسيحيين وعلى العرب والمسلمين كلهم، برجال دين من وزنه وقماشته وعقله وفكره وحكمته ومعرفته وصدقه وإخلاصه وقدرته على التطور الطبيعي وليس على «التكويع»، إذ بهؤلاء وحدهم يمكن حماية الأديان من الذي يلحق بها على مدى العصور والأزمان.

سركيس نعوم

الجلسة الأولى

۞ النشأة، وذكريات الطفولة، ماذا عنها مولانا؟

وُلِدتُ في النّجف الأشرف العراق، لأن والدي، رحمه الله، مكثَ في النّجف مُدّة تقارب الثلاثين عاماً للدراسة والتدريس. وُلدت في بيتِ بائسٍ فقير. فأوضاع الوالـد الماديّـة كانت صـعبة جداً، إذ كان يمتلك نفسـاً أبيّة أُثقلـتْ ظروفه وكان لا يتنازل للجهات النافذة في الوسط الديني التي كانت مساعداتها تفرضُ على الإنسان أحياناً بعض التنازلات من كرامته أو من مواقفه. ولذلك كان مثقلاً بالديون.

نشـأتُ في هذا المناخ البائس، حتّى كُنّا عند الإصـابة بالمرض (أنا وإخوتي) نُؤخَـذُ إلـى طبيب هو أقـرب إلى الطبيب العربي أو الهنـدي التقليدي، إذ كان من الصـعب ماديّـاً أن نؤخذَ إلى مستشـفى. وربما كان مستشـفى النّجـف أقرب إلى المستوصـف جراء الإهمال الذي كانت النجـف تواجهه آنذاك. كُنّا نتداوى بالطبّ العربي، حتى إنني أذكر إصابتي بالحصبة في طفولتي الأولى إذ بقيتُ أشهراً حتى شُـفيت، بسـبب طبيعة المعالجة التي كانت بسـيطة وغير حديثة. أما في أيِّ عمرٍ حصل ذلك فلا أذكُرُ.

ولدتُ في 19 شـعبان 1354هجرّية وميلاديّاً سنة 1935. وفي السنّ التي يتعلّمُ فيها الإنسان القراءَة والكتابة،أرسلتُ إلى أحد الكتاتيب الكائن في إحدى الغرف من الطبقة العلويّة لمقام الإمام علي (ع) في النّجف الأشـرف. وكانت طريقة الدراسـة قائمة على أن يُعلّمَ أحد التلاميذ المتقدّمين التلميذ الآخر، وكُنّا نشـعرُ بأنّ المشـرف على هذا الكتّاب يُميّز بعض أبناء الوجهاء الكبار في الحوزة العلميّة. ورغم أننا كنّا في طفولتنا الأولى وربما في سنّ الخامسة، فإننا كنا نلاحظ ذلك ونرقبه ونغارُ منه ونتألّم.

ثُمّ نقلتُ إلى كتّاب ثانٍ قريب من بيتنا، وكان المشرفُ عليه شيخاً كبير السنّ

أعْرَج. أذكرُ أنّهُ كان شديداً على الطُلاّب، وقد تعلّمتُ القراءَة والكتابة في شكل تقليدي حيثُ كُنّا نأخذ الألواح ونكتب بالطبشور عليها.

وبعد أن فَتحت جمعية منتدى النشر مدرسة دينية عصرية من قبل، أدخلتُ فيها في الصف الثالث فنجحتُ وانتقلت إلى الصف الرابع. لكنني لا أعرفُ لماذا أخرجتُ من المدرسة في الصفّ الرابع رغم نجاحي وتفوّقي. لعلّ الإمكانات الماديّة لم تكن تسمحُ بذلك. ثُمّ بدأتُ الدراسة الدينية مبكراً.

۞ مولانا، كيف تصف لنا البيت العائلي؟

– أنا لا أتذكّرُ البيتَ الذي ولدتُ فيه، بل البيت الذي عشتُ فيه طفولتي. كان يتمّيز بأنّهُ في دهليز مظلم، ومؤلفٌ من ثلاث غرف مع مطبخ بائس، وكان في صحنِ الدار حوضٌ للماء الذي كان مالحاً إذ أن البئر التي كُنّا نشرب منْها كانَت مالحةً. وهو الحوض الذي كُنّا نغتسِلُ فيه ونغسِلُ حاجياتنا، لأنه لم يكن في النجف «إسالة» ولا في تلك المحلّة أو بيوتها. وقد كان للبيت سرداب ككُلّ بيوت النجف ينزِلُ الناس إليه في أيام الصيف للتبرّدِ نهاراً. أذكرُ أنّهُ كانت هناك نوافذُ تُطِلُّ على البئر رغبةً في الهواء البارد الآتي من خلال الآبار التي كانت مفتوحة بعضها على بعض في النجف. وأمّا ليلاً فقد كُنّا ننام على السطوح لشدّة الحرّ، وبالنسبة إلى لباسنا، فقد كان «الدشداشة» لأنّهُ اللباس التقليدي. كُنّا نستضيء بالفوانيس لأن الكهرباء لم تكن موجودة عندنا، وربما كانت الكهرباء موجودة خارج الأماكن التي كُنّا فيها، هذه المسألة لا أتذكّرها تماماً.

في تلك المرحلة، كانت الشوارع والأزقّة هي ملاعب لهونا. كُنّا نلعب مع الصبيان في شكلٍ وفي آخر. أمّا النزهات فقد كان الوالدُ وبعض الأصدقاء يخرجوننا إلى منطقة «الجدوَل»، وهي منطقةٌ تقعُ في وادي النجف، وهي مدينة مبنيةٌ على مرتفع. شكّلت منطقة «الجدول» فرعاً من نهر الفرات، ولهذا كانت البساتين منتشرة فيها. كان خروجنا أيام العطل الدراسية الحوزويّة أي كل خميس وجمعة. كُنّا نلعبُ في البساتين، باعتبار أن الطريق كان بعيداً، ولهذا كانت الرحلة إليه مُتعبة. أما وقتُ النزهة والخروج فقد كانا مرّة كل شهر أو شهرين. أحيانا كُنّا نخرجُ إلى الكوفة التي تتميّز بنهر الفرات الكبير. والمسافة بينها وبين النجف تبلغ 10 كلم أو أكثر. أما وسيلة النقل فكانت العربة التي تجرّها البغال على سكة حديد محدّدة المعالم.

أذكُرُ أنني كنتُ ذات يوم مع الوالد وبعض أصدقائه في مكان من الطين الخفيف الذي كان يُخَيَّلُ إلى الطفل أنّ في إمكانه أن يسيرَ على هذا الطين. ففي غفلةٍ عن والدي وصحبِهِ، درجتُ إلى نصفِهِ تقريباً حيثُ كِدْتُ أن أغرقَ لولا مجيءُ أبي وصاحبه فأخرجاني بجهد لأنهما كانا لا يستطيعان الاقتراب كثيراً بسبب عمقِهِ. هذه إحدى الذكريات في تاريخ حياتي. في ذلك الوقت، كنتُ أشعر بشيء في نفسي يُشبِهُ قَلَقَ المعرفة. إذ انفتحْتُ على واقع البيئة مبكراً، وكنتُ أخرج أيام مواسم عاشوراء إلى الصحن العلوي الشريف، وأرى مواكِبَ العزاء والذين يضربون رؤوسهم بالسيوف، وحَمَلَةَ المشاعل الطويلة والمشتملة على عدة شموع. كان حامل المشعل يقف ويحاول القيام بحركات بهلوانية في المناسبة، وكنتُ أشعرُ بالتقزُّز من منظر الدِّماء.

۞ تقزُّزٌ أم خوفٌ، مولانا؟

– لم يكن خوفاً لأن الاعتياد على مثل هذا الأمر أبعد عني الخوف. والتقزُّز كان لاشعوريّاً. وهكذا كُنّا نحضُر المواسم. ولعلّ الإنسان، في تلك المرحلة، يبدأ باختزان المسألة الشعرية، لأن هذه المواكب تهزجُ أهازيج شعبية في أثناء مسيرها، وعند التوقف والجلوس يصعدُ الرادود الحسينيّ مثلاً فيطلق للجلوس لازمة يُردِّدونها، ويقرأ عليهم بعدها شعره الشعبي ليختمه باللازمة ويتابع. لذلك كان الإنسان، منذُ ذلك الوقت وحتّى في ترداده للشعر الشعبي، يختزِنُ الجانب الشعري لاشعوريّاً، بالإضافة إلى مجالس العزاء طبعاً.

۞ اللّعب والاختلاط، مولانا، ماذا عنهما؟ وهل كان اللعبُ ممنوعاً في العمر الصغير مع الفتيات أم مسموحاً به؟

– لقد كان اللّعِبُ في ذلك الوقت وهذه السنّ الطفوليّة، مشتركاً بين الفتيان والفتيات. لكن، من الطبيعي عند بلوغ الفتاة سنّ التاسعة أي سنّ التكليف الشرعي أن لا يُسمحُ بالاختلاط.

۞ ماذا عن علاقتك مع الوالد وعن المسؤولية الملقاة على البكر؟

– كانت علاقتي مع الوالد علاقة لا أزالُ دائماً أشعرُ بإنسانيتها. لم أذكر أنّهُ ضربني في كُلّ تاريخ حياتي منذُ الطفولة الأولى. كانت طريقتُهُ في تأديبي إذا قمتُ بما لا يُرضيه أن يُحدّق بي تحديقاً أشعرُ فيه بالغضب فيُثقِلُني ذلك وأتراجع. لكنّ والدتي، ولشدّة خوفها عليّ، كانت تضربني وأحياناً ضرباً مبرحاً. هكذا كانت

طفولتي وطفولة إخوتي ونحنُ خمسة ذكور وخمسُ إناث عدا الذين ماتوا مبكّرين. أنا أكبرهم ومن الطبيعي أن والديَّ كانا يهتمّان بي لأنني الولد الأكبر الذي يُعدّ ليبدأ في خط الدراسة أو التربية أو المسؤولية.

كنت في طفولتي لا أخلو من المشاغبة، لكنّ الأمر لم يصل معي إلى درجة «العفرتة» (مبتسماً).

۞ ماذا كانت أسباب ضرب الوالدة لكم؟

- كانت والدتي تخافُ عليّ، لأنّ النجف، كأيّ بلد من بلدان المنطقة العربية، فيه شيءٌ من الشذوذ، ولذلك يُخشى على الولد الذي يمتلك صورة جميلة وتربية حسنة وما إلى ذلك. قد تكون هذه هي المسألة التي كانت والدتي، رحمها الله، تنطلقِ من خلالها.

۞ الطفولة الطبيعيّة والإحساس بها ماذا عنهما؟

- لا أظن أنني عشتُ طفولة طبيعيّة لأنّ البيئة التي كنتُ أعيشُ فيها كانت مغلقة إلى حدٍّ ما. وأنا لا أنسى أنني كنتُ أسمعُ أكثر من كلمة، مثل أن على الطفل أن يجلس عاقلاً مهذّباً لا يتكلم. ولا أزالُ أذكرُ كلمةً لا أفهمها حتّى الآن، وهي أن يجلس الطفلُ هادئاً كالملائكة المصبَّرة، فحتى الآن لا أفهمُ كلمة المصبَّرة.

۞ حدّثنا عن البيئة المغلقة والخيال الشبابي.

- كثيراً ما أحِبُّ أن استذكرُ تلك الفترة. لا أدري لماذا كان أفقي واسعاً. منذ طفولتي الأولى، كنتُ أفكِّرُ بأفقٍ أكبر وأوسع من أفق عيشي، ولا أدري منشأ هذا. علماً أن البيئة التي تربّيتُ فيها لم تكن حديثة - وكذلك جوّ المدرسة. والمدرسة التي قضيتُ فيها السنة الأخيرة لم تكن كذلك.

۞ هل يمكن أن يكون البؤس مثلاً سبب أُفقكم الواسع؟

- من الممكن جداً، فلقد انفتحتُ على القراءات الحديثة مبكّراً.

۞ في تلك الفترة، هل كنتَ حالماً أم طموحاً؟

- الواقع أنني كنتُ حائراً، لا أعرفُ إلى أين أتجه. وفي قصيدةٍ مبكِّرة لي عمرها أكثر من خمسين سنة، قلت:

«ما أنا ما الحياةُ ما الروحُ عندي   غيرُ سِرٍّ يبدو لَديَّ خفيًّا

أنـا فـي حـيـرة أُفـكِّـرُ فـي ذاتـي كـأنـي أتـيَـتُ أمـراً فـريَّـا»

القصيدة تُعبِّرُ عن ذلك وتصوّر أيضاً جوّ البيئة، لا سيما أنها مناجاة لله تعالى:

«أنـا مـا لـي وللمحيـط فكـم يجنـي على فكرتـي ويقسـو عليَّـا
جِئتُـهُ والحيـاةُ تبسِمُ نحـوي والأمانـي تمـوجُ بيـن يديَّـا
وشـعاعُ الآمـال يبعـثُ فـي رو حـي شـعاعاً مـن المنـى عبقريَّـا
وشـراعُ الأحـلام يخفُـقُ فـي قلبـي فيوحـي لـي الخيـالَ السـنيَّا
أتهـادى مـا بيـن أحلامـي البيضِ وأشـدو مـع الدُّجـى والثُّريَّـا
فـإذا بـي أرى الحيـاة ظلامـاً وصـباحَ الأحـلام ليـلاً دجيَّـا
والأمانـي تمـوتُ فـي قبضـةِ الحـز نِ.. وتـذوي علـى لظـى شـفتيَّا
وأرانـي أعيشُـ فـي سـجنِهِ الـذّا جـي.. وحيـداً بيـنَ الأنـامِ شـقيَّا»

۞ في سنّ السابعة، وصلت إلى المصير المحتـوم أم أعددت الإعداد لشيءٍ آخر؟ أو خيار بديل؟

– لـم أكنْ واعياً للخيارِ الآخرِ آنـذاك، بل كان هذا الخيار هو الذي، ربما، يعيش الإنسانُ أحلامَهُ فيه.

۞ الكِبر ومعايشة الواقع ومعرفة الخيارات. هل هناك شعورٌ بالظُّلم في هذا الموضوع؟ وهل كان في الإمكان ترجمة مشاعركـم وأحلامكم في طريقة مختلفة؟

– ربما كانت تخطُرُ في بالي خواطِر كهذه. عندما أجدُ أنّ الأفق الذي أعيشُ فيـه لا يخلو من ضـيقٍ، بينمـا الآفاق الأخرى آفاقٌ منفتِحة وواسـعة. وربما كان تصـوُّري أنني قادرٌ على دخول الحياة من الباب الواسـع، لكنني أتذكّرُ الآن أنني كنـتُ متعلقاً بالإسـلام في وقتٍ مبكر، ولا أزال متعلقـاً به. لا أدري لماذا، إذ لم تكن في بيئتنا حركة إسلامية في الطريقة التي نعرِفُ فيها الحركات الإسلاميّة. كان المجتمعُ تقليدياً جداً، والتقاليد والأساليب القديمة كانت هي المسيطرة على المجتمع. لا أدري ما الذي كان يدفعني إلى الذهاب إلى إحدى المكتبات التي تبيعُ الصـحف المصـريّة لاشتري صحيفة «المصوّر» و«الرسالة». وحتى عندما بلغت سنّ الثانية عشرة أو الثالثة عشرة كنتُ أقرأ مجلات أكبر من سنّي كالـ «كاتب المصري» لطه حسـين، و«الكتاب» لعادل الغضـبان، ومجلة الثقافة. وفـي ذلك الوقت، انفتحت

على أحمد شوقي وحافظ إبراهيم وغيرهما. كنتُ أقرأ بالاستعارة أحياناً، وقرأتُ ترجمات كثيرة مثل ترجمة لامارتين لأحمد حسن الزيات وترجمة أناتول فرانس.

۞ هل كان تداول كتب محافظة وروايات عاطفيّة مسموحاً به في تلك الفترة؟

- نعم كان، ذلك. لكن أذكُرُ أنني كنتُ أقرأ المنفلوطي. قرأتُ «مجدولين» و«النظرات» و«الفضيلة» و«العبرات» وكنّا نبكي في طفولتنا عندما نصِلُ إلى المأساة في هذه الأقاصيص. كُنّا نقرأ أيضاً الروايات البوليسية فأدمنّا شخصية «أرسين لوبين» في وقت معيّن.

۞ سنّ السابعة وتغيير المدرسة، ماذا عنهما؟

- عندما دخلت «منتدى النشر» قُبلت في الصف الرابع، وبدأتُ في تلك الفترة أتجهُ إلى الدراسة الدينية، فقرأتُ «الأجروميّة» وهي أوّلُ كتاب في النحو. يتم ذلك عادة في الحوزة حيث يدرسُ الطالبُ عند أستاذ معيّن. أما أنا فأذكرُ في ذلك الوقت أنني كنتُ أدرسُ على الوالد.

۞ يعني، ضيق ذات اليد لم تكن له علاقة بتوجّهِكَ الإسلامي، ولكنّه أخرجكَ من المدرسة.

- نعم، ثُمّ درست قطر الندى وكتب الصرف، وأذكرُ أنني لبست العمامة في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة. وقد كان متعارفاً أن يلبسَ الإنسان العمامة مبكراً، كما كان الأطفال في سن الطفولة يلبسون العمامة كطلبة حتى في هذه السنّ. وأذكرُ أن المرحوم عمّي السيّد محمد سعيد فضل الله، وهو من العلماء الكبار، كان قد سبق والدي إلى النجف وتوفي هناك. وقد جاء بالتكاليف التي تمّ شراء ملابسي الدينية من خلالها من أحد العلماء الكبار الذي كان يُرافقه.

۞ هل كان لديك إحساس أو شُعور بلباس يفوقُ عمرك؟

- لم أشعر بذلك، لأن البيئة كانت قائمة على ذلك. وهذا اللباس في تلك المرحلة كان مألوفاً. فكثيرٌ من الأطفال في هذه السنّ كانوا يلبسون هذا الزيّ. ربما كنتُ أعيشُ الزهو في ذلك، تماماً كما يشعرُ الشابُّ أو الفتى بأنّهُ صار رجلاً.

۞ أين دُفن والدك ووالدتك، رحمهما الله؟

- توفي والدي هنا في لبنان ونُقِلَ جثمانه كي يُدفن في النجف حسب وصّيتِهِ.

أما الوالدة فمدفونة عند السيّدة زينب (ع) في الشام.

۞ متى رجع الوالد من النجف إلى لبنان؟

- سنة 1955، وأذكُرُ أنني جئتُ إلى لبنان سنة 1952 مع والدتي، وكانت زيارتي الأولى له، وكان عمري حوالى 17 عاماً. في ذلك الوقت، كنتُ شاعراً جيّداً.

ففي النجف، وحين بدأت الدراسة كان لي هذا التطلّع الثقافي، بدأتُ أتطلّعُ إلى العالم من حولي. من ذكرياتي أنني تابعتُ سنة 1947 القضية الفلسطينية ونظمت فيها قصيدة ما زلتُ أحفظُ منها بيتين:

دافعوا عن حقِّنا المغْتَصَبِ في فلسطينَ بحدِّ القُضُبِ
واذكروا عهدَ صلاحٍ حينما هبَّ فيها طارداً الأجنبي

هذه قلتها سنة 1947 وكان عمري تقريباً اثني عَشَرَ عاماً. كما كنتُ في تلك السنّ أعيشُ التطلُّعَ الصحافي، فأنشأتُ، مع ابن خالتي السيّد مهدي الحكيم الذي قتلته المخابرات العراقية في السودان لأنّهُ كان معارضاً شديداً للنظام، وهو ابن المرجع الكبير السيّد محسن الحكيم، مجلّة خطّية اسمها «الأدب». كنتُ أكتبُ فيها، وأذكرُ أننا استكتبنا فيها بعض أدباء النجف ومنهم عبد النبي الشريفي، ولا أدري كيف قبِلَ المشاركة معنا، حين أصدرنا عددا خاصّاً بالإمام الحسين(ع). أذكُرُ أننا كُنّا نوزِّع المجلّة بأيدينا، وكان السيّد مهدي يكتبُ الأعداد للمشتركين لأن خطّه كان جميلاً. ومن ذكرياتنا أن «جمعية منتدى النشر» كان لها نشاط ثقافي كبير من خلال صحف الحائط التي كان يحرِّرها البعض من طُلّابها. في ذلك الوقت، نقلت إحدى صحف الحائط كلمة الأديب عبد النبي الشريفي التي سبق لنا أن نشرناها في مجلّتنا «الأدب»، ولم تذكر المصدر الذي نقلت الكلمة عنه، فاحتججنا عليها لأن ذلك يخالف أمانة النقل إذ كان من المفروض أن تذكر المصدر.

۞ في مرحلة النشأة والوعي والكِبر في النجف، كيف كان الوضع السياسي بالنسبة إلى الشيعة أو إلى علماء الدّين في الحوزة العلمية، وكيف كانت الحركة السياسية العامّة؟

- في ذلك الوقت أي في الأربعينات والخمسينات، لم تكن للحوزة العلمية في النجف أي نشاطات سياسية، بالمستوى الذي تمخّضت عنه الأحداث. فالوضع

السياسي آنذاك كان الوضع الملكيّ ممثّلاً بنوري السعيد رئيس الوزراء المسيطر لأنه رجل الإنكليز في العراق - وكان يواجَه. عشنا في الفترة التي قُتِل فيها الملك غازي ابن فيصل الأوّل، ثمّ عايشنا وصاية عبد الإله على الأمير فيصل الثاني وعلى العرش، حيثُ بدأت المعارضة ممثلة بالحزب الشيوعي الذي مارس عملَهُ في سريّةٍ لأن الحكومة كانت تُلاحِقُهُ. وكان إلى جانبه الحزب القومي العربي الذي لم يكن له أي دور لأنه كان ضعيفاً جداً. وإلى جانبهما كانت أحزاب محلية، كالحزب الوطني الديمقراطي الذي تزعّمه كامل الشادرج والذي تبنّى صحيفة اسمها «الأهالي». مثّل هو الحزب المعارض المطالب بالحريّات. نشأ بعد ذلك حزب الاتحاد الدستوري (نوري السعيد) وحزب الأمة (صالح جبر) وأحزاب محليّة أخرى... لكنّ الحركة البارزة في المعارضة كانت الحركة الشيوعية، التي كانت تسيِّر التظاهرات بينَ وقتٍ وآخر في النجف، فتواجهها الحكومة بعنف وأحياناً كثيرة بالرصاص والاعتقالاتً. أذكرُ، في هذا المجال، أحدَ علماء الدين في النجف وهو من العلماء الكبار والمنفتحين حسب انفتاح ذلك العصر المرحوم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، فقد حضر المؤتمر الإسلامي في القدس، وكان أوّلَ عالِم شيعيٍ يَؤُمُّ المسلمين في الصلاة في القدس حيث قدَّمه الحاج أمين الحسيني، فألقى خطبةً أشاد فيها بالمسألة الفلسطينية. كانت لهذا الشيخ صلة بالحكومة. ولهذا كان يُمثِّلُ العلاقة والواسطة في فترات الضغط والاعتقال والحصار بين الحكومة والمعارضة. أذكرُ التقاليد التي كانت موجودة آنذاك في علاقة العلماء بالسلطة. فحين كان الملك يأتي إلى النجف (أيام الملك فيصل الأوّل وبعده)، أو حين كان يأتي الوصيّ على العرش كانت التقاليد تقضي بعدم زيارة العلماء لهما. لكن العلماء الذين كانوا مستعدّين للقاء الملك أو الوصيّ، ومنهم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء مثلاً، كانوا يجلسون في فناء الصحن العلويّ، أو الرواق المحيط بمقام الإمام علي (ع)، ولا بُدّ للملك أو الوصيّ من أن يتجوّلَ في المقام، فيلتقي العلماء الجالسين، ويجلِسُ معهم على قاعدة المصادفة... وهذا ما شكّل البروتوكول أو التقليد بالنسبة إلى لقاء السلطة الحاكمة. ومن تقاليد الحوزة العلمية في النجف أن أيّ شخصٍ تكونُ له أيّة صلة بالسلطة يخفُّ «وزنُهُ»، وربما يسقط.

۞ ماذا عن منزلة الشيخ كاشف الغطاء؟ هل خفَّ «وزنُهُ» بسبب علاقته مع السلطة مثلاً؟

- الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، كان يعتبِرُ نفسَهُ من المراجع، لكنّ

مرجعيتَهُ كانت ضعيفة جداً. كان الناس في ذلك الوقت يتوجّهون إلى السيّد محسن الحكيم، ولذلك حين كان الناس يأتونه في الأزمات كان يردّد شعراً:

وإذا تكونُ كريهةٌ أُدعى لها | وإذا يُحاسُ الحيس يُدعى جندبُ
هذا لعمركم الصَّغار بعينه | لا أُمَّ لي إن كان ذاك ولا أبُ

وقد سمعته بنفسي مرة يتمثّل بهذين البيتين في أثناء حضوري أحد مجالسه. علماً أنه كان جاراً لنا. كان أكثر العلماء انفتاحاً فقد كان يُتابع ويحضر المؤتمرات الإسلاميّة في مصر وباكستان، وكان أديباً ومفوَّهاً بحسب الأسلوب الخطابي العربي المعروف. وقد زار سوريا ولبنان. وتُنقل عنه طرفة حين ذهب إلى جباع. محاطاً بالشيخ أحمد عارف الزين، وسليمان ظاهر، والشيخ محمد رضا، وهم ثلاثي «مجلّة العرفان»، إذ أصعدوه إلى الجبل الذي يقفُ «صافي» في أعلاه، فعندما وصل إلى قمته وقد أخذ منه التّعب مأخذه قال:

«السّلامُ عليك يا صافي ما أقلَّ ثوابك وأكثر أتعابك». كان ظريفاً وخفيف الظّل، وصاحب نكته حاضرة. كان في النجف أيضاً الشيخ عبد الكريم الزنجاني وهو رجلٌ متخصّصٌ في الفلسفة، لكنّه كان يُتّهم بأنّ له ارتباطاً بالإنكليز، من هنا فَقَدَ كُلّ ثقة بالنجف. وقد جاء إلى سوريا ومصر، وعلى كل ما أثير حوله، احتُفي به احتفاءً كبيراً. كان خطيباً ويأخذ بالفلسفة ويتحدّث بها حتى إنّ طه حسين قبّل يده وقال هذه أوّلُ يدٍ أقبّلُها.

في هذا الجوّ كُنّا نعيش. أما المرجعية الكبرى فقد كانت للعلماء الذين يتميّزون بالدرجة العالية من الفقه والتقوى ومن التقليدية في هذا المجال.

في تلك الفترة، أي أواخر الأربعينات وبداية الخمسينات، بدأت أعي ما حولي ومَن حولي. كنت أجالسهم وأحاورهم حسب ما امتلك من الثقافة والمعرفة، وما يمتلكون هم أيضا من الثقافة والمعرفة. كنتُ محاوراً منذُ البداية، ولم أكن أتعقّدُ مِمّن يختلفون معي في الفكر، ولا سيما الشيوعيين الذين كانوا يزورونني وأزورهم في بعض المدن العراقية آنذاك. كنتُ ألتقي أيضاً بعض الديمقراطيين والقوميين. وقبل المجيء إلى لبنان كنتُ أشاركُ في بعض الحفلات بقصائد. وأذكرُ مشاركتي سنة 1370هـ منذ 52 سنة، في رثاء أحد مراجع النَّجف وهو الشيخ محمد رضا آل ياسين بقصيدةٍ نُشِرَت في إحدى مجلاّت النجف، كما كنتُ أشارِكُ في بعض المناسبات الدينية.

۞ **النَّجف مدينة دينية أم مدينة شاعرة؟**

- لقد كانت النجف مدينة دينية بالإضافة إلى كونها مدينة شاعرة. فنحن نعرفُ أنّ شعراء العراق البارزين في فترة الثلاثينات والأربعينات والخمسينات كانوا شعراء النجف. وعندما نذكرُ محمد رضا الشبيبي والشيخ محمد جواد الشبيبي وعلي الشرقي والجوّاهري وغيرهم، نعرف أن أغلبهم كانوا نجفيين. وهناك شعراء الحوزة. الشعرُ قديمٌ في النجف، وقد أخذ العلماء بأسباب الشعر، ويذكر من شعراء النجف الكبار السيّد محمد سعيد الحبوبي الذي أحبّ القصائد الخمريّة، فوَصَف الخمرة بما لا يصفها شخص عاقَرَها. اذكُرُ أن بعض الشعراء اللبنانيين الذين قرأوا شعر السيّد الحبوبي قال: أنا لا أتصوّرُ أن هذا الرجل لم يشرب الخمرة علماً أنه كان من القديّسين باعتبار أنّهُ تَتَلمذ في الخمرة على يدِ النواس وعمر الخيام وغيرهما.

في النجف كنّا نتنفّسُ الشعر، والشعراء يلقون قصائدهم في المناسبات الدينية ويتبارون، وكذلك في الأفراح والأعراس، لا سيما إذا كان أصحاب «العريس» من الشعراء، فيدوم العرس شهراً أو أكثر. وعندما يُتوفّى مرجعٌ من المراجع كانت حفلات التأبين تستمرُّ أربعين يوماً. وفي شهر رمضان حيث تُعطَّلُ الدروس، كان الناسُ يسهرون ليلاً حتى ينقلب الليلُ إلى نهار، وفي وقت السحور كانت جلسات التثقفية فيقرأ أحدهم القصيدة والمسابقة ويكون الامتحان اكتشاف القافية الأفضل، وأيضاً تقطيع الشعر حيثُ تُخلط كلمات البيت ليعاد ترتيبها. هذه كُلّها من مسائِل الشعر في النجف. فمن عنده قابليَّة الشعر تصنعه النجفُ شاعراً...

۞ **حدِّثنا عن دخول السياسة النجف والحوزة الدينية.**

- من الطبيعي أن النجف عاشت السياسة مبكراً، لكن في خطوط أخرى. ففي بداية القرن الرابع عشر الهجري، كانت الصراعات السياسية محتدمة في إيران مثل «المشروطة والمستبدة». وكانت هذه المسائل تُثيرُ عاصفة في النجف، إذ يتولّى بعض العلماء «المشروطة» أي النظام الديمقراطي، ويتبنّى آخرون الاستبداد بمعنى أن يحكم الملك ولكن مع مستشارين. كانت الأحداث في إيران تتركُ تأثيراتها على النجف من خلال طبيعة أكثرية الطُلاّب الذين كانوا فيها وهم بمعظمهم من الإيرانيين. كانت تصل القضية أحياناً إلى أن بعضهم كان يُطلِقُ الألفاظ التي تُقارِبُ التكفير ضد البعض الآخر. وكانت المرجعية في النجف أيضا

تُمارسُ دوراً ضاغطاً على الاستعمار في إيران. وكلّنا نعرفُ فتوى المرجع السيّد محمد حسن الشيرازي، وهو من العلماء والمراجع الكبار، بتحريم التنباك، لأن الحكومة الإيرانية آنذاك أعطت امتياز استثمار التنباك في إيران إلى شركة. فحرَّم التنباك وزراعته حتّى خسرت الشركة. وسنة 1920، دخلت النجف الصراع ضد الاستعمار البريطاني لمصلحة الأتراك، علما أن الأتراك كانوا من السنّة الذين يضطهدون الشيعة آنذاك. لكن، مع ذلك، كانت الروح الإسلاميّة هي التي تتحرك من خلالهم. فذهب العلماء، ومنهم السيّد محسن الحكيم والسيّد محمد سعيد الحبوبي، إلى إصدار الفتاوى بالجهاد. وخرج العلماء والطُلاّب من النجف لمحاربة الإنكليز. وحين يُذكرُ تاريخ العراق، يُذكَرُ تاريخ ثورة العشرين حين انطلقت العشائر بفعل فتاوى العلماء في النجف. وقد تدخّل علماء النجف أيضاً - ولا سيما العرب منهم - في مسألة استقدام الملك فيصل ليكون ملكاً على العراق. ودخل بعض المعمّمين من العلماء والفضلاء الحياة السياسية مثل السيّد محمد الصّدر الذي وصل إلى رئاسة الوزارة بعد سقوط صالح جبر، والشيخ علي الشرقي الذي شغل منصب وزير، والشيخ محمد رضا الشبيبي وغيرهم.

بعدها، جاء الانقلاب العسكري الذي قام به عبد الكريم قاسم فدخلت الحوزة النجفيّة قلب السياسة.

۞ حدّثنا عن المجيء إلى لبنان والدراسة فيه في تلك الفترة (سنّ 16 - 17).

- درستُ ما يسمّى بالمقدمات والسطوح وهي دراسة بالكتاب. فالمقدمات تعطي المنطق واللّغة العربية من النحو والصّرف والمعاني والبيان، والسطوح تعطي كتب الأصول والفقه المعمّق. جئتُ إلى لبنان بعد إكمالي معظم هذه الكتب، ويمكنني القول إنّني كنتُ بدرجة جيدة في دراستي التي كانت على يد الوالد آنذاك. فهو معلّمي الأوّل.

۞ كيف عرفت لبنان أو تعرّفت إليه؟

- كنتُ أقرأُ المجلاّت اللبنانية، وشعراء لبنان. تعرّفتُ إلى لبنان من خلالهم. قرأتُ الأخطل الصغير (بشارة الخوري) وإلياس أبو شبكة وصلاح لبكي وأغلب شعرائه. قرأتُ «العرفان» التي كانت تصلُ إلى النجف وكانت تُمثّلُ خصوصية لبنان من خلال الجنوب وشعره وأدَبه. أذكُرُ أنني تأثرت بلبنان من خلال تأثري بالأخطل الصغير، فهو من أوائل الشعراء اللبنانيين الذين تركوا أثرا في داخلي

ونفسي. لقد تابعتُ لبنان وأنا في النجف أي قرأتُ لبنان من خلال تُراث شعرائِه.

۞ هل كانت لديك فكرة عن أوضاع لبنان السياسية؟

- لم تكن لديَّ فكرة عن الوضع السياسي في لبنان قبل مجيئي إليه. لكنني كنتُ أسمعُ عن أحمد الأسعد، أي عن الأسعدِّية والعسيرانيّة آنذاك. فلم أكن متعمّقاً في ذلك، حتّى جئتُ إلى لبنان ودخلتُ من الباب الواسع.

جئت إليه سنة 1952 مع والدتي وأخي الأصغر، وأذكُرُ أنني وصلت يوم دفن المرحوم السيّد محسن الأمين أحد العلماء الكبار الذي كان مقيماً في الشام، ونزلت في بيت المرحوم علي بزّي خالي. كنتُ أعيشُ أجواءَه في بيته لا سيما أنّهُ كان مقصد الناس فأستمِعُ إليه. وقد كان، رحمه الله، وكما ينقلُ زهير عسيران في مذكّراته، ينتظر لي مستقبلاً كبيراً لم أكن انتظرهُ أو أتوقّعُهُ أنا. كان يُحدّثني كما يُحدِّث الكبار. أذكرُ أنني شاركتُ معه في أسبوع الأيام السبعة الذي أقيم للسيد محسن الأمين في قصقص - الشارع العام - واستمعت إلى كلمات العلماء والأدباء آنذاك، كما شاركتُ في أربعين السيّد محسن الأمين. وأذكر زيارتي لحسين مروّة في مكتبِه، وهناك تعرّفتُ إلى «فرات» ابن الجوّاهري، وشخصيات أخرى.

أثارت عمامتي سخريّة البعض، عندما علم أنني سأنظُم قصيدة تقليدية أذكر فيها المنازل والدّيار، فاعترضت قائلاً لهم: إنّ تصوّركم للنجف غير دقيق لأنَّ النجف تُمثِّلُ انفتاحاً على العصر. وحين نظمتُ القصيدة وجئتُ بها إلى السيّد حسن الأمين المشرف على حفل أبيه، فتضايق بداية لأنّه لا يعرفني. لكنّه حين قرأ القصيدة تغيّرت نظرته، ألقيتها في حفل الأربعين، واشتملت على تأبين الراحل، وانفتاحه، وروحه الثورية ومواكبته للحركة السياسية في سوريا، وعلى الاستعمار الفرنسي، وعلى الوحدة الإسلاميّة، ومشاكل الشباب. وأذكر أن جريدة «النضال» كتبت يومها: «ألقى السيّد محمد حسين فضل الله قصيدة أثارت مشاعر الجماهير». كان من الخطباء كامل مروّة ومصطفى السباعي المرشد العام للإخوان المسلمين في سوريا ولبنان، والسيّد محمد علي الحوماني. وكُلُّهم شاركوا في حفلِ الأربعين، لذلك أعتقدُ أنّني دخلتُ لبنان من الباب الواسع.

۞ هل تطابقت صورة لبنان الواقعية مع صورتك الذهنية له؟ هل تطابقَ الخيال مع الواقع؟

– لا طبعاً. كانت الصــورة أكبر وأكثر عمقاً وتعقيداً، لأني دخلت من خلال هذه الروح الحوارية التي تتقبلُ الآخر، من الباب الواسع. فحتّى عندما ذهبتُ إلى بنت جبيل، كنت أعقدُ جلسـات واسـعة وكبيرة مع الشـيوعيين والقوميين العرب، والبعث كان لا يزالَ جديداً. كنتُ ألتقيهم وأدخلُ في نقاشٍ معهم. أذكر أن جلسات الحـوار كانت عنيفة جداً. انفتحـتُ على الواقع اللبناني، ونظمتُ القصـائد الكثيرة في بعضـها جانب سياسـي، ونُشِـرت بمعظمها فـي «العرفان». أذكـرُ، في أثناء نزولي إلى «مكتبة العرفان» و«مكتبة هاشـم» وهي المكتبات التي كانت في شارع المعرض، أنني التقيتُ لبيب الرِّياشي وأكثر من أديب وشاعر.

۞ ردود الفعل على حسّ المعاصرة ماذا كانت في الحوزة النجفية؟

– لـم تتـح لي الفُرَص أن أدخُلَ النجف من الباب الواسـع، لذلك لم يكن لي ذلـك التأثير في سـن الـ 16 و17. لكن التأثير الكبير لي كان متأخراً وتقريباً سـنة 1958. لكنني فكّرت أن أرجعَ إلى لبنان، لا أن أقيم دائماً في الخارج.

۞ ماذا عن قراءَة جبران ومعرفة الواقع الديني من خلال مطالعاته؟

– كانـت معرفـة الواقع الديني من خلال مطالعـة أدب جبران متأخرة، أي عندمـا كثرت زياراتي للبنان. فهذا النـوع من الوعي الديني النقدي كان متأخراً. فـي الزيارة الأولـى، بقيت في لبنان حوالى أربعة أشـهر، ثُمّ عُـدتُ إلى النجف وتابعـتُ دراسـتي. وعندما جاء المرحوم الوالد إلـى لبنان جئتُ معه، وبقيت مدة سـنة تقريباً. كانت لي ذكريات إنسـانية مع حسـين مروّة، الذي قـرأت مذكراته وحاورته...

ثُمّ حاولتُ إتقان لغة أجنبية لكن لم تتهيأ لي الظروف، ومع انزعاجي من هذا الأمر فإنّني أحاول التعويض بالترجمات...

۞ هل كان في الجوّ السياسي والديني في النجف حتـى سنة 1952 مذهبيّة ما؟

– لا، لم تكن المذهبية طاغية. من الطبيعي أنّ الشيعة كانوا يشعرون بالغبن. لكن القضية لم تكن بارزة بمستوى أن هناك حركة طائفية. إحساسُ الغبنِ إحساسٌ واعٍ حقيقة، لكنّه لم يتحوّل حركة سياسـية ولا تيّاراً سياسـيّاً وقتها. ولعلّ المسـألة كانتْ وقتها استعماراً بريطانياً، فحتى خلفية الحكم الملكي كانت تُعتبر خلفيّة الاستعمار

البريطاني. وأذكر لشاعر بيتاً حول هذه المسألة في مخاطبته أحد الوزراء:

المستشار هو الذي شرِب الطّلى   فعلامَ يا هذا الوزيرُ تُعربِدُ

والمستشار هو الإنكليزي...

۞ هل رغبت في الزواج في سن ١٧؟ وما هي التجارب التي عشتها قبل الزواج؟

- كنتُ أشعرُ بالرغبة في الزواج، ولم تكن هناك أي تجارب سابقة لي. لقد عشنا في مجتمع محافظ ومغلق في النجف، لا تستطيع تحقيق ما تصبو إليه. لكنْ، حين جئتُ إلى لبنان كان المجتمع مفتوحاً. ومع ذلك، فإن الزيّ للإنسان وموقعه يمنعانه من التجارب المباشرة. قد تأتي بعض الصُّور والأخيلة للإنسان لكنّها من المألوف والطبيعي. وفي سن الـ 17 لم يعرض أحد عليَّ الزواج، لكن هذا الأمر حصل بعد ذلك كثيراً...

الجلسة الثانية

✿ الزّواج والنشأة والأولاد:

تزوجت سنة 1955، سافر والدي إلى النجف في العراق وكنتُ أتردّدُ بين وقتٍ وآخر على لبنان، كما كنت أزوره معه. في أثناء إحدى الزيارات، تزوّجت. كان زواجي على الطريقة التقليدية، حتى إنّ العائلة التي تزوجت منها عائلة محافظة. ولم يكن مألوفاً في الأجواء المحافظة أن يرى الواحِد زوجته، ولذلك كانت المسألة على الطريقة التقليدية، وكانت العائِلة علميّة علمانية، والأهل هم الذين يرون ويصفون ويشاهدون، وهكذا كان.

تزوجت في لبنان، ثُمَّ انتقلتُ إلى النجف.

أما أولادي، فأكثرهم وُلِدَ في النجف وبعضهم في لبنان، أي في أثناء مجيء العائلة في بعض الحالات. وبعد انتقالي إلى النبعة، الضاحية الشمالية لبيروت، وُلِدَ الآخرون.

لديَّ الآن أحد عشر ولداً، وكانوا اثني عشرَ، لكنّ واحداً منهم توفّي. وهم سبعة ذكور وأربع إناث.

✿ طريقة تربية الأبناء:

لقد تركتُ لهم الحرية في ذلك، فابني الكبير اتخذ توجُّهاً دينياً، ودخل كلية الحقوق ولم يكمل الدراسة فيها نتيجة بعض الظروف. والثاني ذهب إلى أميركا وتخصّص في الهندسة الكهربائية، وحين طُرِح اسمي في وقتٍ ما ضايقته المخابرات الأميركية فعاد إلى لبنان. بعدها أكمل دراسته، واشتغلَ في العمل العام ضمن مؤسساتنا التجارية (للعمل)، وهو يُشرِفُ عليها ولا يزال. والثالث يخوض غمار الأعمال العامة التجارية. والرابع انتسب إلى الجامعة الأميركية كي

يتخصص في الطب، لكن ببركة (الجنرال) عون أصابته شظايا قذيفة في رأسه فلم يتمكّن من متابعة دراسته. وهو يُشرِف الآن على صفحة الإنترنت وانتسب إلى كلية الإعلام. والخامس تخصّص في العلوم الاجتماعية ويسعى إلى نيل شهادة الماجستير، وقد تخصّص أيضاً في العلوم الدينية وهو في مرتبة متقدمة. والولدان الباقيان في كلية الأعمال، أحدهما تخرّج السنة، والآخر يتخرج السنة المقبلة.

أنا لم أفرض على أحد شيئاً، أما البنات فلم يُكمِلن الدراسة بسبب الوضع الذي كنّا نعيشه، وكُلُهنَّ متزوجات.

۞ بعد زيارة لبنان عُدت إلى النجف، ماذا تغيّر عليك بعد عودتك؟

– من الطبيعي أن آفاقي توسَّعت أكثر وشعرتُ بمسؤولية أكبر لأنّني كنتُ أفهم الآفاق المعاصرة من خلال ما أقرأ. لكنني عشت التحدّي، في شكل صارخ في الساحة، لأنّني، كما ذكرت لك سابقاً، كنتُ أعقد في أول سفرة (زيارة) ليَ إلى لبنان جلسات مع مختلف التيارات مثل الشيوعية والقومية العربية (وحدة تحرّر ثأر) في ذلك الوقت، والبعث العربي، كما كنتُ ألتقي أمثال حسين مروة ومحمد شرارة وعبد اللطيف شرارة. كنت منفتحاً على كل الجوّ، وخصوصاً أنني في بيروت كنت أنزل في بيت المرحوم خالي علي بزّي والتقي الناس هناك. ومن خلال علاقتي بخالي كانت لي علاقة بكاظم الصلح الذي كان سفيراً في بغداد آنذاك وزهير عسيران ومحمد صفي الدين...

أما علاقتي مع العُلماء اللبنانيين في النجف فقد تمثّلت من خلال العلاقة مع الشخص الذي كان بارزاً آنذاك وهو الشيخ محمد مهدي شمس الدين. وقد برز كإنسان يتوهّج وينفتح ويعيش نوعاً من أنواع الحركية. كنا زميلين، حتى إننا انتُخِبنا وفي وقت مُبكِر عُضويْن في مؤسسة تابعة لـ «جمعية منتدى النشر»، وهي جمعية ثقافية دينية إصلاحية، والمجمع الثقافي للجمعية. أذكرُ أنه كانت تُعرَضُ حينها مشكلة الأدب النجفي، ويومها كتبت بحثاً، كما كتب الشيخ محمد مهدي بحثاً آخر، ونُشِر الاثنان في مجلة «العرفان» آنذاك.

لم يكن هناك بين اللبنانيين مَن يتحرك بهذا الانفتاح.

۞ العلاقة مع الشيخ شمس الدين؟

– امتدت علاقتي مع الشيخ شمس الدين، وكان يكبرني بسنتين، في النجف واستمرت بعد عودتي من العراق، ورجعتُ إلى النجف في زيارةٍ وحيدة قبل

عودتي إلى لبنان واستقراري فيه... وكان عدد من المؤمنين في «تل الزعتر» يطلبون مجيء الشيخ محمد مهدي إلى لبنان. كنت يومها في النبعة. وسألني، رحمه الله، حينها: «ما هو رأيك في عودتي إلى لبنان»؟ وكنت قد حضرت قبلَهُ، أجبته: «أنا أرجّح ذهابك إلى لبنان». قال: «أنا لي موقعي في العراق». وكان وكيلاً عن المرجع السيّد محسن الحكيم في بلدٍ اسمها الديوانية وهي مركز محافظة، وقام بنشاط هناك. كان للسيد محسن الحكيم مشروع مكتبات للمطالعة هناك وفي سائر أنحاء العراق. وأسّس الشيخ محمد مهدي مكتبة جيدة. لا شك في أنه كانت له ثقافته. فردّ: «أنا في الديوانية». قلتُ له: «صحيح. أنت هناك عنوانك وكيل السيّد محسن الحكيم وفي هذه الدائرة، لكن لبنان هو العالم، ومنه تنطلق. إنه بلد الانفتاح ونافذة الشرق على الغرب ونافذة العالم الإسلامي العربي، ولذا أنا أرجّح ذهابك».

حين حضر إلى لبنان دعمتُهُ كثيراً، وكنتُ أطلبُ من المؤمنين الملتفين حولي في النبعة أن يذهبوا إلى هناك ويحضروا دروسه، ويصلوا وراءَهُ. وكنتُ أدعوه إلى المحاضرة في مركز حسينية النبعة، حسينية التآخي. صداقتي معه كانت عميقة جداً وامتدت إلى وقتٍ طويل حتى دخل الناس...

۞ من هم هؤلاء الناس!؟ وكيف دخلوا!؟!

– كنا نتشاور ونلتقي. وكنتُ أزورُهُ غالباً. حتى إنّه في وقتٍ من الأوقات اجتمع عنده، إضافة إليه، وإليّ، الشيخ عبد الأمير قبلان ونبيه بري والنائب حسين الحسيني. قيل وقتها: إنه مؤتمر شيعي. أما العقدة التي حصلت فانطلقت من أن الشيخ شمس الدين كان يفكر في أن يكون إمام جماعة ويُصلي في مسجد برج البراجنة. والمسجد وقتها كان في طور تجديد بنائه، وتحت سلطة «حزب الله» وبالتالي تحت إشراف الإيرانيين. والشيخ كان يفكر في أن يكون ذاك المسجد موقعاً للمقاومة المدنية الشاملة التي بدأ يؤسسها حين طرح فكرتها في الكلية العاملية في عاشوراء. إذ التف حوله الشباب، فأراد أن يجعل منهم حركة، ولا أقول أن ينشئ حزباً، وأن يفتش لهم عن موقع. حينذاك كانت المساجد هي مواقع الحركات الإسلاميّة الشيعية على الأقل. وكانت، على ما يبدو، علاقة الإيرانيين ومن خلالهم «حزب الله» مع الشيخ شمس الدين متوترة، لأن الخط السياسي للاثنين مختلف عن الآخر. ولذلك عملوا على تعقيد المسألة. وقد أبلغ الشيخ آنذاك رئيس بلدية

البرج أنه ينوي المجيء للصـلاة. فاعتُبِر طلبه جسـراً للعبور إلى هذا الموضوع، لأنه كان يمتلك موقعاً للصـلاة في مسـجد الصفاء التابع للعاملية. دفع ذلك الجهات المذكورة أعلاه إلى تعقيد الموقف. وأنا لم يكن لي دورٌ في ذلك. صحيح أنه كان لي أناس محبّون، لكن لم أتدخّل. وعلى العكس كنت أدعو الشيخ شمس الدين إلى أن يكون له مسجد وأن يُصلّي ويعيش مع الناس. حتى الشخص الذي كان يُصلّي في مسـجد البرج كان رئيس المجلس الشـرعي عندنا. وقد استدعيتُهُ وقلتُ له: إذا جاء الشيخ شمس الدين للصلاة عندكم، فعليك أن تتنحّى. لكن يبدو أن الناس الذين يصطادون في الماء العكر نقلوا إلى سماحة الشيخ أنني كنتُ وراء منعه من الصلاة في هذا المسـجد، فاتخذ موقفاً، على رغم أنني أرسـلتُ له مع أخيه يومها الشـيخ محمد جعفر شـمس الدين ومع صـهره السـيّد علي الأمين أن القضية ليست متصلة بي أبداً، لكن بالإيرانيين الذين لا يريدون ذلك. فهم الذين دفعوا لبناء المسجد وهم المشـرفون عليه. لكنّه لم يقتنع بذلك، ودخلت بعض الأجهزة المخابراتية اللبنانية على الخط. وربما كان بعضها ينتمي إلى الطائفة الشيعية. وكنتُ أشعر بأنها تعمل لإيجاد مشكلة داخل الطائفة الشيعية ولتمزيقها. وطبعاً، يومها بدأ التمزق من خلال «حركة أمل» و«حزب الله»، ولذلك اتخذ الشيخُ موقفاً.

۞ هل من أسباب موقفه أنه يحسبكم على إيران وعلى «حزب الله»؟

- ربما نأتي على ذكر هذا الموضوع. لكن المسألة هي أن هناك أشخاصاً من المخابـرات اللبنانية يثق بهم، ويعتقد بإخلاصـهم للطائفة دخلوا على الخط. وكنتُ أحسُّ، ولـم أمتلك المعلومـات، بأنّ هناك لعبة من الداخـل تريد تفريق رجالات الشـيعة، وكنتُ ألحظها كلما ازداد التعقيد مع أننا كُنّا منفتحين تمام الانفتاح. ومن الطبيعي صارت الفجوة، وتدخّل كثير من العلماء وقاضي قضاء بعلبك وقتها الشيخ حسـين الخطيب، رحمه الله، وكان رئيس المحكمة الشرعية، وأصدقاء عراقيون ومنهم د. محمد بحر العلوم وهو صديق مشترك ومقيم في لندن، والمرحوم السيّد مصطفى جمال الدين، وبعض العلماء العراقيين في الشام وهم أصدقاء مشتركون. فقلتُ لهم: «أنا لا مشـكلة لي أبداً مع الشـيخ وهذه ورقة بيضـاء أنا مسـتعد للتوقيع عليها. فليسـت عندي أية مشـكلة ولا بنسبة واحد في المئة». طبعاً ذهبوا إلى الشيخ فلم يوافق على اللقاء، ولذا صـرّحوا أن المشـكلة ليسـت من فلان وإنما من فلان حقيقة.

إلاّ أن ضغطاً حصل من خلال اللبنانيين، وكانوا بالآلاف، ثم جاء وفد كبير فقلتُ له: «أنا لا مانع عندي للقاء معه». اجتمعنا عنده، أنا ذهبت إلى هناك. اجتمعنا منفردين، وكانت قد بدأت المشاكل بين «أمل» و«حزب الله»... فتحدثنا في هذا الموضوع، قال لي: «أنت «حزبُ الله»»، قلتُ له: «أنا لستُ «حزب الله»، وإذا كنت تُريد أن تأخذ من خلال تأييدي بعض مواقفه حجّةً للقول إنني جزء منه فأنا أستطيع أن أقول: إذاً أنت «حركة أمل». أنا ما كنت أتهمه أنه «حركة أمل». لكنني قلت له: «إذا كنتُ«حزب الله» على أساس تأييده في موقفٍ معين، فأنت «حركة أمل». وأنا لستُ قيادة «حزب الله»، فقيادته هي الإمام الخميني. و«حزب الله» لا يأخذُ مني أيّ فتوى وأيّ حكم، وهم يصرّحون أنّ قيادتهم الإمام الخميني. أنا لست مرجع «حزب الله» لا في حربه ولا في سِلمِه. فإذا كنت تعتبر أنني أؤيده في بعض المواقف لأنه يلتقي في الخط السياسي مع ما أؤمن به، فأنت إذاً «حركة أمل». وقتها خرجنا من الاجتماع وبقي الموقف معقّداً. أدليت وقتها ببعض التصريحات التصالحية التي نشرتها الصحف، لكنّ الرجل اشتدّ بشكل عنيف. وطبعاً انعكس موقفه من «حزب الله» موقفاً ضدّي، ثم أخذ يتهمني مع الشيخ قبلان و«حركة أمل» كلها أنني وراء القتال الشيعي، باعتبار أنني المرشد الروحي لـ «حزب الله»، وأنني ولَغْتُ في دماء الشيعة. ولاحظت في تلك الفترة، كما غيري، كيف كانت «الحركة» ومشايخها والقريبون من الشيخ شمس الدين يُهاجمونني. والوثائق تشهد على خطاباتي كلها، إذ كانت دعوة للتصالح ووقف القتال، حتى تصريحي أنني لستُ مرجع «حزب الله». ومما أذكرهُ في تلك الفترة أننا ذهبنا إلى إيران لمناسبة من المناسبات. فأراد الإيرانيون أن يُوجدوا مؤتمراً للشخصيات الشيعية. كان نبيه بري موجوداً وكنت مع الشيخ شمس الدين ومن «حزب الله» كان السيّد عباس الموسوي. سعى الإيرانيون إلى مؤتمر معيّن. وقد طلبوا في وزارة الخارجية وسفيرهم في سوريا الشيخ أختري منّي أن أحضر واجتمع بنبيه بري والشيخ شمس الدين. فما تحفظت على اللقاء مع الشيخ شمس الدين، لكنني تحفظتُ على اللقاء مع نبيه بري وشرحتُ السبب. وكان: «أنا لست مستعداً أن ألتقيه إلا بعد أن يزورني في «فندق الاستقلال» ويعتذر مني لأن «أمل» حاربتني حرباً لا هوادة فيها، وقصفت بيتي بواسطة اللواء السادس، وحاولت من خلال عناصرها دخوله واعتقالي لولا بعض الموانع التي واجهتهم، والناس الذين واجهوهم آنذاك. وأنتم تعرفون كإيرانيين أنني لستُ مرجع «حزب

الله». أنتم مرجع «حزب الله» وأنتم المشرفون عليه، وليس أنا». لم أكن أعرف من «حزب الله» قراراته بل من الناس. ولست شريكاً في أي قرار من قراراته. والإعـلام الغربي حين يقول إنني المرشـد الروحي لـ «حـزب الله» فذلك إعلان غربي وليس إعلاناً مني. وعلى هذا الأساس، هناك ظلامة كبيرة بالنسبة إليّ. فأن تُشـوَّه صـورتي وأُتَّهَم أني دخلت في الدم الشيعي، وأنني أفتيتُ لـ «حزب الله»، وأنتم تعرفون وشـهود وخصوصـاً - أنت - كما قلت للشـيخ أختري، أنني لسـتُ رئيس «حزب الله». أنتم رؤساء «حزب الله». ولذلك جاء إليّ بعض الشخصيات في وزارة الخارجية وبقيتُ على رأيي ولم اجتمع في ذلك الوقت مع أحد... طبعاً بقـي الشـيخ يومها على موقفـه، وقد اجتمع به بعض المشـايخ اللبنانيين وحاوروه وأثبتوا له أنني لستُ كما يظنّ.

في آخر حياته، وبعد خروجي من المستشـفى، شـنّ الشيخ شمس الدين عليّ هجوماً صعباً. أذكر يومها أن السيّد حسن نصر الله التقاه وقال له: «لماذا تتهم فلاناً (أي السيّد فضل الله)؟ وتعيد قضية خطف الرهائن؟ ما دخل «السيّد» في موضوع الرهائن؟ وما علاقته بالخلاف بيننا وبين «أمل»؟ فأجابه الشيخ: «عجيب، لقد كان في رأيي وحسـب علمي أن «السـيّد» هو أسـاس كل ذلك». فقال له: لا. أنا أقولُ لك، وأنا رئيس «حزب الله»، السـيّد فضـل الله لا دخل له في خطف الرهائن، ولا في موضـوع الصـراع بين «أمل» و«حزب الله»»، وهذا ما حدّثني به السيّد حسـن نفسـه. وبقي الشيخ شـمس الدين، رحمه الله، على موقفه. والمسألة بقيت حينها في هذا الاتجاه.

۞ خلافكم مع الشيخ شمس الدين بـدا إما فقهياً وإمـا سياسياً. فأنت رائد الإسلام الحركي وهو راح في اتجاه آخر؟

- الواقع أن الشـيخ شـمس الدين كان، ومنذ البداية، حركياً. فهو عاش في أجواء «حزب الدعوة» عندما كان في النجف وحتى بعد مجيئه إلى لبنان. لا أقول إنه كان جزءاً منه، كما أنا لم أكن جزءاً منه، لكننا عشـنا أجواء «حزب الدعوة» لأنّ هذا فكرنا. كان فكر الشـيخ شـمس الدين حركياً وبقي أعضـاء كثيرون في «حـزب الدعوة» يترددون عليـه، وكان يتحدث معهم بعنوان أنه أبوهم. لذلك لم تكن المسـألة أنا حركيّ إسـلاميٌّ وهو ليس كذلك. فالخـط الذي تحرّك فيه وتمثّل فـي أفـكاره كان متأخـراً، حتى إنّـه كان متأخراً عن التعقيـدات التي حدثت. في

تصـوري، إنّ المسـألة ليست سياسـية ولا فكرية، لأنه عند دراسـتنا للمسألة نجد أنه يلتقي، كما التقى أخيراً، أشخاصـاً يختلف معهم سياسـيّاً. فإذا كانت المسـألة، بالنسبة إليّ، أنني المرشد الروحي لـ «حزب الله» فعلاقتي مع «حزب الله» كانت من أفضل ما يكون في المدة الأخيرة. وإذا كانت مسألة الخط، فعلاقته مع إيران كانت علاقة جيدة رغم اختلافه معهم في الرأي. إذاً، معنى ذلك أن الاختلاف هو في الرأي وليس في القضية... ثم إنّ علاقته مع الأحزاب الأخرى علاقة جيدة. وبالنسـبة إلى الأنظمة العربية فهي ماذا تمثل حتى بالنسبة إلى الخط السياسي الذي ينتهجُـه فـي هذا المجال؟ فالرجل كان عنده اجتهاد سياسـي، ولا إشـكال، لكن لم تكن القضية قضية اختلاف الخط السياسي، خصوصاً أنني التقي معه في الكثير من الخطوط السياسـية. يعني أننا كلينا نؤمن بالحوار الإسلامي - المسيحي، والحوار الإسلامي - الإسلامي، والحوار العلماني - الإسلامي. وهذا لستُ جديداً فيه. كما أننا التقينا على أنه لا يمكن طرح الجمهورية الإسـلاميّة في لبنان! حتى في التجديد والإصـلاح الديني، التقينا على أغلب الأفكار. وإذا كنتُ متطرّفاً في بعضـها فهو متطرّفٌ أكثر مني في ذلك.

لذا لا أستطيع تفسير الخلاف بتفسير نهج مختلف أو اختلاف الخط السياسي، لأنــه إذا كان يتهمنــي بما يؤكّـده العلماء الحزبيون أو المرجعيـة الحزبية، وبأنني حزبي، فقد كنت أصـرّحُ مرارا أني لا أنتمي إلى أي حزب في الوقت الذي أنفتح فيه على كل الأحزاب الإسـلاميّة. وقد قلت مرة إنني مع كل الأحزاب الإسـلاميّة ولسـت جزءاً منها، فأنا موكّلٌ بالإسلام أتبعه. صرّحت بذلك مراراً، ولم أتحرك في أيّ واقعٍ حزبي لتأييد حزب ضد آخر. وقد رافقتني أنت طوال هذه المدة، فهل سمعت منيٍ تأييداً لحزب معيّن؟ حتى «حزب الله»، فقد كنت أؤيد بعض خطوطه في المقاومة وكذلك إيران، وكنت أختلفُ معهما.

كان هنـاك إلحـاح على أنني حزبيٌّ أو ما شـابه، في وقـت كنت أرفض هذا الكلام. وليس هناك أي موقف في الواقع يُؤيِّدُ ذلك. نعم، لي صداقات مع «حزب الله» و«حزب الدعوة»، ولي صـداقات حتى مع الشـيخ راشـد الغنوشي (إخوان مسـلمون فـي تونس) الذي صـرّح لي أن كتبي يراها محافِظـوه من دون تحفظ، لأنني أكتب إسلامياً.

فالقضية تتعدّى ذلك.

۞ نشأت قيــادة حزبية صار لهــا وزنها علــى الساحة السياسيــة الداخلية وخارجها... ونشأ ما عُـرِف بتيــار «السيّد» فضل اللــه. وبدأ خلاف بينهما تحوّل صراعاً. فهل كان الصراع نتيجة تنافس شخصي، وإحساس بنفوذ سياسي داخلي على الطائفة الشيعية، أم نتيجة عامل سياسي كبير (إيران، الإسلام الحركي، الجهات العربية...).

– لا أمتلـك المعلومـات التي تؤكد مثل هذا الاحتمال، لكنني أتصــور أن تلك الجهات قد تكون استغلت هذه الفجوة لتنفذ بأساليبها الخاصة إلى سماحة الشيخ شمس الديـن في موقفه مني، بحيث رأى المســألة منســجمة مع ما يعتقدُ بــه أو ما يتّهمني به. في تصــوري، إنّ هناك جانباً شخصــياً عميقاً جداً من خلال الامتداد الإعلامي العالمي الذي فُرِضَ عليّ، سواء أكان نعمة أم نقمة، من خلال الاتهامات الموجهة إلــيّ وتحميلي مســؤولية الخطــف والإرهاب وبعض التفجيــرات... مما جعل هذا الاســم يُتداول في العالم. وأعتقد أن الطامة الكبرى والمشــكلة التي حرّكت كل ذلك هي «المرجعية» لأنه كان لا يُطيقُ الأقل منها فكيف بالنسبة إليها. لذلك كان يتحدث أنه ليس لدي علم وفقه وبالصوت العالي، وفي المدة الأخيرة اعتبرني مرتّداً شيعياً.

۞ هل طرح الشيخ شمس الديــن نفسه يوماً مرجعية، وهــل كان يملك هذا الطموح؟

– لـم تكن لديه الآليــات الميدانية نحو هذا الاتجاه، لأنه ليس من الســهل أن يكون الإنسان مرجعاً في الطائفة الشيعية، ويكون مسؤولاً في مؤسسة شبه رسمية. لا أقول إنّ هناك تنافراً بين الموقعين، لكن هذه هي ذهنية الســاحة الشــيعية، التي ورثــت فــي كل تاريخها بعض الصــفات التــي لا بدّ للمرجع من أن يتصــف بها، كالنكهة الروحانية في العالم الشــعبي، ســواء في عالم الصلاة أو غيرها... والبعد عن المواقع الرسمية أو شبهها...

لذلــك فــإن الشــيخ، رحمــه الله، كان يجــد من نفســه إمكانية فقهيــة ليكون مرجعــاً. حتــى إنّه بدأ يخطّط في نهاية حياته للاســتعداد لذلك بإصــدار ما يُســمّى بالرســالة العملية، وهي مجموعة الفتاوى، وبإجابته عن الفتاوى، وتصــريحه أنا أفتــي بكــذا وكذا... لكنّه لم يســتطع بفعل ظروف وتعقيدات عدة، أن يصــل إلى هذا الموقع.

ولعل ما أثقله وزاد حساســيته صلاة الجمعة. فقد كان، رحمه الله، يفكر في

أن يصلي صلاة الجمعة في المسجد الكبير الذي أسّسه بسعي بعض الشخصيات الكويتية، وكان يخطط لذلك. من هنا، لم يشعر بالارتياح عندما سمع بصلاة الجمعة التي أقمتها والتي كتبت عنها جريدة «السفير» آنذاك تحت عنوان: مشهد من مشاهد الأقصى نتيجة الجماهير المصلية. يومها كان الشيخ في الكويت وقرأ الخبر في الصحيفة مما جعله في حالة صعبة، وبدأ يتحدث عن حرمة إقامة صلاة الجمعة، وأثار من حوله نيته بإقامة صلاة جمعة ثانية. وعندما اندفع بعض الجهات لمحاربتي في بعض الفتاوى وبعض الآراء التي قد تمس العاطفة الشيعية (أو الموروث الشيعي)، بادر إلى تقوية هذه الجهات حتى على خلاف رأيه، لأنني أعلمُ أنه كان يلتقي مع آرائي في أكثر هذه الأمور، ووقف معها وشجّعها حتى التي تعيش منها الذهنية المتخلفة.

✿ هل كوّن الشيخ شمس الدين صورة عن اجتهادك، مولانا، من خلال عيشه معك ومعرفته باجتهادك؟

- يقيناً، لقد كان يعرفني جيداً، ويعرف المستوى العلمي الذي أحمله.

✿ هل كنت تلمس أن لدى الشيخ القدرة العلمية والفقهية للمرجعية؟

- في نظري، ليس له ذلك. لم يكن في هذا المستوى. كان يمتلك ثقافة فقهية جيدة، لكنني لا أتصور أنه يمتلك موقع المرجعية. فممارساته في التدريس الفقهي كانت أقلّ بكثير من ممارساتي. إذ منذ مجيئي من النجف، وحتى وأنا في النجف، كنت أستاذاً للدروس العالية، وما يُسمّى بمرحلة السطوح، ولم يكن الشيخ يمارس التدريس في هذا الشكل. كما إنني عند مجيئي إلى لبنان، فتحت مدرسة فقهية باسم «المعهد الشرعي الإسلامي» في النبعة. وكنت ولا أزال أدرّس الدروس العالية وهي دروس الاجتهاد والمسمّاة البحث الخارج. وقد حاول سماحته ممارسة بعض الدروس في هذا المستوى لكنّها كانت متقطّعة... وأنا لا أنكر ثقافته الفقهية، لكنني أعتقد أن الممارسة التي مارستها في التدريس وفي الاستفتاء والإفتاء كانت أكثر عمقاً وأكثر امتداداً من ممارسته.

✿ في هذا الصراع مَن استخدم مَن؟ هل استخدَمت «أمل» الشيخ شمس الدين أو العكس؟

- أنا لا أتحدث عن استعمال أحدهما للآخر. لكنني أتصوّر أن هناك توافقاً في

الذهنيـة، علــى الأقل في المستوى السياسي، وفي بعض التعقيدات التي التقيا فيها. إذ أننــي كنــتُ أصوَّرُ من خلال الإعلام أنني محســوب على«حزب الله». لذلك، فإن أي موقف منه لا بُدّ من أن ينعكس سلباً عليّ، إضافة إلى بعض التعقيدات.

۞ ماذا عن بيانات «أمل» وعــن رأي بري الذي طالما هاجــم سماحة السيّد فضل الله؟

– لقـد سمعت في ذلك الوقت كلامــاً نقله أحد الموفدين الأمنيين الجزائريين، ولا أدري إذا كان حديثاً أمنياً أو حديثاً صحيحاً، جوهره أنه حين قيل للرئيس بري: «لماذا لا تكفّ «أمل» عن مهاجمة فلان»... قال «إن «حزب الله» يُهاجمني في جريدة «العهد»، ولذلك فإنّنا نهاجم السيّد فضل الله. هما هاجماني، وإذا امتنعا عن مهاجمتي أمتنع عن مهاجمة السيّد».

۞ العلاقة بالمجلســ الإسلامي الشيعي الأعلــى، وبداية العلاقــة مع السيّد موسى الصدر؟

– بــدأت علاقتي بالسيّـد موسى الصدر عندما قدِمَ إلى النجف، وقد كانت لي علاقــة متينة بآل الصدر، وفي مقدّمهم عالمان كبيران السيّد إسماعيل الصدر وهو الأخ الأكبـر للسيـد محمد باقر الصدر، والسيّد محمد باقر الصدر. لهذا، حين جاء السيّد موسى الصدر إلى النجف، بعد وفاة والده الذي كان من المرجعيات الشيعية الدينية في قُمْ وهو السيّد صدر الدين الصدر، التقيتُه فيها. زارني مع السيّد إسماعيل الصدر في غرفتي في إحدى المدارس في النجف، وطلب مني المشاركة في تأبين والــده لمناسبة مــرور سنة على وفاته فاستجبت. كان السيّـد موسى لا يزال طالباً متقدمــاً مــن طلاب حوزة قُم وكان جديد عهدٍ في النجــف. شاركت يومها بقصيدة ألقيــت فــي الحفل التأبيني. ثم تعمَّقــت الصلة فَكُنا نشارك معــا في حضور مدرسة المرحــوم السيّد الخوئي، ونلتقي في المناسبــات الاجتماعية العامة. كان يحمل لي تقديــراً كبيــراً، لم أعرفه منــه، على رغم ما كان يُظهره لــي من تقدير. لكن من بعض الناس من بلدنا، بنت جبيل، ممن زاروا السيّد عبد الحسين شرف الدين في صــور الــذي كان السيّد موسى قام بزيارة خاصة لــه عندما قدم إلى لبنان باعتبار العلاقة النَسَبية بينهما. قالوا: «حين التقى السيّد عبد الحسين شرف الدين أهالي بنت جبيل قال لهم إنّ ابن عمي السيّد موسى الصدر حدّثني عن السيّد محمد حسين فضل الله. وحين سألتُهُ مَنْ أفضلُ العامليين في النجف أشار إليه». وأذكر أنه، أي السيّد

موسى الصدر، استغرب نيتي المجيء إلى لبنان للإقامة في منطقة النبعة، واستنكر علـى مَنْ ذكَـرَ له ذلك، وقال: «إن موقـع السيّد فضل الله ليـس في هذه المنطقة الشعبية العادية».

كنـت ألتقيه دائماً مـدّة إقامتهِ في النجف وهي أربع سنـوات. بعدها جاء إلى لبنـان في زيـارة عادية ورجع بعدها إلـى النجف مودِّعاً. استطـاع السيّد موسى بشخصيتـه الجذابة وفي وقـت قصير أن يجتذِبَ كُلّ الناس إليه في النجف، وكذلك لعائلته التي هي محل تقدير في إيران والعراق ولها مكانتها فيهما.

وحيـن سُئِلَ في النجف عن لبنان تحدّث عـن التنوع الطائفي فيه، وذكر أن كل طائفة تتطلع إلى رمز من رموزها ليؤكد موقعها من خلال ثقافته، وكأنه كان يُفكّر في أن يكون هو ذاك الرجل بالنسبة إلى الشيعة.

بعـد مجيئنـا إلى لبنان، استمـرت العلاقة على نحو جيّد جـداً. فكنّا نتزاور. وأذكـر قبـل مجيئي إلى لبنـان، وفي الوقت الذي كان أستاذنـا السيّد الخوئي يقف فـي خط المعارضة للشاه آنـذاك، وهي فترة عبد الناصر (في الخمسينات)، أرسل السيّـد الخوئي موفدا إلى لبنان ليجتمع بعلمائـه وليقنعهم بعقد مؤتمر يستنكرون فيه أعمـال الشـاه ويصدرون بياناً ضـده. حينها، انضممتُ إلى موفَـدِ الإمام الخوئي والتقينـا عند السيّد موسى الصدر فـي صور وكتبنا البيان ضد الشاه من قبل جمعية علماء الدين. صدر البيان، لكن لم تنشره إلا صحيفة «صوت العروبة». ذلك أن الصحـف اللبنانيـة كانت يومها في خط اليمين أي في خـط الشاه، وكانت السفارة الإيرانيـة تمتلِكُ امتداداً كبيراً في الساحة اللبنانيـة، جرّاء اتفاق الخط السياسي بين الحكومة اللبنانية وشاه إيران...

كانـت علاقتـي بالسيّد موسـى تتوثق في كل زيـارة قام بها للبنـان، فنلتقي ونتداول في الوضع، ولا سيما مع بعض العلماء الكبار الذين كانوا يُمثلون صداقة مشتركة كالشيخ محمد جواد مغنية، والسيّد هاشم معروف الحسني. بعد ذلك، جئتُ أو عُدتُ إلى لبنان، زارني السيّد موسى الصدر في النبعة، وكنت أدعوه بين وقتٍ وآخـر إلـى المشاركة في الحفـلات التي كنتُ أقيمها في المناسبـات الدينية، وكان دائمـا يستجيب، ولا سيما عندمـا زار السيّد محمد باقر الصدر لبنان وبعض علماء العـراق. في ذلـك الوقت، كُنّا نختلف سياسيّاً أحيانـا. كان هناك بعض الأحاديث بيننـا حـول الوضع اللبناني وخصوصاً الشيعي، لكنّهـا لم تكن بذلك العمق. وربما كان الأساس في ذلك عدم دخولي وقتها عمق السياسة اللبنانية، لأنني كنتُ أقرب

إلى الخطـوط العربية والإسلاميّة منّي إلى الخط اللبناني، ولأن تجربتي المباشرة في الواقع السياسي اللبناني كانت بسيطة. كنا نفكر، في ذلك الوقت، في أن السيّد موســى الصدر أقـرب إلى الخط المضاد لاتجاه القومية العربيــة أو اتجاه اليسار، وقُربنــا من الخط اليساري لم يجعلنــا موافقين على هذا، كنا نعارض الإيديولوجية والخطوط الفكرية للقومية العربية. وقد كان هذا الموضوع مثار حديث دائم.

بدأت الحملة مبكّراً على السيّد موسى الصدر من أكثر من جهة علمائية شيعية إضافـة إلى الجهـات السنيّة التي كانت تشكك في خلفياتــه السياسية. وركب بعض العلماء موجة الحملة. وربما كان البعض أيضاً يتحدث عن المكتب الثاني في بعض خلفيـات الصدر، خصوصــاً أن العلاقة يومها بينه وبين الرئيس فؤاد شهاب وبعده شــارل حلــو كانت جيدة. وليســ معنى ذلك أن السيّد موســى الصدر كان خاضعاً لذلك، لكن المكتب الثاني كان يحاول الاستفادة من ذلك الجوّ. وكانت هناك حركة فــي الواقع اللبنانــي، تستهدِفُ إيجاد هوّة واسعة بين السنّــة والشيعة ومنع لقائهم، وتعمل على فصلهم. وربما حاول البعض استخدام فكرة تأسيس المجلس الشيعي، ســواء من الشيعــة أو السنّة، لتسجيل نقطة ضعف سلبية ضــد السيّد موسى، وليس إخلاصــاً لفكــرة الوحدة الإسلاميّــة. ذلك أن الوحدة الإسلاميّــة لم تكن واردة في الخط الواقعي، فإذا قبل بها الشيعة فإن السنّة لن يقبلوا. وقد تحدثت، في وقت من الأوقات، مع السيّد موسى الصدر عن فكرة أن يكون لدينا مجلس إسلامي موحّدّ، لكنّــه أشــار إلى أن المسؤولين الدينيين السنّــة لا يوافقون على ذلك، خصوصا مع طرح التناوب على رئاسة المجلس بين السنّة والشيعة.

لقــد عشنــا في بعض هذا الصراع من خلال طبيعة الخط الحركي الذي ننطلقُ بــه، والــذي جئنا من العــراق مؤمنين به، في شكل قد يكــون متطرفا آنذاك، لأننا لــم نصطــدم بالواقع كما يجــب يومها. ولم ندرســ طبيعة الحركيــة الإسلاميّة في الساحات المتنوعة، ولا سيما الساحة اللبنانية. في ذلك الحين، بدأت فكرة المجلس الإسلامــي الشيعي الأعلى. وكما أسلفتُ، كانت علاقتنا بالسيّد موسى جيدة ومميزة بالرغــم من بعضــ اختلافات الرأي التــي كان يمتلكُ الصدر الرحــب لامتصاصها والتعايشــ معهــا. وكانــت المعارضة قوية فــي الوسط العلمائــي الشيعي وحتى في الوسط السياسي ولدى بعض الزعماء الشيعة لفكرة المجلس الشيعي. ودخل اليسار طرفــاً في هذه المسألــة بحجة أن هذا سيُؤكّدُ مسألة الطائفيــة في الساحة الإسلاميّة، والواقــع اللبنانــي، وسيعمِّق النظام الطائفي. ودخلنا مــع الشيخ شمس الدين للتفاهم

مـع السيّد موسى فـي محاولة إصلاح ذات البين. كنا نلتقـي مع الشيخ محمد جواد مغنيـة، وكنـا نطوف الجنوب لنلتقي العلماء، حتى إننـا ذهبنا إلى المنطقة الحدودية لنتحـدث معهم حـول رأبِ الصّدع، وطرحتُ يومها شعار أننـي: «لن أنتخبَ ولَنْ أُنْتَخَـبَ» لعدم إيماني بأسلوب المجالس المليّـة في حركتي الإسلاميّة، ولأنني كنت أحـبّ أن أتنفسَ الهواء الطلق. فالإنسان الـذي رفض أن يتحرك حزبياً مع دوره فـي كل هـذه الثقافة الحزبية، يرفض أن يؤطّر نفسه فـي مجلسٍ شيعي مِلّيّ وواقع لبنانـي طائفـي، مع كل الاحترام لذلك. وقد حاولنا، كمَـا أسلفتُ، تقريب وجهات النظر بين السيّد موسى والمعارضة الشيعية بزعامة الشيخ مغنية المحسوب على خطّ اليسار. وكانت اعتراضات هؤلاء العلماء أنهم يفضّلون الخط الوحدوي، ويشكّكون فـي خلفيات السيّد موسى. وربما كانت الكثير من الاتهامات ظُلماً للسيد موسى... فهـم كانوا من المنفتحين حينها على الموجـة المواجِهة والمضادة للاستعمار، والتي كان اليسار يحملها وخصوصاً عبد الناصر...

مـن هنـا، كانت المسألة تحملُ الكثير من الشكـوك والاتهامات. وفي الوقت الذي كان السيّد موسى يتألّمُ للكثير من الاتهامات الظالمة، فإنّه كان رَحْب الصدر ويلتقـي معارضيه، واستطاع أن يخفف الكثير مـن غلواء بعضهم. صدر مرسوم المجلـس الشيعي، وعُدَّ ذلـك فتحاً كبيراً وانتصاراً للطائفة الشيعية التي كانت تعيشُ القهـر والحرمـان، والبعد عن حركة التاريخ كلها في لبنان آنذاك. وعملت الدولة علـى إيجاد مناخ حماسيّ منقطع النظيـر، حتى شعرنا بأنّها تختبئ خلف الكثير من مفاصـل هـذا المشروع بقطع النظر عمّـا إذا كان السيّد موسى متأثرا بذلك، أو أن الدولة تحاول استغلال ذلك.

صـدر مرسوم المجلس، وطلعت الطائفة بأغلـب أفرادها لتهنئة السيّد موسى الصـدر، والاحتفـال بهذا الحدث. كنـتُ الوحيد الذي لـم أَزُرْهُ. إذ لم أرد وقتها أن أكـونَ فـي موقـع التأييد للمجلـس الشيعي باعتبـار أنني لم أكـن مقتنعاً بحاجتنا إليـه، بقطـع النظر عـن الصواب والخطأ فـي ذلك. لكن المسألة لـم تكن مقاطعة للسيـد موسى الصـدر. فبعد فترة قليلة مـن تأسيس المجلس، جاءنـا أحد أصدقائنا المشتركيـن من علماء العراق وذهبنا وزرنا السيّـد موسى الصدر. وكنت أزورُهُ فـي المجلس الشيعي وأتداول معه وأحياناً مع الشيخ شمس الدين في بعض القضايا العامـة. كنا نتشـاور، حتى إنني أذكـر جلستنا التي عقدناها لتوحيـد مسألة الهلال بيننـا وبيـن السنّة، ودعونا بعضـ علماء السنّة وطرحنا عليهـم في ذلك الوقت أن

نعتمدَ على المراصدِ العلميـة، ورفضوا ذلك يومها. المهمّ أننـا كنا نلتقي في ذلك الموقـع. لـم أكـن منعزلاً عـن المجلس، لكننـي لم أكـنْ مشاركاً فيـه، ولم أتخذ موقفـاً مضـاداً، لأنني اعتبرت رغم عدم انسجامي مـع العمل المجلسي، أنه جزء مـن الحياة اللبنانية. لكن هنـاك مجالس أخرى كالمجلس الشرعي الإسلامي عند السنّـة، وهناك المجالس المليّة في الطوائف المسيحية... وبقيت العلاقة جيدة بيننا حتى غيابِه.

۞ ما تفسير الحماسة ضدكم من «حركة أمل» التـي أسّسها السيّد موسى، رغم العلاقة الجيدة بينكما حتى اختفائه؟

– لقد كانت دعاية «حركة أمل» أنني ضد الإمام الصدر، لأنني كنتُ اختلِفُ معه في بعض الأفكار أحياناً. لم تكن هذه الدعاية عفوية، بل مدروسة ضمن خطة معيّنة، لأنّ طبيعة سلوكي لا توحي بذلك، ولأنني كنت أدعو السيّد موسى الصدر إلى النبعة في أكثر من مناسبة، حتى إنّ أوّل احتفالٍ أقمته بمناسبة ولادة الزهراء(ع) دعوتُ إليه السيّد موسى، والشيخ محمد جواد مغنية، ومبعوث الأُزهر الشيخ فهيم أبـو عبيّه، وكانت لي كلمة فيـه. علاقتي لم تكن سلبية بالسيّد موسى، فهناك فرق بين أن تكون هناك سلبية في العلاقة وبين الاختلاف في الرأي.

۞ هـل صحيح أنكـم دعوتم كـوادر اتحـاد الطلبـة وغيرهم إلـى الالتحاق بـ «حركة أمل»؟

– لا أذكـرُ أني دفعتهـم إلى الانتماء، لأنني في ذهنيتي الحركية الإسلاميّة لم أكـنْ مُنْسَجِماً مع الخـط الفكري أو السياسي لـ «حركة أمل». حتى إنّني، كما قلتُ فـي حماستنا السياسيـة الإسلامية، كنا نُسجِّلُ ملاحظات علـى خطاب السيّد موسى الصدر في تأسيس «حركة أمل» عندما قال إنها «حركة رسالية وحركة الأنبياء»، ولـم يقُلْ إنها حركة إسلاميـة. وعندما سُئِـل: «هل هي حركـة إسلامية» أجاب: «حركـة الإسلام كما يفهمه موسى الصدر». ونحن سجّلنا ملاحظة في ذلك الوقت على هذا الموضوع.

فـلا أتصور أنني دفعتُ ببعض الشباب إلى الانتماء. لكن، كانت لي علاقات واسعـة بـ «حركة أمل» مع المثقّفين والمتديّنين، وكان هناك نوع من التناغم بيني وبينهم، قبل دخول «حركة أمل» في الصراع مع «حزب الله».

✿ هل حصل حديث بينكم وبين السيّد موسى في موضوع تأسيس «أمل»؟

- لا، لم يحصُلْ.

✿ بالنسبة إلى سلبيتكم حيال المجلس الشيعي، هل كانت هناك سلبية مماثلة حيال تأسيس «حركة أمل»؟

- لم أُدعَ إلى تأسيس «حركة أمل»، لكنّ إعلان تأسيسها منذُ تفجير «عين البنيّة» في بعلبك لم نرتح إليه لأننا كنا ننظر بارتياب إلى أي وضع طائفي بفعل الحماسة الحركيّة عندنا، الذي قد لا تكون مفرداته واقعية لا سيما في ما يتعلق بالساحة اللبنانية. وقد قمت في بعض أحاديثي بعملية نقد ذاتي لهذه المسألة. لم نكن منسجمين مع هذا الطرح.

✿ هل كان السيّد الصدر يختلف في مدرسته عنكم؟ بمعنى هل كان السيّد ينفّذ مشروعاً لبنانياً وكان همّه الشيعة اللبنانيين وتحسين وضعهم، أو مشروعاً آخر إيرانياً شيعياً ومشروع أي إيران؟

- أحب وأنا أتطلع إلى تلك المرحلة أن أؤكّدَ أن السيّد موسى الصدر لم يكن بعيداً من الفكر الحركي الإسلامي، لأنه كان منفتحاً على الإسلام ولم يكن تقليدياً، ولا سيما أن علاقته بالسيّد محمد باقر الصدر رائد الحركة الإسلاميّة الحركية في العراق كانت عميقة جداً، وكان يعيش معه في هذا الجوّ، وكان يحتضن الحركة الإسلاميّة. لهذا احتضن الإيرانيين الذين وفدوا إلى لبنان من أنصار الإمام الخميني وسهّل لهم الكثير من المواقع والإمكانات التدريبية مع «حركة فتح» وغيرها.. حتى إنّه، عندما اضطهد النظام العراقي الحوزة العلمية في النجف والسيّد محسن الحكيم، أثار السيّد موسى، وكنّا معه، الجوّ السياسي الإسلامي في شكل عام ضد النظام العراقي آنذاك، حتى إنه أرسل رسائل إلى عبد الناصر ومختلف الزعماء العرب في هذه المسألة. لكن السيّد موسى كان يرى أن طرح الإسلام بالطريقة الحركية لا ينسجم مع لبنان، وقد عمِلَ على تركيز وضع الطائفة الشيعية في لبنان مع انفتاحه على الطوائف الأخرى حتى المسيحية. ومن الطبيعي أن الطائفة السنيّة آنذاك، نتيجة لانفتاحها على الخط الناصري، كانت تُثيرُ الشكوك حول السيّد موسى في هذا الانفتاح على المسيحيين. حتى بعض علماء الشيعة، كما أسلفنا، أثاروا شكوكاً، وخصوصا عندما زار البابا، وتحدث عنه بكلمات لم تكن مألوفة في التحفظات الشيعية أو الإسلاميّة في الحديث عن غير المسلمين. كما أن

تأييد الزعماء المسيحيين للسيد موسى الصدر شارك في إثارة هذه الشكوك وهذه الاتهامات. لكنني عندما أرصدُ المسألة بعيداً ممّا كان يحيط بالموقف من أوضاع حادة أجدُ أن السيّد موسى لم يكن ينفّذ أي خلفية دولية، كما يُتحدَّث عنه، بل إنّ إيران الشاه حاربت الإمام الصدر يومها.

زار السيّد موسى عبد الناصر وأُعجِبَ به الرئيس المصري، وانفتحت له الأبواب. لم يكن السيّد موسى الصدر بعيداً من الإسلام الحركي، لكنّه كان لا يجدُ مصلحة في طرح الإسلام الحركي كمشروع سياسي، لأنه لم يجد أي مصلحة للمسلمين ولا سيما الشيعة في هذا الطرح، خصوصاً مع التنوع الطائفي في لبنان.

وهذا ما نلتزِمُهُ الآن.

۞ علاقة السيّد موسى بإيران الخميني حتى قبل الثورة؟

– كانت علاقة جيدة، لكنّها كانت في الوسط السياسي العام سريّة. ولعل المسألة تفجّرت حين توفّي الدكتور علي شريعتي الذي كان ضد الشاه، مع وجود تحفظات لدى بعض علماء الحوزة العلمية في إيران على بعض سلبيات الدكتور في عقيدته، أو في موقفه من الحوزات العلمية. فالسيّد موسى التزم تأييد الدكتور علي شريعتي وشارك حين وفاته في تشييعه وتسهيل دفنه في مرقد السيّدة زينب (ع) في الشام، ثم أقام له حفلاً تأبينياً. هنا بدأ النزاع وفُتِحَ في شكل علني مع الشاه. وبدأت الحكومة الإيرانية تعمل ضد السيّد موسى الصدر وتحاربه انطلاقاً من ذلك.

۞ لوحظ إقصاء مَن حضنهم من قادة الثورة الإيرانية بعد نجاحها، وحين حصلت حادثة اختفاء السيّد موسى لم يظهر الإيرانيون حماسة واستعداداً جدّياً لمعرفة مصيره؟

– علينا أن نعرف أن السيّد موسى كان يُؤيد الثورة الإسلاميّة في شكل عام، وكانت علاقته جيدة بالإمام الخميني. لكن بعض الذين عاشوا مع الثورة ممن تأثروا بالفلسطينيين حملوا إلى إيران كل الأفكار السلبية ضد السيّد موسى الصدر، وتحركوا داخلها من خلال هذه الأفكار. نحن نعرف أن الثورة الإسلاميّة حين انطلقت، كانت تتحرك ضمن خطوط متنوعة جداً ولم تكن في الواقع الميداني خطاً واحداً. وهو ما جعل مسألة السيّد موسى لا تبرز إلا متأخرة في الإعلام الإيراني في الشكل الذي يمثل تكريم السيّد موسى الصدر.

الجلسة الثالثة

✿ هل تشعر بأنَّ مدرستك تختلفُ عن مدرسة الإمام الصدر؟

- لا إشـكال أنّ الإمامِ الصدرِ إسلاميٌّ من حيث المفاهيمية. فهو مُسلِمٌ مثقَّف مُنفَتِـح، لكنّه لم يكن إسلامياً حركيّـاً بالمفهوم الذي تعطيه هذه الكلمة، والتي تعني عند الذين يُحرّكونها في أدبياتهم ومواقفهم أن يعملوا على أسلمة الحياة، وأن يكون الإســلام قاعــدة للفكر والعقــل. فيتدخّل فــي العناوين العامة للدولــة وفي التشريع والمناهج ونحوهما... بقطع النظر عن التحفظات التي يسجلها البعض ولا يُسجلها الآخــر، حــول واقعية هذا الطرح فــي منطقة ولاواقعيتِه فــي منطقة أخرى، لأن المسألــة تدخُلُ فــي التفاصيل. فالسيّد موسى لم يكن ممّن يرى هذا الرأي لكنّه كان يتفهّمُهُ. ولم يكن له موقف مضاد له، ولذلك كان يحتضن ابن عمه السيّد محمد باقر الصدر، وهو الشخصية التي انطلقت بحركة «حزب الدعوة الإسلاميّة» في العراق. كما إن العلاقة بينهما كانت حميمة، ولم يبدُ أن هناك خلافاً بين شخصيتيهما. كانت علاقــة السيّــد موسى بالسيّد محمد باقر وبكل آل الصــدر في النجف قوية جداً حتّى إنه تدخَّل لتخفيف الضغوط عليه. والسيّد محمد باقر الصدر لم يرَ أنّ السيّد موسى يسيرُ في الاتجاه المضاد للحركة الإسلاميّة، بل كانت له ظروفه الواقعية، باعتباره شخصيــة قياديــة في لبنان الذي قد لا يكون من الواقعيــة طرح الحكومة الإسلاميّة فيه نتيجة تعقيداته الداخلية. نحن كُنّا نجد تلك المرحلة أن السيّد موسى ليس في هذا الاتجــاه. وقد أشرتُ سابقاً إلى أننا كنا نعيشُ بعض التساؤلات في الخلفية السياسية التي نتجت ربما من الجوّ السياسي الذي كان يهزّ المنطقة والواقع. وهي لا تُقَارن ببعضــ التحفظــات التي كان يُثيرهــا خصوم السيّد موسى الصــدر حول موقفه في بعضــ الجوّانب. فهُمْ كانــوا يُلاحقون كل كلمة يقولهــا ليُسجِّلوا عليه الملاحظات، وهذا ما أعيشُهُ أنا الآن، وليعطوها معنى غير معناها...

إننا نستطيعُ أن نلخِّص السيّد موسى الصدر أنه كان إسلاميّاً في فكره، ولم تكن له أي خلفيات غير إسلامية من قريبٍ أو بعيد.

وكان شيعياً غير متعصّب، بل كان منفتحاً على الخط الوحدوي الإسلامي مع بعض التحفظات في المسألة اللبنانية من خلال بعض الجوّانب المتحركة في بعض المواقع الإسلاميّة هنا وهناك.

ونستطيع التأكيد أنّ السيّد موسى كان منسجماً مع الجوّ المعارض للشيعة. لذلك كان يلتقي عِنْدَهُ بعض رجال الثورة. كما كان يحاوِلُ أن يوسّعَ علاقاته مع الموقع العربي: فكانت علاقتهُ بسوريا وثيقة جداً، وكان يتضايق من مراعاتهم للتوازنات على رغم علاقتهم الوثيقة به، فإذا أُريدَ له أن يُدير مقابلة تلفزيونية، فإنّهم يحاولون أن يتحدثوا مع شخصيات دينية أخرى في لبنان لتحقيق هذا التوازن. كما كان يشكو من بعض الأوضاع التي كانت تمارسها بعض القوى العسكرية أو الأمنية في عدد من المناطق اللبنانية كالبقاع مثلاً، مما قد يُسجّل كنقطة متحفّظة عليه، باعتبار صداقته لسوريا وتصوّر الناس أنه قادر على أن يُغيِّر الكثير من موقع الصداقة هذا. لقد حاول الإمام الصدر أن يؤكد علاقته بعبد الناصر كثيراً، وقد استقبله عبد الناصر وكرّمه وانفتح عليه وخصوصاً بعد أن جلس معه، إذ تبدّلت نظرتُهُ إليه والصورة السلبية التي كان يحملها عنه من خلال تقارير أجهزة المخابرات...

لاحظنا أيضاً أنه وثّق علاقته بالأمير عبد الله في السعودية، ولربما كان يفكّر في أن يتجاوز الموقع اللبناني إلى الموقع العربي، بالإضافة إلى الموقع الإيراني. إنني أتصور أن مأساة السيّد موسى الصدر كانت، في نظر بعض الأجهزة والقوى، أنه تجاوز الخطوط الحمر، لا سيما في الجوّ الذي كان يتحرّك بالنسبة إلى أوضاع المقاومة الفلسطينية. ذلك أن مقاتليها اندفعوا إلى الجنوب الذي هو ساحة السيّد موسى، وموقع حركته، ومسؤوليته. ولهذا أتصوَّر أن هذه الحساسية الجنوبية هي التي تركت كثيراً من التأثيرات في علاقته بالفلسطينيين. وربما كانت تمثّل الخلفية لتأسيس «حركة أمل» كي تنطَلق المقاومة من داخل الجنوب، فلا يشعرُ أحد بأنّ هناك فراغاً يحتاج إلى أن يملأَهُ الفلسطينيون. طبعاً، لا أمتلك معلومات دقيقة عن هذا الموضوع، لكنني كنتُ أحِسُّ بذلك، أو هذا هو الانطباع الذي كوَّنتُه حول هذه المسألة.

۞ بدا الإمام الصدر، وفي ظل الوضع اللبناني المعقّد (مسلمون ومسيحيون، دول عربيــة وأجهــزة أمنيــة وعسكريــة، فلسطينيــون) أن علاقتــه بالفلسطينيين جيــدة، واعُتبِرَ جزءاً من النظام الذي يحــاول التجديد فيه. لكن مدرستكم كانت مختلفة، فكيف تصفون هذا الوضع؟

- لقـد كانــت المدرسة التي كنا نتحــرك داخلها مدرسة الحركــة الإسلاميّة. فنحــن جئنا إلى لبنــان إسلاميين طبعاً. وأذكر دائماً أنني كنــتُ إسلامياً منذ أواخر الأربعينــات، وقبــل أن تتحــرك كل هــذه الأجواء فــي الساحة الشيعيــة بالحركية الإسلاميّــة... فالإسلاميّــة كانــت جزءاً من تفكيــري. ومن الطبيعــي أنني، في المرحلــة المذكورة، لم أدخل عمقَ الواقــع السياسي، إذ إنّ المرحلة كانت مرحلة الحماســ والانفعــال والتصور الحاصل بإمكان تجاوز الواقــع بالوسائل التي يمكن الإنســان أن يُهيِّئهــا، بقطع النظر عن الإمكانات المتوفّرة في هذا المجال. في ذلك الوقــت، كانت المسألــة اللبنانية تعيشُ في دوّامة. فلقد واكبنــا، ونحنُ في المنطقة الشرقيــة (حي النبعة)، حركة الأحزاب المسيحية وهي تتدرّبُ في المناطق القريبة منّــا، كالفنار وســد البوشرية... وكان ذلك يثير في نفوسنــا الكثير من الإحساس بوجــود صــراع إسلامي - مسيحي، يحاوِلُ أن يتمظهــر بطريقة عنفية... وكان هنــاك وجــود للمنظمــات الفلسطينية، وهي كانــت تعيشُ الحذر منــي ومن الناس الــذي يحيطــون بي. أذكر أنــه كان لي بعض الصداقات مع عــدد من المسؤولين الفلسطينييــن الصغــار وقتها، وفكّرنا في تدريب بعضــ شبابنا على أيديهم من أجل حراسة المركز أو الدفاع عن النفس. وبدأ هؤلاء بذلك، لكنّ التعليمات جاءَتهم من القيــادة الفلسطينيــة آنذاك بالتوقف عن التدريب، وكانــت «فتح» هي المشرفة على هــذه المسألة. وسبب هــذا الموقف كان خوف القيادة المذكــورة من تحركنا الذي امتلك شعبية مهمة في تلك المنطقة.

۞ هل أُرسِل الإمام الصدر إلى لبنان رسمياً؟ أم أتــى من تلْقَاء نفسه؟ ماذا عن الصدى السريع الذي لاقاه تحرّكه والذي كان كالنار في الهشيم. بينما تحرّككم أنتم أخذ وقته؟ بماذا تفسرون ذلك؟

- لعلّ الظروف التي أحاطت بقدوم السيّد موسى الصدر وتحركه وبشخصيته، تختلــف عن الظــروف التي أحاطت بي. فالسيّد موسى جــاء إلى لبنان ليملأ فراغ المرحوم السيّد عبد الحسين شرف الدين، الذي كان يُعتبر الشخصية الشيعية الأولى

في لبنان – مع ملاحظة – أنه جاءَ بدعوة من أهل صور. إذ أشاد السيّد عبد الحسين شرف الدين به في زيارته الأولى للبنان، وقبل وفاته. وحين جاء السيّد موسى الصدر، أحاط به بعض الأوضاع السياسية السلبية. فقد نُسِبَ إلى آل الخليل أنهم حاولوا أن يُثيروا حول السيّد موسى مسألة الأخلاقية... ومن الطبيعي أن الأجواء السياسية التي كانت في صور وفي المنطقة يومها لم تكن ملائمة لزعامة آل الخليل. وربما كانت هناك خلفيات للأجهزة اللبنانية التي حاولت أن تستفيد من هذه المسألة بقطع النظر عما إذا كان السيّد موسى الصدر مطلعاً عليها أم غير مُطّلِع، أو منسجماً معها أم غير منسجم... فمن الممكن أن الذين كانوا يحيطون بالسيّد موسى الصدر كانوا على اطّلاع على ذلك، أو إنه من الممكن أن هذه المعلومات لم تكن دقيقة. لكن المسائل كانت تُثار هكذا... لا سيما أن علاقة السيّد موسى الصدر بالشهابية كانت جيدة، وكان الرئيس شهاب يُقدِّرُه، ثم بعد ذلك الرئيس شارل حلو... حتى إنني أعرفُ أنّ علاقته بالمرحوم خالي علي بزّي كانت ممتازة جداً وفوق العادة. ويمكِن أن تكون الأجهزة اللبنانية أرادت إبراز هذه الشخصية في الواقع الشيعي ثمّ اللبناني بشكل فوق العادة. ذلك أن الشيعة الذين كانوا يُعانون الفراغ والانكفاء عن الساحة السياسية اللبنانية العامة تطلّعوا إلى شخصيّةٍ سمعوا من المسيحيين مديحاً لها وتقديراً وثناء عليها. فهم كانوا يعيشون العقدة، مثلاً، أمام ما كانوا يرونه من تقدُّم المسيحيين في الثقافة والمدنية والسلطة...

لقد تهيأت الظروف للاستفادة من هذه المسألة لإسقاط السيّد موسى الصدر أخلاقياً فتحوّلت مثل النار في الهشيم كما يُقال. وإذا بجماهير البقاع والجنوب وبيروت تزحفُ إلى السيّد موسى الصدر لتحثّه على الاستمرار ولتبايعه ولو بشكل غير رسمي في هذا المجال.

أذكُر أنّ الصُحف اللبنانية التي كانت بخيلةً ببعض الأسطر على شخصيات كبيرة، قد فتحت صدرها للسيد موسى الصدر بشكل فوق العادة. وربما رأى بعض الناس في هذه المفردات كلّها، خطأً أو صواباً، أن الأجهزة كانت تريد أن تقدم شخصية شيعية ليست يسارية وليست فلسطينية بالمعنى الحاد في هذه المسألة، مع كونها منفتحة على الواقع اللبناني. والسبب أن السيّد موسى الصدر بدأ في ذلك الوقت بالانفتاح على المسيحيين، وخصوصاً عندما انتمى إلى «الندوة اللبنانية» التي كان يترأسها ميشال أسمر، وكان يُحاضِر فيها، ويتحدث عن البابا بشكل لم يُعهَد من عالمٍ دينيّ كقوله «العظيم والعظيم جداً». ثم كانت زيارتُهُ للفاتيكان،

واعتبـر خصومــه أنّ هذا هو المدخل إلى لبنان عندما ينفتِـحُ البابا عليه فتنفتح عليه أيضاً مواقع المسيحية المتقدمة ولا سيما المارونية. لقد استطاع السيّد موسى البروز كشخصيــة أولى، لا في الموقع الشيعي فقط، بـل حتى في الموقع الإسلامي، كما فــي الموقــع اللبناني. وانفتحت له من خلال ذلك الكنائسـ التي كان يُحاضِرُ فيها، والمواقع الثقافية. وبدأ الأدباء والمثقفون يتحدثون عنه في شكل غير معهود، وبما كان خصومه يُثيرون الشكّ حوله في هذا المجال...

أتصــوّرُ أنّ المسألــة لم تكن عادية. فلا بدّ من وجود شيء من السرّ، ونحن نعــرف لبنــان، ونعرف صعوبة أن يبرز إنسان بهذه السرعــة أمام هذه الفسيفساء الطائفية والثقافية والعلمية لو لم يكن هناك وضع سياسي يتصل بلبنان في الخطوط المفتوحــة علــى المنطقة في هذا المجــال، وذلك بقطع النظر عمّــا إذا كان خاضعاً هــو لهــذا الوضع أو غيــر خاضع. فأنت قد تخضع لبعض الأوضــاع التي «تُلمِّعُ» شخصيتــك مــن دون أن يكون لــك دور فيها. أذكر أنه ألقــى خطابه الشهير الذي هاجـم فيه رجال الدين الذين وقفوا ضــده، فسجَّلوا ذلك عليه وبدأوا يُثيرون الدنيا على ما ذكره من أنّهُ جاءَ يرفعُ غبار السنين عن رجلِ الدين وما نحوه...

۞ ما دور شخصية السيّد موسى في ذلك؟

– قُلـتُ إنّ هنــاك فرقاً. إنّ سِحْرَ الشخصية فــي بلدٍ يتمتعُ الكثيرون فيه بسحر الشخصية، وبالإمكانات الخطابية، والثقافة (حتى الفلسفية) إنّ هذه المسائل قد تُساعد علــى انفتاح الساحة عليه، ولكن ليس بهذا الحجــم. فتصّور بلداً يسيطر عليه اليمين بــكل مواقعه، وبلداً تعيش التيارات فيه في شكل حادّ جداً، ولم يكن في ذلك الوقت السيّــد موســى قد انفتح على اليســار في هذا الشكل الحادّ جــداً، وكان اليسار قد بدأ يظهر... فحين تحدث المسألة في هذا الشكل فعندها لا يعود سحر الشخصية كافياً. ذلك أنّ الكثيرين في لبنان يمتلكون سحر الشخصية ولم يحصُلْ لهم ما حصل له.

۞ ما هــو الشعور الــذي انتابكم جــرّاء ذلك؟ شعــور الضيــق أو اليأس أو الإحباط بالنسبة إلى حركتكم في ظِلّ هذه التحركات والأحداث التي تحدثت عنها كلها؟

– الواقــع أني لم أعش هذه الأحاسيســ لسبب بسيط جداً هو أنني كنتُ واقعياً منــذ البدايــة. فأنا كنــتُ أعرفُ أنني حين جئـتُ إلى لبنان لم تكــن لديَّ الظروف الموضوعيــة التــي تسمحُ لي بأن أنفتحَ بشكل واسع. فأنــا جئتُ إلى «النبعة» حينما

عُدتُ من العراق لأستقر في لبنان. و«النبعة» لا تُمثِّلُ موقعاً يمكنُ الإنسان فيه أن يُطِلّ على الواقع اللبناني، لأنها منطقة البؤس والتخلُّف...

وحتى عندما سمعَ السيّد موسى أني سوف أستقر في النبعة، استغرب ذلك وذكَرَ أن مستوى «فلان» ليس النبعة. كنتُ أحاولُ أن أتحرَّكَ في شكل هادئ. قمتُ بجولات في الجنوب كل سبت وأحد، وكنتُ أعقدُ الجلسات الحوارية وأتحدث في المناسبات، كما كنتُ أطِل على الضاحية لأعقدَ الجلَسات، وكنت أعطي الدروس للشباب المثقف الناشئ. وكنت آتي من النبعة إلى المصيطبة (في بيروت) وتحديداً إلى منزل الحاج حسن رعد الذي يملِكُ ثقافة جيدة، حيث ألتقي الشيخ نعيم قاسم وأخاه ومحمد رعد وآخرين. كانوا يدرسون عليّ كتاب «فلسفتنا»، وكتباً أخرى. وكُنّا ندير الجلسات الحوارية حتى داخل البيوت، كنتُ أتحرك بشكل هادئ، كما قلت لك. وحتى حين كُنّا نختلِفُ مع السيّد موسى لم يكن الخلاف يختزنُ في داخله أي حالة سلبية، بل كان اللقاء والاجتماع هما الأساس بيننا...

۞ هناك عمل النوع وعمل الكم! البعض قال إنكم عملتم مع النوع بينما عمل السيّد موسى على الكم...

– لا أظن أن القضية كذلك. بعبارة أخرى، هناك أسلوبان، ولا أظن أنه كان يُفكّرُ في الكم وكنتُ أفكرُ في النوع. فالإنسان الذي يمتلك أسلوباً في الحياة يحاول أن يُقحِمَ أسلوبه في ساحتِه بالوسائل التي يمتلكها. ومن الممكن جداً أن السيّد موسى الصدر لم يكن يفكّر في الحصول على هذا الكمّ، لأن المشكلة تكمن في الكثير من الظروف الموضوعية التي تحملك أو تسقطُكَ لا دخْلَ لك فيها. هناك كلمة للإمام علي (ع)، لا أريد أن استشهدَ بها في القضية الخاصة، ولكن أعطيها مثالاً لذلك أو للفكرة: «إذا أقبلت الدنيا على أحد أعَارَتْهُ محاسِنَ غيره، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسِنَ نفسه...». تلك هي المسألة، فقد تأتيكَ الظروف وترفعك من دون أن يكون لك خيارٌ في ذلك، أو إنها تُحجِّمك ولا علاقة لك بذلك.

۞ البعض يقول إن غياب السيّد موسى هو الذي جعل أكثر من شخصية تبرز...

– من الطبيعي جداً حين يكون هناك فراغٌ، أن تتجه الناس إلى مَن تعتبر أنه يملأ الفراغ. لكن المسألة أنني والشيخ محمد مهدي شمس الدين كُنّا موجودَيْن ولكن ليس في حجم السيّد موسى. لم تكن المسألة أننا انطلقنا من فراغ السيّد موسى، فنحن

كنا موجودين في الساحة ومعه والناس كانت تُشير إلينا حتى غُيِّب السيّد موسى...

✪ ما كانت نسبة امتدادكم قبل غياب السيّد موسى؟

– كنتُ أمتلكُ امتداداً شعبياً في المجتمعات المثقّفة، ومجتمعات المؤمنين. هذه هي المجتمعات التي كنتُ أحدِّثها وأتحاورُ معها، لكن المشكلة التي كنت أواجهها هي الصراع مع الأحزاب اليسارية كالحزب الشيوعي، والبعث... لم يكن للأحزاب اليمينية ساحة في ساحتنا حتى تواجهنا، لذلك كانت تقف في مواجهتنا كما كانت تقف في مواجهة السيّد موسى. لكن قوّة السيّد موسى كانت تُحجِّمُ بعض مواقفهم آنذاك.

✪ غياب السيّد موسى (أو استشهاده) وتفسير سكوت الكثير من القوى الحليفة للسيّد موسى على هذا الأمر؟

– من الطبيعي أن هناك دولاً كانت تحارب السيّد موسى. فمصر، وقبل لقاء السيّد موسى بجمال عبد الناصر، كانت تشنُّ حرباً شعواء عليه. والكثير من المنظمات الفلسطينية، وربما كلها كانت تعتبره مشكلة مع اختلاف الدرجة. وفي ضوء ذلك، يفكّر بعض الناس أن غياب السيّد موسى هو قضية فلسطينية، انسجمت مع قضية ليبية. ذلك أن الحملة على السيّد موسى كانت موجّهة من القوميين العرب في صورة عامة، وربما حتى من خلال بعض الدول العربية التي كانت تسير في هذه الدوامة وفي هذا المقام، من خلال بعض الجوّانب المذهبية وما شاكلها من الجوّانب الفارسية مثلاً... فلقد كان خصومُهُ يربطون بين مجيئه إلى لبنان وبين سياسة الشاه. لكنني أعتقدُ أن المسألة ليست واقعية... ربما فكَّر السيّد موسى، في بداية الأمر، في ألاّ يدخلَ في حرب مع الشاه، أو أن تكون علاقاته معه عادية. لكن يبدو أن الجماعة كانوا يطلبون شيئاً أكبر، ولم يكونوا مستعدين لذلك.، وأتصور أن إيران كانت تحاوِلُ أن تستفيد منه، ولكنّه لم يفكِّر في ذلك. كان أوْعى من أن يقدم على أمرٍ كهذا.

✪ هل كان السُنّة في تلك الفترة يخشون السيّد موسى؟

– نعم. كانت هناك أحاديث أن السيّد موسى يريد أن يجيِّشَ الشيعة لكي يكونوا البديل من السنّة. كُنّا نعرفُ أن الشارع السُّنِّي كان شارعَ عبد الناصر، وشارع المقاومة الفلسطينية، ولذلك كنا نعرف أيضاً أن هذا الشارع كان لا يرتاحُ

إلى السيّد موسى الصدر، والمقصود هنا الشارع السنّي السياسي...

۞ **عبد الناصر أتى إلى السلطة قبل مجيء الإمام الصدر إلى لبنان، وسماحتك أسّست الشارع الإسلامي. فماذا كانت علاقة ناصر بالموضوع؟**

– صحيح هذا، ولذلك نحن نقول الشارع السنّي، باعتبار أن الشارع السنّي كان أكثر يسارية أو ناصرية من خلال الحسّ الإسلامي في ذلك الوقت. أما الشيعة فكانوا لا يبتعدون أيضاً عن مسألة عبد الناصر ولكن ليس في الشكل الذي كان الشارع السني فيه. لذلك كان هناك خصومٌ للسيد موسى الصدر في الشارع الشيعي يقودهم علماء كبار تحركوا للتشكيك فيه في مواجهة الخط السياسي الناصري أو اليساري أو القومي...

۞ **أعود للسؤال عن قتل أو استشهاد أو تغييب السيد موسى الصدر.**

– إحساسي بأنّ السيّد موسى الصدر قُتِلَ، واستُشهد، لأنه ليس من الأشخاص الذين يُخْطَفُون ليبقوا، ولأنّ الظروف التي أحاطت به لا تُساعد على اعتقاله، ولأنّ الذين اعتقلوه ماذا يفعلون إذا أطلقوه؟ ولماذا يبقونه عندهم؟ وفي انتظار ماذا؟

إنني أتصور أن السيّد موسى الصدر قد تجاوز خطوطاً حمراء عربية، وربما تجاوز خطوطاً حمراء إيرانية، وخصوصا حين شنّ الحملة على الشاه، وأقام احتفالاً للدكتور علي شريعتي الذي كان معارضاً وحضر جنازته. كما أن هناك التقاءً طبيعياً من القذافي مع هذه الخطوط ولا سيما العربية منها. والخطوط الفلسطينية ليست بعيدة من هذه الأجواء في تصوّري.

۞ **هل كان القذافي جزءاً من الخطة أم استُعملَ أداة لذلك؟**

– أتصور أنه استُعمِلَ أداة، وهو قابلٌ أن يكون أداةً من ناحية طبيعته ومزاجه. وقد أثبتت لنا المعلومات الكثيرة أن النظام الليبي من أكثر الأنظمة العربية دمويّةً...

۞ **في كل هذا الحديث، لم نأتِ على ذكر إسرائيل، مولانا؟**

– من الممكن جداً أن العنصر الإسرائيلي لم يكن آنذاك بارزاً في تدخّله المباشر في لبنان، بحيث يرى السيّد موسى همّاً له. ومن الطبيعي أنهُ كان يُفكِّرُ في السيّد موسى كمشكلةٍ مستقبليةٍ له لأنه أنشأ «حركة أمل» من أجل مقاتلة إسرائيل،

وتحــدَّث فــي شكل يفــوق العادة عن الاحتــلال الإسرائيلي. ومما قالــه إنَّ القدسَ لــن تتحرّر إلاّ على أيدي المؤمنين. لقد كان السيّــد موسى يُمثّلُ المشكلة المستقبلية لإسرائيــل التي كانت مشغولة آنــذاك بالوجود الفلسطيني، مع كل خلفياته العربية، ولهذا فإنّها لم تتحرك على نحو فاعل وكبير جداً ضد السيّد موسى الصدر...

۞ ألم يكــن هناك نوعٌ مــن التقــاء المصالح، باعتبــار أن الهــمّ الأساسي عنــد إسرائيل كان الوجــود الفلسطينــي؟ والإمام الصــدر، وليس لمحبّة بإسرائيل، لاحــظ أن هناك طُغيانــاً فلسطينياً على الشيعة، فــأراد إزاحة الفلسطينيين ليتصدى الشيعة اللبنانيون للمقاومة.

– رُبَّما تُناقَش هذه الفكرة، لأن السيّد موسى الصدر، حتى في بعض التعقيدات التــي حصلــت بينه وبيــن الفلسطينيين، لــم يتحرك بِحدَّة يبــدو منها أنه يريــدُ إخراجَ الفلسطينييــن مــن الجنوب، أو يريد معركة لإخراجهــم منه. فهو كان حذراً في ذلك، وكان يُحاولَ ألاّ تحدُث بينَهُ وبين الفلسطينيين أي معركة أو بينهم وبين الجنوبيين... ولم تكن الظروف مهيّأة لذلك، سواءٌ على مستوى لبنان أو على مستوى عربي...

۞ مولانا، تحدثتم بعد غياب الشيخ شمس الديــن أنكم البقية الباقية من هذا الجيل العلمائي. بماذا تشعرون حين تعــودون إلى هذا التاريخ من ناحية ذاتية، سواء بالنسبــة إلى السيّد موســى الصدر أو إلــى الشيخ شمس الدين؟

– الواقــع أنــي كنتُ أجــدُ نفسي في السيّــد موسى الصــدر كصديق وكمثقف تستطيع أن تتحدث معه عن كل شيء، إذ كان رحب الفكر ولا يتعقّد من أي قضية تبحثها معه. وكذلك كنتُ أجدُ نفسي في الشيخ محمد مهدي شمس الدين الذي كانت علاقتي معه مختلفة باعتبار أنه رفيق طفولة ورفيق شباب، وكان رجلاً يمتلكُ ثقافة قلّمــا نجدُ نظيرهــا عند علماء الشيعة والسنّة والمسلمين. كنــتُ أشعر بالمأساة نتيجة الظــروف التي تفصلني عنه ولم تكن هذه الظروف بمبادرة منّي... إنني، عندما أتصــور هذين الشخصين، أتصــورُ أنهما تركا فراغاً كبيراً، ســواءٌ على المستوى الثقافــي أو غيــره... فالسيّد موسى ترك فراغاً علــى المستوى السياسي وإن كان يملكُ رحابة ما كان يمتلكها الشيخ شمس الدين... أنا لم أكن سلبياً مع أحد، وأحب أن أقــول إننــي لا أفهمُ السلبيــة، ومشكلتي أن الآخرين يحبــون أن يكونوا سلبيِّين معــي... أما فــي ما يتعلق بما ذُكِرَ في إحدى الصُحف مــرّة حولَ ما نُقِلَ لي عن

مصيـر السيّد موسى الصدر، أتذكّر إنني سألـت أحد قادة إيران الكبار عن مصير السيّـد موسى، فأجاب: «أنت ما رأيك». رددْت: «رأيي أنه استُشهدَ». ثنّى قائلاً: «وهـذا هو رأينا». سألتُ: «لماذا لـم تُطالبوا به»؟ أجاب: «إن الظَروف لم تسمح بذلك». وقد سمعنا عن عبد الحليم خدام أنه يُسمِّيه الإمام الشهيد.

۞ ماذا عن إيران وما تردّد حول دورهـا بالنسبة إلى هذه القضية؟ لقد ذُكِرَ أنها لم تقم بما هو مطلوبٌ منها حيال ذلك؟

– علينـا أن نكـون واقعييـن وعادلين. كانـت إيران في حاجة إلـى ليبيا في مرحلةِ الثورة وما بعدها. وليس من الطبيعي لأي دولة أن ترهن سياستها لحساب قضية شخص مهما كانت قيمته. فإيران لم تترك مسألة السيّد موسى الصدر، لكنّها شعرت أن لا نتيجة لها.

۞ «حزب الدعوة»، اللبنانيون باستثناء الشيعة لا يعرفون شيئاً عنه. هناك مَن يعرف الكثير عنـه، لكن كثيرين لا يعرفـون إلا القليل ومن الإعلام. من مواكبتك للأحداث هل يمكن أن تُحدّثنـا عن إنشاء «حزب الدعوة» أو تأسيسه؟

– «حـزب الدعوة» يُمثّلُ قلقاً فكرّياً إسلاميّاً في الساحة الشيعية العراقية. ولم يكـن هناك فـي الساحة الشيعية علـى مستوى العالم حزب إسلامـي سياسي، على طريقـة «الإخـوان المسلميـن»، أو على طريقـة «حزب التحريـر». كانت هناك حركـة «فدائيان إسلام» التـي يقودها نواب صفوي الذي تأثـر ربما بـ «الإخوان المسلميـن». لكنّها كانت حركة محدودة جـداً، وأخذت بأسلوبه العنفي الذي قضى عليها. لذلك كان لدى بعض الشباب الشيعة إحساس، وخصوصاً الذين منهم عاشوا فـي أجواء «حـزب التحرير» ومن قريب لأنه كان له وجود في العراق وإن غير واسـع من الناحية الفكرية، وفي «أجواء الإخوان المسلمين» من بعيد، كان لديهم إحساس بضرورة التجمّع. كانوا يلتقون ليتحدثوا عن هذا الموضوع ولكن في شكل ساذج وبسيط، إذ كانوا يفتقرون إلى الثقافة السياسية وإلى الكثير من الثقافة الحزبية الإسلاميّة الواسعة. ولعل أفكارهم كانت أقرب إلى الضبابية منها إلى الوضوح. لقد التقـت هذه المجموعة، والتقيتُ معها لأن أعضاءها كانوا في معظمهم أصدقاء لي. لكن الجلسات كانت أقرب إلى الحديث العام منه إلى الخاص. لم يكن هناك تنظيم عندهم. ثم التقت هذه المجموعة مع السيّد محمد باقر الصدر الذي بدأ يفكر إسلامياً

بعد أن كان مستغرقاً في عالم الفقه والأصول في دراسته الحوزوية التي برز فيها مبكـراً. وبرز من هذه المجموعـة المتحركة السيّد مهدي الحكيم ابن المرجع السيّد محسـن الحكيم، الذي اغتالتـه المخابرات العراقية في السـودان في عهد الصادق المهـدي. ومـن أعضائها أبو حسن السبيتي الذي بدا أيضـاً أن المخابرات العراقية اغتالتـه بالتعـاون مع المخابرات الأردنيـة. وإلى جانبهما، الحـاج عبد الصاحب دخيـل الـذي اعتقَلَه النظام العراقي وذَوَّبه بـ «الأسيـد». وهناك أسماء كثيرة غير بـارزة. وبـدأ السيّد محمد باقر الصـدر يبرز أيضاً كطاقة فكريـة حين ألّف كتاب «فلسفتنا» الذي ردّ فيه على الماركسية. يومها بدأ التنظيم. وكان السيّد محمد باقر الصـدر هـو الذي يكتب دستور الحـزب الذي تعارفَ عليه الناسـ باسم «الأسس للدعـوة الإسلاميّـة». وهو موجود في معظم أدبيات «حـزب الدعوة»، وقد نُشِر فـي وقت من الأوقات. وبقي هذا الحـزب محدوداً جداً وذلك ما بين عامي 1957 و1958. ومـن الطبيعـي أنني كنتُ في هذا الجوّ لكني لـم أدخُل التنظيم، ولم يكن الإخـوان يتعقّـدون من حضوري لأني كنتُ إسلاميّاً حركيـاً على نحو بارز جداً. وعندمـا حَـدَثَ الانقلاب على الحكم الملكي، وجاء عبـد الكريم قاسم وتحرك المدّ الشيوعي في العراقِ، شعرَت «النجف» بالخطر والاهتزاز، لأنه كان أول تجربة مضـادة ملحدة تعملُ على اجتياح العراق. ومـن الناحية العقائدية وصفوه بـ «المدّ الأحمـر». في ذلك الوقـت تأسست «جماعة العلماء»، وبدأت التحرك على أساس احتـواء عبد الكريم قاسـم، وكانت تُصدِرُ منشورات للجماهيـر تشتمل على بعض الجوّانـب السياسيـة والإسلاميّة وتشيد بعبد الكريم قاسم باعتبار أنه مسلم وذلك من أجل احتوائِهِ، لأنه كان هو يلعَب هذه اللُعبَة... ثم بدأ «حزب الدعوة» التحرك في هذه الساحة، وكانت المنشورات الصادرة عنه يكتبها قياديّون فيه. تلت ذلك حملة دينية على الحزب الشيوعي في النجف، فأصدر المرحوم السيّد محسن الحكيم أول فتوى أن الشيوعية كفرٌ وإلحاد أو ترويجٌ للكفر والإلحاد. فمن انتمى فكرياً إليها هو كافرٌ وملحد، ومن انتمى سياسيّاً فهو مروِّج للكفر والإلحاد. وتتابعت فتوى العلماء مـن المرجعيات الأخرى، وحدثت هـزّات سياسية، وكان «حزب البعث» يحتمي ويختفـي وراء تحـرُّك العلماء، خصوصاً أن عدداً مـن شبابه كانوا أبناءً لعلماء في «جماعة العلماء» في النجف الأشرف.

۞ هل كان لـ «جماعة العلماء» علاقة بعبد الكريم قاسم؟

- لم تكن لها علاقة به، لكنّها كانت تحاول أن تجتذِبَهُ وتأمَنَ شرّه. وأصدرت

مجلّة الأضواء منذ 42 سنة. صحيح أنّ صدورها كان تحت اسم «جماعة العلماء»، لكنّهـا كانت تحت إشراف «حزب الدعـوة»، وكان السيّد محمد باقر الصدر يكتب افتتاحيتهـا الأولى تحـت عنوان «رسالتنا»، وكنتُ أكتـبُ الافتتاحية الثانية بعنوان «كلمتنـا»، ثـم حدثت ضغوط علـى السيّد محمد باقـر الصدر فانسحـب من كتابةِ الافتتاحيـة بعد العـدد السادس. وكان ذلك نتيجة ظـروف حوزوية أرادت له أنْ لا يبـرز بهـذا العنوان الحزبي لأن له مستقبلاً مرجعياً. وبقيـتُ أنا أكتب «كلمتنا» وأصبحـت هي الافتتاحيـة الأولى، ولمدَّة ست سنوات. وقـد جمعت هذه الكلمات في كتابي «قضايانا على ضوء الإسلام». لقد مثلت هذه الافتتاحيات كلمات حركية إسلاميـة تتحرك فـي ذلك المناخ الإسلامـي الحماسي الذي لا يلتقـي مع أي تيار آخر باعتبار الذهنية الإيديولوجية الحادة... بقيتُ في الجوّ الإسلامي وداخل مناخ الحركـة، لكنني لم أنتـم إليها تنظيمياً. كان «حزب الدعـوة» ككثير من الأحزاب العربيـة غيـر الإسلاميّةَ يأخـذُ بنظام الخلايا علـى الطريقة الماركسيـة. ولم أكُنْ أشـرِف علـى أي خلية أو جزء من أي خليّة، لكنني كنتُ في هذه الأجواء، وكنتُ أتحـدث مع العلماء عن إيجابيات الحركة الإسلاميّـة. أذكرُ أنني تحدثت مع الشيخ محمـد مهـدي شمس الدين فـي النجف عن الحركة الإسلاميّة مـن دون أن أدعوه إلى الانتماء إليها، كما لم أدْعُ نفسي. وتحدثت مع الشيخ محمد مهدي الآصفي في الأمر نفسه أيضاً.

۞ هل استقطب «حزب الدعوة» معظم الشيعة العراقيين؟

- عندمـا بـدأ «حزب الدعـوة» حركته، استطاع أن يأخـذ حماية من خلال المرجعيـة، إذ كان يضـم في صفوفه مثلاً، السيّد مهـدي الحكيم ابن المرجع السيّد محسن الحكيم. وكان السيّد محمد باقر الحكيم، إلى جانب السيّد محمد باقر الصدر، وكانـت مرجعيـة السيّـد محسن الحكيـم منفتحة وتتميّز عـن المرجعيـات التقليدية بانفتاحهـا، كان الرجـل يمتلك رحابة حتى في الفهم السياسي، ولذلك أصدر فتوى بإعطـاء الحقوق الشرعية للمقاومة الفلسطينية في وقت مبكر جداً. استطاع «حزب الدعـوة» اجتـذاب رضى السيّـد الحكيم، حتى وجِّهت إليه أسئلـة شرعية مثل: هل يُشجّعُ الحركة الإسلاميّة الحزبية؟ وكان يجيبُ بإيجابية.

استطـاع «الحزب» أن يستفيد من مرجعيـة السيّد الحكيم وأن ينفذ إلى الكثير مـن المواقـع التي تتحرك فيها المرجعية، فاستطاعوا مثلاً الحصول على أن يُرسل

المرجع وكلاء إلى أكثر من موقع في العراق. كما بدأ السيّد الحكيم أسلوب إقامة المكتبات الإسلاميّة في العراق وكان «حزب الدعوة» أكثر من يشرف عليها. وكان الشيخ شمس الدين أحد وكلاء السيّد الحكيم في بلدة الديوانية، وقد أسس مكتبة عامة بإشراف السيّد الحكيم هناك...

بذلك استفاد «حزب الدعوة» في امتداداته وسط هذه الأجواء، حتى إن السيّد الحكيم عندما كان يتحرك معارضاً الحكم كان «حزب الدعوة» هو الذي يُثير الأجواء، ويخلق الظروف المؤاتية لحركته التي كانت حركة مؤاتية ومحدودة ولم تكن حركة حكم. ونحن نعرف أن مصطفى البرزاني آنذاك كان له صلة بالسيّد الحكيم باعتبار أنه كان معارضاً للحكومة العراقية...

✪ هل توسَّع نفوذ حزب الدعوة إلى خارج العراق؟

- استطاع «حزب الدعوة» أيضاً أن يدخل الجامعة باعتبار أن كوادِرَه كانت مثقفة. استطاعت دخول الجامعة وأخذ ما يُناسب الحوزة منها. جاء طلاّب يحملون شهادات جامعية ودخلوا الحوزة، فحصل «الحزب» على كوادر ثقافية في الجامعة، وكوادر جامعية في الحوزة، مما جعَلَهُ إلى جانب المكتبات والوكلاء ممتدّاً، فتجاوز العراق إلى الخليج في أكثر من موقع، وإلى لبنان على نحو محدود جداً. ثم حدثت الأوضاع السياسية الحادة التي اضطُهِد فيها السيّد محسن الحكيم واعتصم في داره ولوحِقَ ولدهُ السيّد مهدي الحكيم، وبدأ العد العكسي لذلك. لا شك في أن العراق ثار من أقصاه إلى أقصاه مبايعاً السيّد الحكيم الذي لم يكن في وارد ثورة، فلم يحدُث شيء. وهذا حصل أيام عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف، بعدها توفي السيّد الحكيم فلاحَقَ النظام والحكم العراقيّان «حزب الدعوة»، واللذان أصدرا حكماً رجعياً بإعدام كُلِّ منتسب إلى «حزب الدعوة». وقد كان السيّد محمد باقر الصدر قد أصدر فتوى بحرمة الانتماء إلى حزب البعث العراقي، كما أنه أصدر، نتيجة بعض الظروف الحوزوية والأمنية، بياناً بعدم انتماء الطلاب الحوزويين إلى «حزب الدعوة». لم يكن ذلك تنكّراً للحزب الذي بقي السيّد الصدر معه إلى آخر حياته، بل لأن الصدر كان يفكر أن الحوزة تنتج علماء للمناطق، والعالِم لا بد من أن يكون للناس جميعاً. فإذا كان مصبوغاً بصبغة حزبية فإنّه سوف يكون مع جزء من الناس ولا يكونُ للناس كافة. بعدها بدأتِ الاعتقالات والإعدامات لأعضاء «حزب الدعوة» وقياداته. ومن أوائل الذين أُعدموا أحد قياديي الدرجة

الثانية من «الدعوة» وهو الشيخ عارف البصري وخمسة معه. ثم بدأت الاعتقالات والتشريد والملاحقات، مما جعل الحزب يعيش مشكلة كبيرة في العراق فتفرَّق أعضاؤه وقادته في العالم بعد ذلك.

جعلت هذه الأحداث عدداً من الأشخاص المنتمين إلى «الدعوة» ينتقلون إلى لبنان. فبدأ هذا التنظيم يعمل، وكان الأساس الذي ربّى القيادات التي صارت في ما بعد قيادات «حزب الله».

۞ هناك، من جهة، كتابتكم عن «حزب الدعوة» وتفاعلكم وحماستكم له وعلاقتكم العضوية به إذا جاز التعبير. وهناك، من جهة أخرى، نفيكم للالتزام تنظيمياً فيه. كيف نفسّر ذلك؟

– هناك فرق بين أن تكون جزءاً من الحركة الإسلاميّة وجزءاً من التنظيم. أنا أكرّرُ دائماً أنني مع كُلّ التيارات الإسلاميّة ولستُ جزءاً منها. إنني موكَلٌ بالإسلام أتبعُهُ دائماً، ولا أطيقُ أن أكون جزءاً من تنظيم. حتى حين تأسّس «حزب الله» وعُرضت عليّ فكرة الموقع، قلتُ لهم إنني لستُ جزءاً من الحزب، ولكن تشاورونني في الأمور وما أوافق عليه أغطيه، وما لا أوافق عليه ترون الطريق له. وأعتقد أنه منذ انطلاقة «حزب الله» كنا منفتحين على الخط الإسلامي والمقاومة... وهم يعرفون أن كُلّ هذا الجيل المقاوِم الأوّل والثاني والثالث تربّى على أفكاري.

۞ هل انتهى «حزب الدعوة» ولن تقوم له قائمة بعد الضربة التي وُجّهت إليه، أم إنه لا يزال موجوداً ولكن في صيغة مختلفة؟

– إن «حزب الدعوة» موجود في العالم، لكنّه لم يكن في موقعه في العراق حيث توجد بقايا منه وله حركة معارضة مسلّحة، إلى جانب القِوى الأَخرى. لكن وجوده ليس فاعلاً كي نقول هناك حركة حزبية «دعوتية» سياسية فاعلة. هو موجود بكوادره. ومن الطبيعي جداً أن يكون على هذه الحال جرّاء الضربات التي وُجِّهت إليه، حتى إنهُ في بداياتها، وقفت الثورة الإسلاميّة في إيران ضد «حزب الدعوة»، إما لعدم إيمانِهِ بولاية الفقيه، كما كانوا يقولون عنه، وإما لأن بعض شخصياته، كان له اتجاه مماثل لاتجاه مهدي هاشمي والمرحوم محمد منتظري. كانوا في إيران ضِدّ «حزب الدعوة». بعد ذلك تبنت إيران «حزب الله» ولم تتبنّ الأحزاب الإسلاميّة، على رغم انسجام «حزب الدعوة» مع الجمهورية الإسلاميّة

فيهـا، وإعلانه ولاية الفقيه في أدبياته. لكنّ هـذا الحزب عانى كثيراً، وخصوصاً الآن بعـد أن حصلـت المشاكل داخل الحركة الإسلاميّـة العراقية، من خلال تبنّي إيران للسيد محمد باقر الحكيم كرئيس للمجلس الأعلى، وخروج «حزب الدعوة» مـن المجلـس الأعلى وتحوله إلى الاستقلال. كُلّ ذلـك أضعف «حزب الدعوة»، لكنّـه لا يـزال قوّةً وإن لم يكن من الناحيتين التنظيمية والعراقية... وإن لم يمتلكِ أيضاً الكثير من الفرص السياسية للظهور إعلامياً.

الجلسة الرّابعة

⚙ هناك مبدأ عندكم، لم تتزحزحوا عنه، وهو عدم التزام أيٍّ تنظيم حزبيّ، فهل كان لديكم مشروعٌ كبير منذ البداية، كالمرجعية مثلاً؟

– الواقـع أن المرجعيـة لـم تكـن طموحـاً لـي، لأنني لـم أعِشِ الظروف الموضوعيـة التـي تُؤهّلُ الإنسان للوصـول إلى هذا الموقـع. فالمسألة في النجف كانـت تخضـع لموازين معيّنة، منها أن يكون الشخص قد وصل إلى مرحلة ممتدة مـن أربعيـن إلى خمسين سنة في الدراسة، مع وجود جهـاتٍ تُموِّلُهُ ولو بالحقوقِ الشرعية، كما يحدثُ بالنسبة إلى الإيرانيين. وقد يكون لبعضِ الإيرانيين المتقدِّمين فـي العلـم صلة بالتجّار الموجودين في بلدِهم إيران والذين يثقون به، فيرسلون له حقوقهم الشرعيّة لتوزيعها على الطُلاّب.

فالجانـب المالي قـد يترافق مع الجانب العلمي في هذا المقـام، ولم يُصادِفْ أنّ شخصـاً لبنانيّـاً في النجف وصل إلى مستـوى المرجعية، وحتى العربي أيضاً. كانـت المرجعية للإيرانيين. فهم الذين يملكون الامتداد الشيعي الواسع في إيران، والجانـب المالي الذي يمدّون به طلاب العلم فـي النجف، لأن الإمدادات العربية لم تكن في ذلك الوقت بالمستوى المطلوب.

فالعربـي حُوْرِبَت مرجعيته كالسيّـد محسن الحكيم، وكانت حرباً فوق العادة باعتباره عربياً. لكنّ ظروفاً معينة ساعدته مع وزنه العلمي للامتداد في المرجعية.

لهـذا، لـم تكـن هنـاك أسس لهـذا الطمـوح عندي. لكننـي بطبيعتـي ولدتُ وتحرّكـتُ حُرّاً، فلا أرتبطُ ارتباطـاً عضويّاً بأي جهة بالمعنى التنظيمي، وحافظتُ علـى حُريتي حتـى الآن، لأن هذا الأمر جزء من تكوينـي النفسي. حتى إنّ السيّد محمـد باقـر الصدر، رحمه الله، كان لديه طموح مـع شعوره بأنّ كونه عربيّاً لن

يُفسِحَ له المجال. فحين دَخَلَ أجواء الشباب والجوّ الحركي الإسلامي تبنَّتْهُ الحركة الإسلاميّـة، وهي التي أفسحت له المجـال لبداية المرجعية. لكنّ السيّد لم يصل إلى المرجعية الشاملة، إذ كانت مرجعيته على هامش مرجعية السيّد الخوئي، رحمه الله. ولهذا كان بعض المتصلين بمرجعية السيّد الخوئي يشنّون على ولادة هذا النوع من المرجعيـة حرباً قوّية جدّاً رغم تقدير السيّـد الخوئي للشهيد الصدر الذي كان تلميذاً لـه. مرجعية الشهيد الصدر واجهت مشكلات كثيرة، ولم تستطع الاتساع، ثم جاء اغتياله من قبل النظام العراقي. وكانت طبيعية الحملة عليه بعد ذلك.

أنا تركتُ النجف مبكراً، ولبنان ليس موقع مرجعية وحتى السيّد عبد الحسين شرف الدين لم يكن مرجعاً، والسيّد محسن الأمين كان عنده مرجعية محدودة جدّاً بحكم وجوده في الشام.

قضيـة المرجعيـة بالنسبة إليّ كانت من قبيل المفاجـأة والصدمة لكثيرين جرّاء مـا أحـاط شخصيتي من الجوّ السياسـي والأدبي والثقافي. ربمـا إن الجانب الفقهي والأصولـي الـذي درجت عليه منذ أن جئتُ إلى لبنـان، ومدرسة «المعهد الشرعي الإسلامـي» التي خرجت الكثير مـن العُلماء، ودرس البحـث الخارج، والدروس العاليـة فـي الفقه والأصول التي أعطيهـا منذ أكثر من ثلاثين سنـة، ربّما كل ذلك ساهـم في تفكيري في المرجعية. لكنّها شكلت صدمة للمرجعيات الموجودة. وهو ما يُفسِّـرُ الحملـة الصعبة عليها التي امتدت في العالم الشيعـي كله، وبمختلف الوسائل، بحجـة أنها مرجعيـة خارجة عن الخط والقواعد المتعارفة للمرجعية التي كانت عادة في النجف (العراق) أو في إيران. أما أن تكون المرجعية في لبنان وتتسع من خلال اهتمام الإعلام، فهذا ما يُفسِّر الكثير من أسباب الحملة.

خلاصة الفكرة أن عدم التزامي تنظيماً معيّناً لم يكن من خلال طموح ما، مع أننـي لست ضد التنظيم والعمـل التنظيمي السياسي الإسلامي، وليس بسبب وقوف هـذا الشيء ضد طموحي، لكـن لأنه ضد إحساسي بالحرية وتوقـي إليها. ولهذا، فالمجلـس الإسلامـي الشيعي الأعلى مثلاً، ومن خلال تقديـر السيّد موسى الصدر لـي، كان مـن الممكن أن أكونَ نائبا لرئيسـه. لكنني، منذ البداية، أعلنت أنني لن أنْتخِـبَ ولـن أُنْتَخَبَ. وهذا لا يعنـي أن هذه المؤسسات غيـر نافعة ومنتجة، لأن إنتاجهـا قد يكون جيداً خصوصـاً في الوضع اللبناني المركّب طائفياً، ومن مجالس ملّـه. فلم أحمـل أي عقدة من الانفتاح على المجلـس والقائمين عليه، لكنني لستُ جُزْءاً منه، وكذلك في موضوع «حزب الله»...

✿ هل علاقتكم مع السيّد موسى متقدمة علـى علاقة المرحوم الشيخ شمس الدين؟

– نعم، لأن السيّد موسى كان صديقاً في النجف، ولمدة سنواتٍ أربع باعتبار علاقتي بآل الصدر، التي وثّقت علاقتي به كثيراً وكنّا نلتقي في النجف. أما علاقة المرحوم الشيخ شمس الدين فمتأخرة عن علاقتي بالسيّد موسى.

✿ هل كان السيّد موسى يستشيركم في كُلّ الخطوات التي ينوي القيام بها؟

– في كُلّها لا، لكننا كُنّا نتشاورُ في بعض القضايا.

✿ وصولك إلى لبنان: كيـف بدأت حياتـك الشخصية، والعمليـة، والفقهية والدينية.. مع مَنْ تعاملت...؟

– حيـن أريـد الحديـث عن مجيئي النهائـي للسّكن في لبنان، لا بُـدّ أن أطلّ علـى علاقتي قبل ذلك بلبنان. فقـد كنتُ أزوره كما أسلفتُ أحياناً. وكانت الزيارة الأولـى سنـة 1952، وهي التي بـدأتْ بمشاركتي في تأبين السيّـد محسن الأمين، والجلسـات الحوارية في بنـت جبيل مع مختلف التيـارات الأخرى، ولقاءاتي في بيـروت مع المفكريـن والأدباء والشعراء. منـذُ ذلك الوقت أيضـاً، انفتحتُ على بعضـ العُلماء كالشيخ محمد جواد مغنية، والسيّـد هاشم معروف الحسني، والسيّد عبد الحسين شرف الدين الذي وجدتُ تقديراً لي عنده. ولذلك، حين طلبتُ إجازة بالرواية منه، أعطانيها وكتب كما كان معروفاً: «أجزتُ الشريف العلامة ومفخرة كل مُتّـوج بعمامة» مستخدمـاً السجع... كنتُ أذهب إليه فيعتنقني حين أصلُ إليه. بعدهـا رجعت إلى النجف، ومن ثم عُدتُ إلى لبنان مع المرحوم الوالد للاستقرار فيـه، فـي بنت جبيل سنة 1955. وذلك الوقـت لم يُطلب منّي البقاء، لكن بقيت مع الوالـد ما يقـارب مدة سنة ونصف سنة تزوّجت في أثنائهـا. ولا شكّ في أنهُ كان لديّ نشاط للرجال والنساء، وجلسات حوارية مفتوحة للسؤال والجواب.

شاركـتُ فـي المنشـورات الصحافيـة، ونشـرتُ وقتهـا فـي مجلّـة «الأديب والعرفـان» بعضـ القصائد، وفي مجلّـة «الرسالة» الصادرة عـن معهد الرسُل في جونيـه ومـن خلال جان كَميْـد عدة قصائد في عامـي 1955 و1956. كنـت أتردّدُ علـى شارع المعرضـ لأجلس في «مكتبة العرفان» و«هاشـم» وهناك التقيتُ لبيب الرياشـي. وهكـذا كنتُ كُلّما قدمتُ إلـى لبنان، انفتحُ أكثر على الأفـق اللبناني. أما بخصوصـ علاقاتي فقـد كنتُ أنزِلَ في بيروت عند خالي علـي بزّي، رحمه الله،

الذي كانت علاقتي به قوية. عنده تعرّفتُ إلى تقي الدين الصلح ومحمد صفي الدين وزهير عسيران وكاظم الصلح. كان هناك تجانس في الانفتاح بيني وبين المرحوم خالي. انفتحتُ أيضاً على رياض الصلح، وفؤاد شهاب. ومن خلال أحاديث خالي انفتحتُ على حميد فرنجية الذي كان يثقُ به كثيراً ويُؤيّده... في بنت جبيل، انفتحتُ على الشاعرين الناقدين موسى شرارة، ومحمد حسين عبد الله، وعلى الكاتب عبد اللطيف شرارة، والكاتب الماركسي محمد شرارة، وكانوا كُلّهم في العراق، وكان لقائي بهم كما لو لم يكن هناك مشكلة.

أذكرُ، في تلك المرحلة، أنني ألقيتُ عام 1955 قصيدة في بنت جبيل، رثيتُ فيها الشيخ علي شرارة، والد عبد اللطيف شرارة الكاتب المعروف، ضمّنتها نقداً اجتماعياً للذهنية العربية. وتردّدت على صور والتقيتُ في ديوان السيّد عبد الحسين شرف الدين أولاده، ومنهم مفتي صور السيّد عبد الجوّاد شرف الدين، وصدر الدين شرف الدين، والسيّد محمد رضا شرف الدين، والسيّد جعفر وعبد الله. وكنتُ ألتقي الأدباء المعروفين في صور ومنهم أحمد حجازي ابن البادية، ومحمد زكي بيضون، وأحمد مغنية. كان ديواناً ثقافياً أدبياً وذلك في حياة عبد الحسين شرف الدين.

بعدها، عُدْتُ إلى النجف، ثم رجعتُ إلى لبنان في فترةٍ أخرى. وخلال بعض الفترات، أسّست حسينية في النبعة، أنشأتها «جمعية أسرة التآخي» التي كانت بإشراف المرحوم الوالد.

في لبنان، كنتُ أذهب إلى النبعة، وألقي الكلمات والمواعظ في الحسينية. بعد ذلك، رجعتُ إلى النجف خلال الستينات، ثم ألحَّ الكثيرون عليّ للعودة إلى لبنان. فعُدتُ لأن أحد أولادي أصيبَ بمرض جعلني آتي به إلى لبنان للعلاج. وهناك ظروف أخرى أعادتني إلى النجف سنة 1966، وحينها سمعتُ كلمةً عن السيّد محمد باقر الصدر نُقلت إليّ قال فيها: «كل إنسانٍ خرجَ من النجف خسِرَ النّجف إلا السيّد فضل الله فقد خسِرَهُ النّجف».

وحين عُدتُ إلى النبعة، بدأتُ برنامجاً ونشاطاً مثل إقامة صلاة الجمعة وإلقاء المحاضرات الدينية، مع بعض الأحاديث السياسية. وكنتُ ألقي المحاضرات الخاصة بالمثقفين، حتى إن كتابي «الإسلام ومنطق القوّة» شكّل خلاصة المحاضرات التي ألقيتها هناك. وكذلك كتاب «الحوار في القرآن».

ثـم بدأنـا توسعَـة المركز الـذي كان طبقة واحـدةً، فبنيْنا مكتبـة عامة فوقه ومستوصفـاً وسكَنـاً للعالِم الديني. أما الطبقة الثالثـة فبنيناها كحوزة دينية، لدراسة العلـوم الشرعيـة، وأسميناها «المعهد الشرعـي الإسلامي». وبـدأت حينها إنشاء الحوزة العلمية التي كنتُ مُدِّرسها الأوّل في الدروس العالية، والتي خرَّجت الكثير من العلماء الموجودين في الجنوب وغيره.

۞ هل هناك أسماء لهؤلاء الخريجين، مولانا، تحضركم الآن؟

– مثلاً كان منهم الشيخ عبد المنعم مهنّا، والسيّد نجيب خلف، والشيخ راغب حرب، والشيخ محسن عطوي، وأحمد الكوراني...

۞ اصطلاحاً سنستخدم كلمة «تلاميذك»، كـم كان عددهم في البداية؟ وكيف صار التطوُّر كمّاً ونوعاً؟

– لقـد كانـوا في البداية حوالـى عشرين أو خمسة وعشريـن. وحين عُرِفت الحـوزة التـي لم يكن في بيـروت حوزة غيرها، بـدأ الطُلاّب يتوافـدون، سواء الذيـن يسكنون في المبنى نفسه – كقسم داخلي – وغيرهم. وقد كنتُ أجري عليهم مساعدات شهرية، ومنهم مَن يعود بعد الدرس إلى منزله.

۞ لماذا كنتم تدفعون لهم؟

– هـذه طبيعة الحوزات العلميـة. فالمشرف على الحـوزة إن كان بمستوى علمي وفقهي رفيع، يدفع المساعدات للطلاب من خلال «الحقوق الشرعية»، ولا نـزالُ كذلك. ولهذا توسعت الحوزة. وعدنـا وبنينا طبقةً للاجتماعات النسائية، إذ كنـتُ أهتم بقضايا المرأة منذُ البداية، فتُعْقَد الاجتماعات وأحاضِرُ... وهكذا ارتفع البناء في النبعة وصار خمس طبقات، حتى سُمّيت الحسينية بخليّة النحل.

ثم كان هناك مشروعٌ آخر، هو مشروع المسجد، من خلال المرحوم الشيخ رضـا فرحات. وكطبيعة أي منطقة، اعتُبِر بنـاء الحسينية كأنهُ مزاحمة للمشروع الآخر، خصوصاً عندما حضرتُ، وبدا كأنَّ تنافساً حصل، فحاول الناس الاصطياد فـي المـاءِ العكر. لكنّني من خـلال انفتاحي الدائم كنتُ أذهبُ إلـى المسجد والتقي الشيخ. وبعد وفاته، تابع ولده الشيخ محمود فرحات المدير العام للمجلس الشيعي، العمل.

كانـت النبعـة تتسِعُ لكل البقاعييـن والجنوبيين، مما فتح المجـال لي للتجوّل

يومـي السبت والأحد وخلال الأسابيع، ولعقد ندوات في الجنوب والبقاع. وهكذا امتدّ وجودي بقاعاً وجنوباً. وكنتُ أذهب من النبعة إلى المنطقة الغربية من بيروت فأعقدُ الجلسات في المصيطبة والبسطة، وفي حسينية الخنسا في الغبيري وفي برج البراجنة، وغيرها... كنت متحركاً في استمرار إضافة إلى الدروس العادية التي كنـتُ أعطيها. ثم وصـل تجوالي إلى المناطق الشرقية، فكنـت أذهبُ إلى الفنار، وقمتُ بمشروع بناء مسجد وحسينية هناك، وإلى سدّ البوشرية حيث ساعدتُ على بنـاء المسجد هناك. كنتُ أذهـب كذلك إلى بياقوت، ورويسـات الجديدة، وكنت ألتقـي بعضـ المسيحيين. كنا نقيم الحفلات الثقافية فـي المناسبات الدينية وغيرها، ودعونـا إليها الأستاذ نصري سلهب، والشاعر جـورج جرداق، والشاعر بولس سلامة، وجوزف الهاشم، وآخرين... في حفلاتنا كنا ندعو السيّد موسى الصدر، ومبعـوث الأزهر الشيخ فهيم أبو عبيدة، والشيخ محمد جواد مغنية. وحين يحضر الشيخ محمد مهدي شمس الدين، كُنّا ندعوه إلى إلقاء محاضرة.

لقد كان الموقع الذي نشرفُ عليه موقعاً منفتحاً منذُ البداية.

۞ يُلاحظ أن المسيحيين الحاضرين مناسباتكم كانوا مثقّفين. أدباء وشعراء، هل تعدّت العلاقة مع المسيحيين هذا الجانب؟

- لا، لقـد كانـت قضايا عادية مثار حديث معهم، خصوصاً أننا كُنّا بفعل الذهنية الإسلاميّـة الحركيـة وقتها التي أخذناها من النجف، وبفعـل الوضع السياسي اليساري والعربـي والفلسطينـي، ننظـرُ نظرة سـوداء إلى حـزب الكتائب، وإلـى السياسيين المسيحيين مثـل كميـل شمعون وريمـون إدّه، لأنهـم شكّلوا زعامـات حاولت إلغاء المسلميـن فـي لبنـان، وتحويلهـم مواطنين مـن الدرجة الثانيـة، وأخـذ الامتيازات والضمانـات. كنـا نعيش هذا الهاجس، لا سيما حين تطوّرت الكتائب وبرزت في هذا الجانب. وبدأت تنشرُ في جريدة «العمل» التي كُنّا نقرأها ما أصيبَ به المسيحيون في فلسطيـن من إحـراق الكنيسة وغيرها. فكان لدينا إحساس بوجود حالة حذر. لذلك لم يحدث أن صارت هناك علاقات مباشرة بشكل سياسي، بسبب الحاجز النفسي آنذاك.

۞ هل حصـل اتصال بكم هنـاك لمعرفة مـاذا تفعلون وخصوصـاً أنكم كنتم تعملون في ظل وجود أجهزة قوية؟ هل حصل اصطدام مثلاً؟

- لـم أشعر بذلـك، ربما نتيجة غياب الجانب السياسي عـن الواجهة. فالسيّد موسـى الصـدر كان واجهة هذا التحـرك، وكانت هناك إفـرازات محلية أو شبه

طائفية مثل «فتيان علي». لم يكن الوجه السياسي بارزاً عندنا بحيث يثير التحسُّس ويدفعُ إلى الدراسة والحذر المضاد للآخر.

وباعتبار وجودنا في منطقة برج حمود (النبعة جزء منها)، كنّا نلتقي بعض الأرمن، ممّن كانوا يزوروننا من المجلس البلدي... وكان التقدير متبادلاً لا سيما للطرح الذي نطرحُهُ، والانفتاح الذي نمارسه.

۞ عدم الطرح السياسي، والاكتفاء بالجانب الديني، هل كان نتيجة قرار معيّن، أم لأنّ المرحلة كانت للبناء والتأسيس؟

- حتى أكون دقيقاً أكثر، لقد كنتُ إسلامياً في خطابي السياسي وبالطريقة التي من الممكن أن لا تتناسبُ مع ما بدأتُ أعيشُهُ بعد ذلك من فهم للوضع اللبناني.

لهذا، كنت أتحدثُ في السياسة، وكنت غير منفتح وقتها على القومية العربية بمعناها الإيديولوجي، بل كُنّا نتناقشُ مع القوميين، ومع البعثيين، كما مع الشيوعيين... وطبعاً ساد الحذر مع هذه التيارات من التجمع الذي كان يعيش معنا والذي كانوا يتهمونه بالطريقة التي كانت الاتهامات تُوزَّعُ فيها أي بالعلاقة بالسفارات وما إلى ذلك.

الشيء الذي نَفيتهُ أو نَسيتهُ أنّ هذا بالنسبة إلى الجانب المسيحي. أما الجانب اليساري فقد كان حذراً من هذا الجوّ، ويحاولُ النفاذ إلى الموقع الذي نحنُ فيه، ولا سيما أنه كان هناك امتدادٌ شعبي، ومحبة متبادلة مع الناس المستضعفين الذين كنتُ أزورهم وأسهر معهم، وأساعدُهم حسب الاستطاعة...

من الطبيعي أن وجود السيّد موسى الصدر واجهة مسيطرة على الجوّ الشيعي خفّفَ من اهتمام الإعلام بكُلّ حركتنا، ولذلك ما كان النشاط الشعبي وغيره يبرزُ إعلامياً. كُنَّا نواجِهُ في الجنوب صراعاً مع البعثيين والشيوعيين، حتّى إنهم كانوا يمنعون الناس من حضور الجلسات والسهرات التي كُنّا نقيمها بحجّة أنهم لا يريدونهم أن يتأثروا بأيِّ فكرٍ.

۞ هل طرحتَ في تلك الفترة، مشروع الدولة الإسلاميّة؟

- لم يكن بهذا العنوان، لكنّه كفكر يختزِنُ هذا المبدأ، لم يكن فاقعاً كعنوان. لكننا نريدُ حُكْمَ الإسلام. فقد جئنا من النّجف بهذه الذهنية الحركية، التي من خلالها نؤمنُ بأسلمة العالم. فماذا يكون لبنان بالنسبة إلى هذا الموضوع؟ الفكر كان

موجوداً لكنّه لم يعش أرضية الصراع مع المسيحيين. وإن كان يحملُ الحذر من الأحزاب المسيحية، ويشعر بالخطورة منها... ومن الممكن أننا كنا ننتقدُ تقرّب السيّد موسى ممّا وجدنا واقعية فيه بعد ذلك. فالصراع كان مع اليسار.

۞ في تلك الفترة، كان اليسار مع العروبيين في خندق واحد، وكانت الطائفة الشيعية موجودة في كل الأحزاب اليسارية والعربية، وفي النبعة تجمع شيعي كبير مفتوح على الجنوب والبقاع. فإذا كان الصراع بينك وبين اليسار من جهة، ومع الزعامات التقليدية الشيعية من جهة أخرى، فإنك كإسلام حركي والإمام الصدر كنتما في خط واحد قائم على العداء للإقطاع. كيف كان هذا الصراع مع اليسار والإقطاع؟

- كان يغلب على الصراع مع اليساريين العرب الطابع الإيديولوجي، إسلام وقومية، إسلام وماركسية، وهو لم يتحرّك في الخطوط السياسية التفصيلية، كعنوان مشاريع سياسية.

فإذا طُرِح عنوان الوحدة العربية، كنا نطرح عنوان الوحدة الإسلاميّة مثلاً. لم نكن منسجمين كثيراً مع عبد الناصر في طرح القومية العربية، ولدينا وجهة نظر سلبية تجاهها، وحين أعدم عبد الناصر «سيّد قطب» و«عبد القادر عودة» ونفّذ حملتَهُ على الإخوان المسلمين، كُنّا في خط المواجهة له.

أما بالنسبة إلى الإقطاعيين، فنحن لدينا تاريخ ضد الإقطاع. وكل أهل المنطقة ينقلون عن المرحوم جدّي، أنه أرسل رسالة إلى كامل الأسعد (جد كامل الحالي) حين اضطهد أحد الفلاحين وفيها «فرعون البلاد وجرثومة الفساد كامل الأسعد»، وذكر كلماتٍ فيها نوع من التهديد. وحاول كامل الأسعد آنذاك لَعبَ لعبة التناقض بين موقع علمي وآخر. فسعى إلى الإيقاع بين السيّد علي محمود الأمين وهو عالم في شقرا، وبين المرحوم جدّي. لكن السيّد الأمين لم يتجاوب معه وقال له: «أنا لا أرضى عنك حتى يرضى السيّد نجيب فضل الله»، فجاء كامل الأسعد معتذِراً وراضخاً...

كان لدينا عقدة من مسألة الإقطاع، وهو ما عشتُهُ منذ حضوري إلى لبنان من خلال المرحوم خالي علي بزّي الذي كان يقفُ ضده مُمثّلاً بأحمد الأسعد آنذاك... وهو ما تركَ تأثيراً عندي لأني اطلعتُ على العديد من الأشياء، مما أبقى عندي هذه الذهنية المضادة للإقطاع.

حتـى عندما حضر كامل الأسعـد إلى حسينية النبعة، كان موقفي جافّاً بالنسبة إليـه مما أزعجَهُ جدّاً، وأزعج أهل هونيـن وهم جماعته. وقد تحدّثت يومها حديثاً فيه نوعٌ من المساس به.

✿ من 1966 حتـى 1969، بدأت الإشـكالات بين الفلسطينيـن واللبنانيين. بعدها بدأ الفرز في البـلاد بين المسلمين والمسيحيـن. والفلسطيني كان يلعبُ دوراً بارزاً فـي هذا الفرز، ومعه اليســار والعروبيون. فأين كنتم من كلّ ذلك؟

– طبعـاً، كنـا نتعاطَفُ مع الفلسطينيين انطلاقاً من عقدة الضد للتيار المسيحي المسمّـى بالانعزالـي، ولا سيما أن الساحة كانت ساحة توتـر. فمن الممكن أننا لم نكن مع خطّ القومية العربية بالمعنى الإيديولوجي، لكننا كنا مع هذا الجوّ السياسي الإسلامـي العام، إن صحّ التعبيـر. فالفلسطينيون كانوا في النبعة وقاعدتهم في تل الزعتر، ومن الطبيعي أنهم كانوا يزوروننا على رغم الحذر المتبادل. وقد ذكرنا سابقاً رفض «فتح» تدريب بعض شبابنا للدفاع عن أنفسهم.

✿ في تلك الفترة، كانـت للفلسطينيين علاقة جيدة مع الإمـام موسى الصدر، ولكن كان هناك حذر بينهما. هل جرّب الفلسطينيـون وهم في تل الزعتر، الاتصال بكم على قاعدة أنّ هناك نجماً شيعياً آخر يبرز؟

– حاولـوا في شكل خفيف جدّاً. ومـن الممكن أنهم ما كانوا يفكّرون وقتها أن هناك مستقبلاً ينتظرنا على النحو الذي يمكن أن يعتبرونا بديلاً. كانت هذه المحاولات عاديـة وتأخُذ طابع المجاملات والزيارات. والواقع أننا كُنّا خاضعين في تلك الفترة إلـى حال خوف مـن المسيحيين، كخوفهم من المسلميـن. وكان الإيحاء النفسي أن الفلسطينيين هم الضمان للمسلمين. ولذلك كان سقوط تل الزعتر بمثابة الكارثة.

✿ مولانا، في سنـة 1969 حين انفجر الخلاف بين السلطـة والفلسطينيين، وبين المسيحيـن والفلسطينيين، ثم اندلعت حـرب السنتين سنة 1975، ماذا كنت تفعل خلال تلك السنوات؟

– كنـتُ أتابـعُ الأحـداث وأحـاوِلُ تثقيفَ النـاس خلالها، بالخطـب، لأثير الحـذر فيهـم، لا سيما بعد أن بدأت عملية الخطف على الهوية وتطوّرت. فقد كان كثيرون من شبابنا وحتى الناس العاديّون والبسطاء جدّاً يُقتلون على حاجز المتحف

والجاموس في أثناء تنقلهم للعمل. كنتُ أتابعُ الأحداث الحاصلة، وكان عندنا مستودع جثث يأتون بها إلينا، وحوّلنا الحسينية إلى مشفى ميداني. كنتُ أساعدُ الناس، وكنا نعمل على توعيتهم، وبقيتُ معهم إلى آخر لحظة، حتى إنني ذهبتُ يوم السبت الأسود إلى الجنوب وعُدتُ بعدها إلى النبعة. لقد انخفض وزني نتيجة الجهد والعناء ثلاثين كيلوغراماً، ونتيجة قصف البناية التي كنا فيها. ومما يُذكَرُ أننا كنا نعيشُ وننامُ مع أولادنا وأهلنا وأطفالنا في الملجأ، وفي غرفة لا ضمانة فيها. حتى إن الكثيرين تساءلوا أين السيّد نتيجة «ضعفي».

في يوم من تلك الأيام، حُجِزتُ بين الشرقية والغربية على حاجز كان العماد عون مسؤولاً عنه(بين 1976 و1977 على الأرجح) ثم ذهبنا إلى بنت جبيل، وسقطت النبعة بعد يومين أو ثلاثة.

۞ هل تذكرُ حادثة جرت معك على حاجز ما؟ هل أُسيء إليك؟

– لا، لم يَحْدث ذلك وقد قال ميشال عون: «إني سهّلت خروج فلان (السيّد فضل الله) من الحجز. وكان يحاول يومها التعاطف مع التيار الإسلامي. لقد حاولوا «جمركة» الأغراض التي كانت معنا ولم يكن هناك احترام. إلا أنه في المقابل، لم تكن هناك إهانة.

۞ هل تستطيع وصف سقوط النبعة، لا سيما في الأسبوعين الأخيرين، وصفاً دقيقاً؟

– عندما خرجْتُ كان هناك «درك» على علاقة بالدولة الظاهرة وبالجهات المسيطرة. خرجت بضمانة «الظاهرة». وأذكرُ أن مُقدّماً من آل شعيتو، سعى كواسطة لتأمين الخروج. كان الناس في حيرة وخوف شديد، وخصوصاً بعد سقوط المسلخ. وامتد السقوط حتى النبعة. في ذلك الوقت كان السيّد موسى الصدر يسعى وغيرهُ، لكنّ أحداً لم يستطع فعل شيء في هذا الموضوع.

لم نكن نتصورُ وقتها أن النبعة يمكن أن تسقط في هذا الشكل. طبعاً بعد دخول الكتائب وغيرهم حصلت أعمال نهب وتقتيل وطرد للناس وسبيّ لهم. فالوضع كان مأسويّاً فوق العادة، كان وحشياً...

۞ كم من سُكّان النبعة بقي في تلك الفترة؟

– أغلب سكّان النبعة خرجوا، وربما بقي ما يقارب عشرة آلاف، بعد أن

كان يقطنها أكثر من ربع مليون.

✿ ماذا عن مساعي الإمام الصدر؟ هل كانت القصّة أكبر منه؟

- لم يستطع فعل شيء. كانت القصة أكبر بكثير.

✿ هل أعطى الفلسطينيون سابقاً انطباعاً أن هناك استحالة لسقوط النبعة؟

- كانوا يعتبرون أنفسهم الحماة، فلمّا سقط تل الزعتر، فُتِحت المسألة على كُلّ الاحتمالات.

✿ هل شعرتم حينها بأنّه حصل تلاحمٌ حقيقيٌّ بين الفلسطينيين وأبناء النبعة؟

- لا، لم يحصل تلاحم. كان هناك بعض الناس مِمَّن لهم علاقة بالفلسطينيين، ومن الناس من كان له علاقة بتيار الكتائب. بقي منهم مَن حاول التوسط بعد سقوط النبعة.

✿ كم غبت عن النبعة، ومتى رجعت إليها؟

- لم أرجع إليها إلا بعد مجيء السوريين إلى لبنان، وتوجهت على الفور لتفقّد مبنى الحسينية والمسجد، وكان منهوباً. وقتها كان أمين الجمُيّل، فلمّا دخل الحسينية وأراد تبيان المناقبية قال: «إن هذه سوف تبقى كما هي»، لكن لم يبقَ فيها شيء.

✿ حين تركت النبعة وتوجّهت إلى بنت جبيل، كيف بدأت نشاطك؟

- بدأت نشاطي في بنت جبيل بالجلسات السابقة. كنتُ انتقلُ في منطقتها من «بلد» إلى آخر في نشاط مكثف فوق العادة. كنتُ أحضرُ «الأَسابيع»، وكنا نقيم الندواتِ في أغلب القرى الجنوبية.

✿ هل كنت تفكّر بماذا ستفعل بعد ذلك؟

- لم يكن لديّ فكرة، وامتدت هذه الفترة إلى حين قُصِفَت سوق بنت جبيل مِن مَن حَضَرَ من «عين إبل». يومها اجتمع أهالي بنت جبيل في بيت المرحوم الوالد، وحضر عبد اللطيف بيضون، وعلى أساس أن المسيحيين كانت علاقتهم بالسوريين جيدة اتخذوا قراراً أن أتوجه مع الشيخ محمد مهدي شمس الدين لنلتقي السيّد موسى الصدر ونطلب منه أن يتحدث مع السوريين.

فحضرتُ من بنت جبيل إلى بيروت، وكان الشيخ محمد مهدي، رحمه الله، يقيمُ في خلده وقتها. توجهنا معاً إلى بعلبك، ومنها إلى الشام. أذكرُ أننا التقينا مصطفى طلاس، فتحدّث السيّد موسى الصدر، من قبيل «أن الناس تحمّلني المسؤولية، وأنتم لا تُراعون جماعتكم في الهرمل وغيرها». وقد وعده طلاس بما يمكنُ أن يمونوا عليه. لكنّ شيئا لم يَحْصُل بعد ذلك.

وحين أصبحت بنت جبيل في خطر، انتقلتُ إلى بيت أنسبائي في جويّا، ثم انتقلنا إلى الشهابية بعد أن أخذنا بيتاً مستعاراً فيها. ومع كل تنقلاتي، كنتُ أنشطُ للعمل.

بعدها جئتُ إلى بيروت وسكنتُ الغبيري بداية، وبسبب قلق القصف، استأجرتُ بيتاً قريباً من «حرش» بيروت غادرتُهُ بعد محاولة الاغتيال.

۞ هل التقيت خلال هذه الفترة «أبا عمار» أو بعض المسؤولين الفلسطينيين؟

– لم ألتَقِهِمْ. في ذلك الوقت ولغياب السيّد موسى، برز الشيخ محمد مهدي كنائب له. «أبو عمّار» شاهدتُهُ مرة واحدة، صادفتهُ وأنا نازلٌ من الصلاة في بئرِ العبد، فسلّم عليَّ، وكان لا يعرفني، قائلاً: أين الشيخ شمس الدين؟ باعتبار نيابته لرئاسة المجلس الشيعي...

وبعدها حين حصلت محاولات الاغتيال، وقررت الخروج حَضَرَ «أبو الهول» وزارني وحادثني.

۞ مسألة الذبح على الهوية، المسيحي يذبح، يأتي الفلسطيني ويذبح، فهل كان مع الفلسطيني شيعة آنذاك؟

– لم يكن بارزاً ذلك الوقت أن الفلسطينيين يذبحون على الهوية على الأقل في ذهنيتنا. كانت المسألة أن المسيحيين يذبحون على الهوية، وهو ما حصل لكثير من العمال البسطاء على «حاجز السريان»، وإن كان السريان يتبرأون من هذا الحاجز.

۞ إضافة إلى الذبح على الهوية، هل كان هناك خطف مضاد؟

– نعم، كان هناك خطّف.

۞ هل كان مبرّرا في رأيك؟

– نحنُ ضد الخطف طبعاً. لكن نتيجة الجوّ الحاصل حيث كانوا يحشرون

الناس في الزاوية، ولربما لفقدان الطرق، كنا نفكر في ذلك وقتها.

✪ هل طُلبت منكم فتوى بذلك؟

- لا، وقد كنا ضد الخطف.

✪ ما الذي تعرضت له في «الحرش»؟

- كان «الحرش» إلى جانب المخيم الفلسطيني، أول الغبيري. وكان بيتنا ملاصقاً له. ومن خلال متابعة نشاطي وصلاتي في مسجد بئر العبد في شكل عادي، كنتُ أركبُ سيارة أجرة للذهاب، وأحيانا كنت ألقي محاضرات في الشياح وذلك منذ وجودي في النبعة، وفي كُلّ أسبوع لديّ ندوة للرجال والنساء، تتخللها الأسئلة والإجابات، وفيها ما هو السياسي، والفكري.

يومئذٍ كنا نقفُ في وجه البعث العراقي انطلاقاً من موقفه ضد الحوزة العلمية في النجف، واضطهاد العلماء، وقتلهم، وهو أمر تعاونّا فيه مع السيّد موسى الصدر. وكان البعثيون يترّبصون بنا، والمخابرات العراقية كانت قوية جدّاً في لبنان وكان عندها فيه «جبهة التحرير العربية». فأثناء توجهي من بيتي إلى حسينية الشياح، كَمَنَ البعثيون في «الحرش»، ولمجرد وصولي إلى هناك أطلقوا زخات الرصاص، ولكن «كفى بالأجل حارساً». فالسيارتان اللتان أمامي وخلفي أصيبتا وسيارتي لم تُصب. كان معي أحد أولادي (نجيب). فتابعتُ سيري ووصلتُ إلى الحسينية وألقيت المحاضرة. لم أخبر أحداً كأن شيئا لم يكن، وبعدها توجهتُ إلى منزل المرحوم الوالد قريباً من مسجد بئر العبد. عرف بذلك الناس فخرجوا في تظاهرة تأييدية واستنكارية حينها، ولا سيما الإسلاميون منهم. لم يكن وقتها «حزب الله» موجوداً بل «حزب الدعوة»، والناس الملتزمون.

الحادثة الثانية وقعت بعد أن أصبح لدي حرس. وكانت خطّة البعثيين تقضي أن يدقوا الباب فأخرج وبكاتم للصوت ينفّذون ما يريدونه. ولكن خرج أحد الحُرَّاس وهو حسن عز الدين، رحمه الله، واجههم فقتلوه. وفُضِحت قصة البعثيين.

أما في الحادثة الثالثة، فقد كنت نائما في الطبقة الخامسة، وكان عندنا ناطورة اتُهمت أنها مخابرات علينا، وأنا لا أتحمّل مسؤولية إثبات ذلك أو نفيه، فبلّغت، على ما يبدو بمكان نومي. أطلقوا صاروخاً نَزَلَ على سقف الطابقة الرابعة. فلو

انحرف قليلاً لأصاب مكان نومي. الحمد الله لم يكن هناك أحد في الطابقة الرابعة. يومها لم يَعُدْ هناك مجال للبقاء، فانتقلنا إلى شارع عبد الله الحاج، واستأجرنا بيتاً جديداً. في ذلك الوقت، حَضَرَ أبو الهول لزيارتي، فقلت له: «لقد أملتُ أن مَن يكون قربكم يبقى آمنا، لكن يبدو العكس». فشعر مني تهمة غير مباشرة، لأنه أخذ يردِّدُ كلاماً حول سبب مغادرتي وأنهم مستعدون للحماية.

رغم ذلك كله، استمررت في نشاطي، من حينها بدأ مسجد بئر العبد يتوهّج، وكان الموقع الوحيد الذي تنطلقُ منه الخطابات النارية، والمحاضرات الموجِّهة الهادفة. فدخلنا الوضع اللبناني من الباب الواسع، وبدأ الإعلام بالتوافد، وتوّهجت القصة أكثر بعد قضية المارينز وغيرها...

الجلسة الخامسة

✪ قِصّة خطف الكتائب لسماحة السيّد.

– حصل ذلك عام 1982. كنتُ قبل الاجتياح الإسرائيلي للبنان مدعوّاً لحضور مؤتمر فكري في إيران، وعندما وصلنا إليها حصل الاجتياح. ومن الطبيعي أن اللبنانيين، ولا سيَّما العلماء منهم سُنّة وشيعة، اجتمعوا وأصدروا بياناً عارضوا فيه الاجتياح وقرروا مقاومته.

بعد انتهاء برنامج الدعوة، بدأنا نستعِدُّ للعودة إلى لبنان. رجعنا عن طريق سوريا وعبر البقاع. كانت الطرقات مليئة بالإسرائيليين من جهة وحزب الكتائب من جهة أخرى. سعيتُ مع ضُبّاط في الجيش اللبناني في البقاع كي يُؤمّنوا لي وللعلماء معي وصولنا إلى بيروت. لكنّهم تراخوا، فغامرنا ومررنا على الحاجز الإسرائيلي قرب كيفون يومها مروراً عادياً، حتّى إذا وصلنا إلى مدخل الضاحية بعد الحازمية، أوقف سيارتنا حاجزٌ لحزب الكتائب، وكان في داخلها بعض الأخوة وولدي السيّد علي. ففتّش عناصره المحفظة، وطلبوا نزولنا إلى المكتب. وعثروا على بعض الصحف الإيرانية التي كان لي بعض المقابلات فيها، وقرّروا نقلنا إلى منطقة الحازمية من دون أن يتحدثوا معنا بشيء، ومنها إلى منطقة الاعتقال. رفضتُ النزول من السيارة لركوب شاحنة «بيك آب»، وبعد أخذ مرافقينا فيها، أوصلونا إلى مكان وأنزلونا إلى ملجأ بناء، هناك رأيتُ أشخاصاً يتحادثون مع بعض النساء، ولا أدري إذا كانت قضية شكاوى أو غيرها. حاولنا الحديث مع المسؤول لنفهم طبيعة المسألة، فلم يُحادثنا. بقينا هناك نحو ساعتين.

صادف أنّ بعض معارفنا شاهد عملية الخطف، فذهب إلى الضاحية وأخبر أهلها بما جرى، وكانت «حركة أمل»، قوَّتُها وقاعدتها، متعاطفة معي. فنُقِل الخبر

إلــى نبيــه بري الذي كانت المفاوضات وقتها جاريــة بينهُ وبين بشير الجميل حول إيجاد لجنة إنقاذ للبلد. اتخذ نبيه بري موقفاً جيداً، إذ قال: «إنّ أيّ عمل لن يتم إذا لم يطلق سراح السيّد». كان موقفه حاسماً وقوياً أشعرهم بأن المشروع سيسقط إذا لــم يطلق سراحنا... فجأة، حضر بعض الأشخاص واعتذروا منّا بداعي الخطأ، وأوصلونــا إلى الضاحية. خلال فترة الخطــف، كان الصمت عقوبة كبيرة، لأنك لا تعرف ماذا يُرادُ بك. ولم يحدُثْ سوء معاملة حينه.

۞ هل شكرتم الرئيس بري وقتها؟

– عُدنا إلى الضاحية واستُقبلنا استقبالاً حافلاً. لكنّني في تفاصيل هذا الأمر لا أذكرُ ماذا حصل.

لقد عشنا هذه التجربة (الخطف) وعايشنا آلام المخطوفين.

۞ بئر العبد: المتابعة للعمــل... وولادة «حزب الله» من رحــم الحركة التي أطلقتها، دور الفلسطيني والإيراني والسوري... تطوُّر العلاقة إلخ...

– قبــل ولادة «حزب اللــه» كانت قاعدته في أكثر نماذجهــا، وقبل الانفتاح علــى الثورة الإسلاميّــة في شكل مباشر، منتمية إلى «حزب الدعوة»، باعتبار أنّه الحــزب الإسلامــي الشيعي الوحيد في العالم العربي يومها، وهو الذي استطاع أن يعطي انفتاحاً على الوعي.

ولعــلّ العمليــة الاستشهادية الأولى وبفعل معارضة «حــزب الدعوة» للنظام العراقي آنذاك، كانت تفجير السفارة العراقية. وكان المنّفذ من «حزب الدعوة». ولهـذا، فـإنّ مناخ «حزب الدعوة» في لبنان كانِ لا يبتعـدُ عن الحسم في أسلوب المواجهة العنفية، ولا سيما أن المنطقة كانت تحفلُ بالعنف. وكان من الصعب أن يفكــر أي تيّــار من التيارات في المواجهة في خــط معارضتِه لأي طرف في شكل هــادئ، وقــد استطعتُ من خلال مسجد الإمــام الرضا (ع) في بئــر العبد إطلاق الكلمة الثورية التي كانت تعالج كُلّ الأوضاع السياسية والأمنية في المنطقة. وشكّل خطابُ الجمعة محطة لتناول قضايا المنطقة، إذ لم يقتصِر على الجانب اللبناني.

لهــذا، استطاع هذا المسجد بخطابه السياســي أن يصنعَ روحية المقاومة التي بــدأت بعــد الاجتياح. فكنتُ، رغم كلَ الأحداث، أتابعُ الحضور إلى المسجد، كما أتابــعُ الندوات والاجتماعات فــي البيت. ومن الطبيعي أنني لم أكن آنذاك الواجهة

الإعلامية في شكل ظاهر. وعندما حدث الاجتياح، بدأتُ أرعى الشباب المقاوم، المؤمن، المتديّن. وكانت المقاومة الإسلاميّة، كما سُمّيت بعد ذلك، قد بدأت المواجهة ضدّ الإسرائيليين في خلده، وقد تحرّك عناصر منها من مواقعهم في الليلكي، واشتدَّ الضغط يومها، وكانت تعليماتي: «أنه ما دام هناك خطّ إمداد وخطّ انسحاب، فإن عليكم متابعة المقاومة. وكنتُ أشجّعُ العمليات الجهادية، وأتحدّثُ بتفاصيل المواضيع وأعرِفُ ماذا يحدث، فقلتُ إذا أُغلِقَ عليكم كمجاهدين خطّ الإمداد، وخطّ الانسحاب، فمن الطبيعي عدم تنفيذ عملية المقاومة.

كان الشباب المقاومون يلتقون مع الفلسطينيين، لكنّهم لم يعملوا تحت سلطتهم أو بإمرتهم، بل كانت لهم قيادتهم الخاصة باعتبارهم مجموعة جهادية ضد العدو الإسرائيلي. لهذا، أتصوّرُ أن هذه المجموعة هي أوّل مجموعة أطلقت المقاومة... وليست الجهة الماركسية أو الشيوعية أو الوطنية أو غيرها، لكنّ الإعلام لم يكتشف هذه المجموعة وقتها.

✪ «أمل» تقول إنها هي التي كانت على مثلث خلدة.

– واقعاً، لم يكن هناك فصل بين «أمل» والشباب المؤمن المتحرك بهذا التوجه الإسلامي الحركي. لذلك، لم تكن هناك حساسية كالتي حصلت بعد ذلك. فالتعاون بين الشباب و«أمل» كان طبيعياً ولا مشكلة فيه. حتى في شباب «أمل»، كان هناك المتديّنون والحركيُّون، وفي الواجهة السياسية ما كان هناك غير «أمل»، إذ أن «حزب الدعوة» لم يكن بارزاً في الساحة الشيعية، وربما نُظِرَ إليه بحَذر من بعض كوادر «أمل»، حتى إن بعض الأسماء طُرحت في مؤتمرات وحركة «أمل» على أنها من «حزب الدعوة»... ولكنّ هذا الاختلاف لم يصل إلى حدّ الصراع...

✪ هل في تلك الفترة، وُجِدَت مجموعة مُقاوِمة حركية بإشرافكم؟

– كان هناك نوع من الرعاية، لأنّ هؤلاء الشباب كانوا يلتزمون آرائي وأفكاري، ويصلّون معي دائماً، ويسألونني عن الحكم الشرعي في أعمالهم كي تكون شرعية...

✪ ميدانياً، هل تدخلتم؟

– لا، لأنني لم أكن أمتلك خبرة في هذا الموضوع وقتها. لكنني كنتُ أتابِعُ

التفاصيل، فيطلعونني عليها.

۞ هل كانت هذه المجموعة تضم تلاميذ لك قريبين في الوقت نفسه من «حزب الدعوة»؟

- كان الجيل المتديّن في شكل عام، الذي يعيش همّاً حركيّاً، قد تربّى على يدي منذُ كنتُ في النبعة، لأنني وأنا هناك تابعته هذا الجيل في المصيطبة والبسطة والغبيري وبرج البراجنة، وتابعتُهُ في الجنوب والبقاع خلال جولاتي أيام السبت والأحد، وفي أثناء الندوات المُقَامة. لذلك أستطيع القول إن أغلبَ جيل «أمل» أو «حزب الدعوة» أو ممّن صار «حزب الله» بعدها، هو الذي عاش معي في أكثر من مسجد وحضر أكثر من ندوة وأكثر من خطّ فكري في هذا المجال.

لم يكن هناك في تلك الفترة، لا سيما بعد غياب السيّد موسى الصدر، شخص يواجه الساحة بهذه الحركية كما واجهتها. وكان المرحوم الشيخ محمد مهدي شمس الدين يشارك في الخطاب السياسي، لكنّه لم يكن على هذا الشكل الجماهيري المتحرّك على الأرض.

۞ هل طُرِح العمل الاستشهادي في تلك الفترة؟

- لم يكن مطروحاً في الساحة، في تلك المرحلة من المواجهة. ولكن التجربة السابقة القريبة أوحت أن هذا العمل مشروع، ومن الممكن استخدامه حين تتهيأ الظُروف...

۞ هل حصلت حينها اتصالات أكثر مع الفلسطينيين...

- لم تحصل اتصالات عضوية بالمعنى السياسي للاتصال. كنت التقي بعضهم ولكن من دون تخطيط لأنني كنتُ أشعرُ بشيء من الحذر ولا أدري لماذا.

۞ ألم يتطرق الحديث إلى تلاقٍ استراتيجي أو نحوه؟

- قلتُ لم يحصل، ولكن كُنَّا مع هذا المناخ الفلسطيني الواقف ضد الانعزاليين حسب المصطلح آنذاك...

۞ هل كان الفلسطينيون يخافون الجسم الشيعي الجديد المقاوم النامي والمستقل؟

- لم تسمح المرحلة لهم بذلك، لأنها كانت مرحلة تجييش كلّ الناس، وليس

فرزهـم. لقـد حاول الفلسطينيون ربط كل الناس بهم باعتبـار أنّ الناس يحتاجون إليهـم. لكن، بالنسبة إلـيّ، لم تكن المسألة ارتباطاً عضويـاً بالفلسطينيين... ولم تصل إلى مستوى إمداد الفلسطينيين لهذه الجهات بالمال، بل بالسلاح أحياناً.

✿ مولانـا، هل زيارتكـم المتكرّرة لإيـران بعد الثـورة الإسلاميّـة جعلتكم تسمعون مباركة ودعماً لخطّ الإسلام الحركي الذي كنتم تسيرون فيه؟

– لقد انطلقت الثورة بصفتها الإسلاميّة الثورية، وموقعها الشيعي، فاستطاعت أن تنفـذ إلـى القاعدة الشيعيـة سريعاً. ولهذا أمكنهـا أن تُركّز الكثيـر من القواعد وتجتذب الكثير من الأشخاص الذين صاروا قيادات للحركة الجديدة «حزب الله».

ومـن الطبيعـي أن المسؤولين الإيرانيين والذين كانوا فـي السفارة الإيرانية فـي بيـروت أو دمشق، كانوا يعيشـون مع هذه الجماهيـر، ويتواصلون معها في المناسبـات. فالثـورة أثرت كثيراً، لا سيما بعدما بـدأت تدعو مختلف الشخصيات إلى زيارة إيران. وبذلك استطاعت أن تُنظِّمها أو أن تنظّم بعضها.

✿ إسلامكم الحركـي، ينسجم مع حركية الثـورة الإسلاميّة في إيران. فهل كانت إيران في حاجة إلى هذا الوضع الشيعـي الحركي؟ أنت محرّك هذا التيّار، هل تفاهمت مع الإيرانيين على متابعـة هذين النهج والخط؟ وهل كنت تشعرُ بدعمهم المعنوي لك؟

– حين انتشرت الثورة، ووجدت إيران قاعدتها الشعبية، فكرّت أن لا يكون هنـاك أيّ تنظيـم آخر. فعملـت على محاربة «حزب الدعـوة»، من خلال وجود علامـات استفهـام من الإيرانيين حول بعض شخصيات هـذا الحزب العراقية، أو اللبنانيـة. وبدأت تخطّطُ لإلغاء «حزب الدعوة» فـي لبنان... وكنتُ أشعرُ حينها بأنه ليس هناك مصلحة إسلامية وشيعية في وجود حزبين. ولذا تحدثت مع أصدقائنا فـي «حزب الدعـوة» أن عليهم الانسحاب من لبنان كحـزب، إذ جاء التيار الذي حـوّل الساحة إلى نهر كبير. تفهَّم أصدقاؤنا هذا المعنى وجمّدوا نشاطهم الحزبي، واندفـع الكثيـرون من شباب «حزب الدعوة» للانفتاح علـى الثورة الإسلاميّة في إيـران، وخصوصاً بعدما أطلقت الثورة شعـار «اللاّحزبية»، وبعدما ألغى الإمام الخميني «الحزب الجمهوري» وطرح فكرة «حزب الله»، لا على أساس أن يكون تنظيماً حزبياً كما هو الحال في «حزب الله»، ولكن على أساس الجماهير الملتزمة بالإسلام وقضاياه. فـ«حزب الله» كان بديلاً عن «حزب الدعوة» وصاحب خطّ

إسلامي منفتح على خطّ الثورة الإسلاميّة الإيرانية، وسار في خطّ الإمام الخميني على أساس «ولاية الفقيه».

أنا كنتُ أعترِضُ على التسمية. فالحزب حركة سياسية ليس من المألوف، ولا سيما في لبنان، ربطه بالله. واقترحت «الحركة الإسلاميّة» بديلاً. لكن الإمام الخميني حاول تحريـك المفردات القرآنية في الخط السياسي، كـ «حزب الله» و«الاستكبار» و«الشيطان».

أول اجتماع لـ «حزب الله» حضرتُه وسُئِلتُ: «ما هو موقفك»؟

فقلت: «لست جزءاً من التنظيم، ولكن تشاورونني في الأمور. فما نتفقُ عليه أغطّيه، وما نختلِفُ عليه نجد له إخراجاً غير انقسامي». كان الاجتماع في البقاع. وانطلـق «حـزب الله» كخط إسلامـي حركي في موقعه القيادي فـي شكل مستقل عنّي. لكن كنتُ، من خلال المسجد والساحة والخطاب السياسي، الصوت الناطق المثير والطارح للقضايا من خلال الخط الإسلامي، لأن الساحة السياسية في لبنان لـم تكن قـد اكتشفت بعد قيادة بارزة لـ «حزب الله»، الـذي لم يكن لديه مكاتب، وكانت ساحته المساجد والشوارع... لهذا كان الإعلام الغربي يتوجه إليّ لأنَهُ لا يرى غيري في الساحة في هذا الشكل القيادي ولو من ناحية خطّابية. ومن ذلك، نشأت فكرة أنني المرشد الروحي لـ «حزب الله».

✿ قيادات «حـزب الله» وجنسياتها هـل كان فيها إيرانيـون؟ وهل حضروا اجتماع البقاع؟

– لم يكن في القيادة إيرانيون. أمّا الأسماء فلا أجِدُ نفسي في حِلٍّ من ذكرها، لأن القضية متصلة بالآخرين.

✿ طريقة الإمـام الخميني، أنـه لم يكن هنـاك حزب وأطـر حزبية، وهذا ينسجم مـع حركتكم. فمن جعـلَ «حزب اللـه» يتحوّل حزبـاً كالأحزاب الأخرى؟

– ربمـا بـدأ تحوُّلُ «حزب اللـه» حزباً، كما تقول، عندما بـدأ الصراع في الساحـة. فهـي كانت فـي حاجة إلى تنظيم عسكـري وأمني، وإلـى إيجاد قيادات متدرجة في هذا المجال. لهذا أتصورُ أنهُ بدأ يتحوّل إلى حزبٍ من دون أن يعطي لنفســه هـذه الصفة على أساس أن عناوينه هي عناوين قيـادةِ الجماهير. لكنّه كلما

دخل الواقع اللبناني أكثر، كلما تلبنن أكثر، إذ شعر بأن من الصعب جدّاً نقل تجربة إيـران الجماهيريـة إلى لبنان بسبب الخصوصية اللبنانية المتنوعة التي تفرض على كل تيّار يريدُ العيش في شكل فاعل، أن تكون له مؤسسات تنظيمية قد تختلف عن الأسلوب التنظيمي للماركسيين والخلايا، لكنّه يتحرّك بما أنطلق فيه.

لقـد كنـتُ أخشى من تعددية الساحة الشيعية لأن ذلك سيجعلها ساحة صراع. ولهـذا كنت أحـاوِلُ أن تتحرك«أمل» لتلتـزم الخط الإسلامـي الحركي وليدخلها الآخـرون. لكـن الجوّ الإسلامي آنـذاك المنفتح على الثـورة الإسلاميّة في إيران كان يـرى أن «أمـل» اختطّت لنفسها خطّاً يقتربُ مـن الجوّ اللبناني، لا سيما أمام الطروحـات الإيرانية الفضفاضة التي لا تعترف بالحدود والحواجز، ولا بما اسمه لبنان بالمعنى السياسي للمسألة اللبنانية.

۞ كان لـ «أمل» علاقة كبيرة بإيران، حسب معلوماتنا؟

- نعـم، ولكنّهـا طرحت نفسها حركة لبنانية تلتـزم لبنان، لا سيما بعد غياب السيّـد موسى الصدر، بالمعنى السياسي للمسألة اللبنانية. وتلتزم الواقع العربي مع انفتاحهـا الشيعي علـى إيران. لكن التمايز بدأ بين «أمـل» والخطوط السياسية في إيران منذُ بدايات الثورة الإسلاميّة.

۞ ألم تطرح «أمل» نفسها حركة دينية متحركة أو حركية؟

- السيّـد موسى الصدر، حين طـرح حركة «أمل» كحركة مؤمنة، سُئِل في مؤتمـر صحافي في بدايات انطلاقتها: «هـل هي حركة إسلامية» أجاب: «الإسلام كمـا يفهمُه موسى الصدر». فقد كان حذِراً ودقيقاً في طرح العنوان الإسلامي من الناحيـة السياسيـة، وإن كان الرجـل يعيش هذا العنوان الإسلامـي في عقله وقلبه ووجدانه.

۞ قبل قرار إيران أنه يجب أن يكون للإسلاميـيـن الشيعة حزب في لبنان، هل جرت محـاولات مع «أمـل» أو «داخلهـا» على مسـتـوى القيادة أو القاعدة «لتغييرها»؟

- لا أتصـوّرُ ذلـك، أو لـم يحـدث هذا الأمر فـي شكل بارز علـى الأقل. فـ «أمل» كانت قد ركزت خطّوطها السياسية في وضوح، حتى إن الشهيد الدكتور مصطفـى شمران قائد المقاومة أيام السيّد موسى، وصاحب الدور في «الحركة»،

كان مشـدوداً إلـى فكره بالنسبة إلى التحرك السياسي في لبنان. كان حركيًّا وممن يعملـون للثـورة الإسلاميّـة مع السيّد موسـى، من خلال إفسـاح المجال لتدريب المعارضـة من قبل الفلسطينيين السائرين في خطّ الإمام الخميني. فهو من رجال المعارضـة فـي خطّ الإمام الخميني. لكنّه ربما فكّـر أن مسألة لبنان شيء وإيران شيء آخر.

وهـو لم يتحرك لتحويـل «الحركة» إلى ما يشبه «حزب الله». وقد لا يكون قادراً على ذلك أو مقتنعاً به.

۞ مع مَن كانت المشاورات تحصل في إيران، في ما يتعلّق بـ «حزب الله»؟

– لـم تكن هناك مشـاورات خاصة معي. كنتُ أعيشُ فـي الجوّ العام وكان الحديث معي يتناوله. كانت هناك عقدة لدى الإيرانيين جعلتهم حذرين منّي، وهي أنني كنت أتبنّى مرجعية أستاذي السيّد الخوئي من الناحية الفقهية، في الوقت الذي اندفعـتُ بكلّ ما أمتلك من طاقة لدعم الثورة والإمام الخميني بالذّات. فالأخوة في إيـران عملـوا على امتداد مرجعية السيّد الخميني في الواقع الشيعي. إذ كُلّما امتدّت فيه أكثر كُلّما تركت تأثيرها في حركيتها أكثر. فصاحب المرجعية تُطلق عليه صفة نائب الإمام. وهناك نوع من القداسة للمرجع الفقيه، ممّا يجعل فتاواه حجة للناس أمام الله...

لقـد شـكّل هذا الجانب عقدة لـدى كثيرين من المسؤوليـن الإيرانيين، بحيثُ قـال بعضهـم «لولا هذه النقطة لدى السيّد فضل الله لكان واجهة إيران الوحيدة في لبنان». ولهذا لم أكن الواجهة الإيرانية في لبنان.

كان هنـاك تعاطف مـع طروحاتي لانسجامي مع خـطّ الثورة، ولكن كانت هناك تعقيدات تركت بعض آثارها على الأوضاع التي تحيطُ بي.

ولعـل البعضـ كان لا يحب وجود شخصية مستقلة آنذاك، لا سيما أنني كنتُ كذلـك منـذ بداياتي في العراق ولبنان... لقد كانت مسألة المرجعية حاجزاً عانيتُ منه كثيراً.

۞ ماذا عن لقاء «حزب الله» الأوّل ومرحلة التّشاور؟

– حصـل اللقـاء بعـد الاجتياح. ومنـذ البداية، لـم يحصل تشـاور بالمعنى القيادي، بل تحرّكت المسألة في المناخ العام. ولهذا كنتُ أقول صادقاً، إني لستُ

جزءاً تنظيمياً من أحد، وهو ما صارحتُ بهِ الإيرانيين مرّةً. لكنني كنتُ ولا أزال موجِّـه الخطـاب الفكري والروحـي والديني لكُلِّ هذه الجماهيـر من «حزب الله» وغيـره. كنتُ أقـولُ دائماً: لا تُحزِّبوا «حزب الله»... واعملوا على فكرة الإمام الخميني بالنسبة إلى «حزب الله».

۞ كم استمرّت مرحلـة تغطية ما يتناسـب وفكرَكم؟ وكـم استمرت مرحلة التشاور التي سألتُ عنها؟

- الواقـع أنّ التشـاور الدقيـق لم يحدث، بل ربما كنت أعـرف الأشياء بعد اتخاذ القرار فيها. فالتشاور كان لا على أساس ماذا نفعل، بل إخبارٌ بما نفعل...

۞ في تلك المرحلة، كـم من الناس الذين صـاروا جماهير وقيادات «حزب الله» كانوا ينتمون إلى السيّد فضل الله؟

- في المناخ العام، لم يكن هناك فكر مطروح في الساحة، في معنى الفكر، غير الفكر الذي كنتُ أطرحُهُ. كانت خطابات الإمام الخميني هي التي بدأت تحرك فـي الساحـة، وبقيتُ في هـذه الساحة الصوت الوحيد المحـرِّك للإسلام في الخط الحركي. ولهذا بقيت الجماهير معي حتى وقت متأخر.

۞ هل شعرت بـأنّ «حزب اللـه» بارتباطاته يمكِـن أن يُشـكِّل خطراً على حركتك في الساحة؟

- لـم أشعـر بذلك في تلك الفترة، لأني كنـتُ اعتبِرُ نفسي ركيزة في الحركة الإسلاميّـة. كنـتُ أعتبر هـذا الجمهور جمهوري، ولذلك تحركـتُ معه من دون تحفّـظ، حتى في المراحل التـي كان التحرك فيها يُعقِّد علاقتـي بالخطوط الدولية ومحاورها والتي واجهتني بأكثر من تحرك، وصل إلى أكثر من محاولة اغتيال. فقـد كنتُ مندفعاً في هذه الرحابـة الإسلاميّة التي عشتها ولا أزال، وكنتُ أتحسس انسجامـي مع نفسي في هـذا المجال، وهؤلاء الأبناء هم أبنائـي. وكنتُ أبتعدُ عن كل التحفظات التي ربما لو استقبلتُ من أمري ما استدبرت لرأيت أن هناك أخطاء كبيـرة في طريق السلوك لا فـي مصلحتي الشخصية. لكنّهـا طبيعة التوازن الذي أحببتُهُ لنفسي في مسيرتي في الساحة الإسلاميّة...

إنني أستطيعُ أن اعتزَّ بكُلّ هذا الجيل الذي انطلق بقوة من خلال المناخ الذي صُنِعَ في خطّ الثورة ضد إسرائيل والاستكبار العالمي. إنني أقول إنّ الناس عندما

يقرأونني في سنة 1947 وأنا أنظمُ قصيدةً في فلسطين، أو عندما جئتُ إلى لبنان في أوّلِ زيارة في سنة 1952 حيث ألقيتُ قصيدة في تأبين السيّد محسن الأمين تحدّثت فيها عن الاستعمار الفرنسي والظُلْم السياسي الموجود في لبنان الذي كنتُ أدخله لأول مرّة في حياتي، يعرفون مدى تمسّكي بالوحدة الإسلاميّة واهتمامي بمشاكل الشباب. أنا لم أنطلق في هذا الحسّ الثوري الذي ربما كان ساذجاً في البداية وسطحياً، من الثورة الإسلاميّة في إيران ولا من «حزب الدعوة» في لبنان ولا في أي مجال. لقد كنتُ سابقاً على ذلك من دون أن أعرِفَ لماذا كنتُ كذلك.

۞ أنتم، أوّل مَنْ أصدر كتاباً عن المقاومة الإسلاميّة في لبنان. لكن في أعقاب التحرير هناك مَن حاول مصادرة...

– (مُقَاطعاً) ليست المشكلة في ذلك. فأنا أُحِّب أن أقول، سواء صدَّق الناس أو لَمْ يصدِّقوا، أنني كنتُ أرعى المقاومة فكراً وحركةً حتى أوذيتُ وحوربتُ وهُشِّمْتُ نتيجة ذلك من الداخل والخارج تماماً كما لو كنتُ أصلّي. فكما كنتُ أصلِّي قربة إلى الله تعالى كنتُ أرعى المقاومة قربةً إلى الله تعالى. ولو كنتُ أعيشُ عقلاً ماديّاً أو شخصياً لكان تصرّفي كتصرف المجنون، أي أن تدخُلَ أنت في معارك خاسرة وتحاول تحدّي مواقع القوّة في البلد والمنطقة بما يُعرِّضُك للخطَر. هذا عملٌ لا يقومُ به عاقلٌ يفكِّرُ في الحسابات الماديّة أو الذاتية. لقد قُدِّمت إليَّ الأمور على طبقٍ من ذهب من أعلى موقعٍ في العالم بمختلف الإغراءات...

لذلك، فإن القضية لم تكن مسألة ذاتية. ولهذا، لا مشكلة عندي في أن يتحدث الناس عن دوري في المقاومة أو لا يتحدّثوا عنه، إذ أعتقِدُ أن التاريخ عندما ينطلِقُ في مراحل الإضاءَة سوف يضيءُ الأمور ولو بعد حين...

۞ مولانا، من جهة «حزب الله» وبعد الذي حَدَثَ، هل تشعُر بالحزن أو بالغضب؟

– الواقع أنني أشعرُ بالحزن لأن الإنسان لا يستطيع أن يشعر بالغضب أمام أولاده. أنا لا أزالُ أعيشُ من موقع عاطفيّ وإنسانيّ في كُلّ هذا الجيل، لأنه جيلٌ أمتلك أبوّتَهُ ولو من خلال هذه الدرجيّة في الأجيال. إنني أشعرُ بالحزن لا بالغضب وليس من ناحية ذاتية. أشعرُ بالحزن لأنني كنتُ أفكرُ أن أفتحَ أكثر من نافذة للمستقبل على مستوى الوعي والفكر الذي يمكن أن يتقدَّم إلى العصر، ليقدّم الإسلام كدين يحترِمُ العقل والعلم والإنسان ويمكنُ أن يخاطِبُ الإنسان في

حلّ مشاكله. إنني في الوقت الذي أشعرُ فيه بالعزّة والكرامة أمام الانتصار الذي قادَهُ «حزب الله» بكفاءَة أشعر بأنني كنتُ أريدُ لهذه المسيرة أن تتثقّف أكثر، وأن تدخل العصر من موقع الفكر إلى جانب موقع المقاومة أكثر. لذلك، فإحساسي هو إحساس الأب تجاه أبنائه. لا أشعر بالغضب لأن مسألة الغضب تنطلقُ من الذات، وأرجو أن أكونَ صادقاً إذا قلت إن الذات لا تعني عندي شيئاً لأنني أعتقِدُ أن الذين يختنقون داخل ذواتهم لا يعيشون عنفوان الذات.

✿ مولانا، الإسلام دين ودنيا. وأنت أسّست هذا التيار وما زلت ترعاهُ حتى الآن وأعطى نتائج. وكثيرون كانوا يقولون: إن مناسبات سياسية عدة في لبنان توفّرت للسيد فضل الله، فلماذا لم يترجم مرجعيته لهذا التيار الديني السياسي في السياسة، مثلاً في الانتخابات النيابية والبلدية؟

لم يجب عن ذلك. بل آثر أن يتابع الحديث عن مرجعيته التي أثارت إيران الإسلاميّة ضِده.

قال: كانت سلبية المرجعية على الجمهورية الإسلاميّة جرّاء التفاف الشيعة حولها، وجرّاء الشعب الإيراني الذي قد يرتبِطُ بمرجعية خارج إيران فيتأثر بها في هذا المقام، سلباً أو إيجاباً. لذلك أصبحت المرجعية في «قُمْ» مسألة حيوية واستراتيجية، إن صحّ التعبير، بالنسبة إلى الجمهورية الإسلاميّة في إيران. ولعلّنا نلاحظُ وكشاهد على ما نتحدَّث به، مسألتين هما: الأولى أنّهُ عندما تُوفّي المرجع الذي كانت إيران تتبنّاه وهو الشيخ محمد علي الأراكي، اجتمع مدرّسو الحوزة العلمية في «قُمْ»، ويُدعون جامعة المدرّسين، كي يعيّنوا المرجع. فحدّدوا سبعة أشخاص يتخيَّرُ المُقلّدون في العالم الشيعي بينهم، وطرحوا طبعاً اسم السيّد خامنئي لظروف معيّنة، ولم يطرحوا أي اسم من الشخصيّات المرجعية في المرجعية الفعليّة في النجف كالسيّد السيستاني والشيخ الغروي أو غيرهما... ممّن كانوا يتحرّكون في خطّ المرجعية، وكان لهم امتداد مرجعي حتّى في إيران. بل اقتصروا على الشخصيات الموجودة في إيران مع أن هناك فريقاً كبيراً من الشيعة يعتقد أنّ بعض الأسماء في النجف أكثر علماً وأكثر تقدّماً في الكفاءَة... مِمّا يدل على أن المطلوب كان حصر المرجعية في إيران.

أما المسألة الثانية فهي أنّ السيّد خامنئي عندما طرح نفسه للمرجعية قال في البيان الصادر عنه أن المرجعية لم تكن طموحاً له، وأنهُ طرح نفسه للمرجعية

خارج إيران، لأن التقارير التي قُدِّمَتْ له أفادت أن المرجعية خارج إيران لا تستطيع الوقوف على قدميها وأنها سقطت. لذلك طرح نفسه للمرجعية خارج إيران لا داخل إيران، أي لحماية المرجعية في الخارج. ثمَّ توجّه إلى علماء «قُمْ» وقال: إذا استطعتم أن تتدخَّلوا لحماية المرجعية خارج إيران من السقوط فأنا أنْسحِبُ». كان بقاء المرجعية في إيران مسألة حيوية بالنسبة إلى الجمهورية الإسلاميّة الإيرانية، وبدت قضية تتصلُ بسلامتها أكثر مما قد تتصل بالمسألة القومية الإيرانية، كما يُحاوِلُ البعض تفسيرها. ذلك أن المراجع الموجودين في النجف هم في الغالب إيرانيون. والمرجع البارز الآن في النجف السيّد علي السيستاني هو شخصية إيرانية. إن المسألة هي في ما يتّصلُ بالجمهورية الإسلاميّة في إيران، لأن الملحوظ أنّ هناك نقطة تؤكد هذه المسألة هي أن الإيرانيين الذين كانوا يرجعون إلى مرجعية النجف والذين لا يزالون يرجع بعضهم إلى مرجعية النجف، كانوا لا يتعقَّدون من وجود المرجعية في النجف حتى داخل «قُمْ» ذاتها، لا سيما أن أغلب المراجع الذين تتابعوا في المرجعية إيرانيو الأصل.

أما بالنسبة إلى ما يتصل بي وبموقعي في المرجعية، فالظّاهر أنّهُ لم يجدْ ترحيباً لا في النجف ولا في «قُمْ». ومن الطبيعي تداخل المسألة السياسية مع المسألة المرجعية في هذا المجال من خلال الملاحظات التي ذكرناها رغم أنني أُعْتَبَر لدى إيران وفي العالم الخارجي، من مؤيّدي الجمهورية الإسلاميّة، وتحمّلت الكثير حتى على مستوى الخطر بسبب تأييدي لها. وقد قالت لي إحدى الشخصيات المسؤولة إنّهُ «ليست عندنا شخصية في العالم تُدافِعُ عن إيران وتقِفُ معها في كُل الظروف غيرك...». ومع ذلك كانت الخطوط، إن صحّ التعبير، أي بعض الأجهزة يعملُ بكُلّ شراسة في مواجهة هذه المرجعية. ومن الطبيعي أنّها امتدت إلى لبنان من خلال الذين يلتزمون القيادة الدينية أو السياسية في إيران، وابتدأت الحساسيات وما قد يُسمّى الحرب على هذه المرجعية. وأعطت هذه المسألة للأشخاص الذين يواجهونها بقوة وشراسة كالمجلس الإسلامي الشيعي وبعض الجهات الأخرى، أعطتهم قوة لأن المسألة أصبحت تُمثِّلُ جبهة واحدة. ولعلّي ذكرتُ سابقاً أن هناك مرجعيات تقليدية في «قُمْ» أصدرت فتاوى ضِدّي، فاستُغلَّ هذا الأمْر في لبنان وفي أكثر من بلد في العالم الشيعي.

أما في النجف فلم يصدر عن أي مرجعية، أي موقفٍ سلبيّ. ربما صدر عن المرحوم الشهيد السيّد محمد الصدر في البداية بعض الكلمات السلبية عندما

قُدّمت إليه بعض البيانات أو بعض الآراء. لكنّه تراجع عن ذلك، وأصدر بياناً بأن «قراءَتي لكتب السيّد فضل الله تَدلُّ على اجتهاده، وأنه مجتهد، وأن ما ذكرتُهُ في البداية هو اختلاف في الرأي، أي مناقشة في الرأي». لكنّ بعض الأجهزة من المشايخ وأجهزة دينية رسمية في لبنان زوّرت على لسان علماء النجف بيانات تتحدث عنّي بسلبيةٍ قاسية جدّاً. وعندما عُرض ذلك على علماء النجف أنكروه، وقالوا إنّنا لم نتحدثْ أبداً بهذه الطريقة وإنّ هذه البيانات مكذوبة علينا. لكن من الطبيعي أن الموقف بقي موقفاً لا يتجاوب مع هذه المرجعية(مرجعيتي) لأنهم يرون أنفسهم الأكثر علماً وفقهاً ويُصرِّحون بذلك. وربما انطلقت بعض مكاتب هذه المرجعيات في حرب شديدة على مستوى العالم الشيعي ضد مرجعيتي انطلاقاً من تصريح بعضها أنه لاحظ أن كثيراً من المقلّدين لهم قد بدأوا يعودون في التقليد إليّ. فكانت هذه مشكلة دفعتهم إلى مواجهتها بقوة وعنف من خلال استغلال بعض الآراء الفقهية أو التاريخية للتشكيك في سلامة الخط الشيعي الذي أؤمِنُ بهِ، أو ما يتصل بنظرية الشيعة في عصمةِ الأنبياء أو في الأئمّة، أو في الحديث عن الشكّ في المسلّمات، أو في بعض القضايا التاريخية وغير ذلك ممّا أثير...

لقد استُغلّت هذه الأمور في شكل بشع جدّاً، كما دُفعت أموال باهظة إلى بعض الشخصيات هنا في لبنان ومشايخ لبنانيين لتأليف بعض الكتب التي تُهاجمني بأسلوب تشهيريّ يتخذ صفة العلم. كما أُلفت كتب الآن في «قُمْ» عندما كان يُسْتَنْطَقُ العلماء هناك أو بعض الفضلاء، كما يُسمُّونهم، ما رأيكم بمن يقولُ كذا؟ في نسبة لا أقولُها أنا، ولكنّهم يقولون إن فلاناً يقولُ كذا؟ وأصدروا كتاباً طبعوه عدة مرات «الحوزة العلمية تُدينُ الانحراف»، باعتبار أنني أمثّلُ الانحراف، في زعمهم، عن الخط الإسلامي الشيعي... ونَشَرُوا المسألة من خلال توظيف خطباء المنبر الحسيني وكثيرين من المشايخ الذين يذهبون إلى أميركا وأوروبا وأستراليا وكندا من أجل الوقوف ضد هذه المرجعية.

لكن، من المفارقات، إنّ الحملة كلما اشتدت أكثر كُلّما امتدت المرجعية أكثر. ذلك أن الأساليب التي يتبعها هؤلاء متخلّفة. فهي قد تُقنِعُ بعض البسطاء، لكنّها لا تُقنِعُ الأشخاص الواعين، وخصوصاً أنهم يأخذون بكثير من الأساليب أو تحريف الكلام عن موضعه مما يظهر أمرُهُ بعد ذلك. مع ملاحظة أخرى هي هذا الحضور اليومي المتحرك على مستوى العالم، سواء على مستوى اللقاءات العالمية مع أجهزة الإعلام وعلى مستوى صفحة الإنترنت، أو على مستوى الكتب التي تصدُرُ

بين وقت وآخر، أو على مستوى المحاضرات واللقاءات التي يبادرُ الناس فيها إلى السؤالِ عن هذا وذاك ويرون خطّأ هذا وكذب ذاك. ولذلك، فإنّ هذه المرجعية حوربت حرباً لم تُحارب فيها أي مرجعية شيعية في التاريخ. لكنّها لم تستطع أن تُسْقِطها أو تضعفها بل شاركت في تقويتها على مستوى العالم الشيعي كله. من الطبيعي أنّ الحرب المذكورة تركت بعض التأثيرات وأثارت بعض الشكوك، وخصوصا أن المشايخ الذين يرتبطون بهذه المرجعية أو تلك عملوا على مقاطعة مرجعيتي. لكن يبدو أن الوسط الشعبي، على أكثر المستويات في الخليج أو في الجاليات الموجودة في الغرب أو في لبنان بالذات أو سوريا، لا يزال يرتبط بهذه المرجعية في طريقة أو في أخرى.

۞ هل لديك، مولانا، فكرة عن عدد مقلّديك في العالم الشيعي وحجمهم؟

– عندما أدرسُ المسألة من ناحية تقريبية، لأنني لا أمتلك إحصائية، فإنني أتصوّرُ أنها تتجاوز الملايين.

۞ مولانا، ذكرتم في سياق الحديث أن الحملة قام بها مشايخ وأجهزة، فما هي الأجهزة المقصودة، ومن هم المشايخ؟

– قد تكون بعض الأجهزة المخابراتية، **(مقاطعاً: محلية؟)**:

هناك أجهزة مخابراتية إقليمية ولا اقصِد إقليمية عربية، وقد أسلفتُ سابقاً حول حديث السيّد خسروشاهي حول «هذا الموضوع»... وقضية تخصيص الكونغرس الأميركي 20 مليون دولار لزعزعة النظام الإسلامي.

۞ إذاً، استُعمِلت المرجعية وسيلة سياسية، مولانا، في إيران؟

– عندما تداخلت المسألة السياسية مع المسألة الدينية كان من الطبيعي أن تترك بعض تأثيراتها على المرجعية. ومن الصعب جداً أن لا يكون أي شيء بهذا الحجم خصوصاً في العالم الشيعي الذي دخل الجوّ السياسي من الباب الواسع من خلال العنف السياسي الشيعي أو من خلال طبيعة الجمهورية الإسلاميّة التي دخلت ساحة الصراع مع الغرب من الباب الواسع، من الطبيعي جداً أن يفتح الباب أمام وضع مخطّطات أو القيام بدراسات لكل التناقضات والتعقيدات الموجودة في العالم الشيعي من أجل تقوية عنصر الإثارة الذي يُساهِمُ في تمزيق الساحة أكثر، أو في تصفية بعض الحسابات مع بعض الشخصيات المعارضة لسياسة أميركية أو

إسرائيلية أو عربية أو ما إلى ذلك...

✪ مولانا، أنتَ قُمّي أو نجفي؟

- من الطبيعي أنني ولدُت في النجف وعشتُ كُلّ شبابي فيه ودرستُ فيه. لم أدرس في «قُمْ»، ولعلّي أرجِّحُ أن ترجِع النجف إلى قوتها باعتبار العنصر التاريخي الذي تُمثِّلُهُ هذه الحوزة الألفية، والذي لا يمكِنُ أن يقوم مقَامَه أي عنصر. ففي النجف معنى يعيشُهُ كل شيعي في العالم بل كُلّ مُسلم، وهو مقام أمير المؤمنين الإمام علي (ع). لذلك فإن مسألة النجف هي من المسائل التي تعيش داخل وجدان كُلّ الشيعة، ومن الطبيعي أن لهذه الخلفية تأثيراً كبيراً في الوجدان الشيعي بالنسبةِ إلى موقع الحوزة العلمية في النجف الأشرف...

✪ مولانا، نحنُ نفهمُ أنه ومنذ القِدم كان الشيعة يقلّدون مراجع عديدين. لكننا نلاحظ الآن أن هناك مرجعية استندت إلى دولة ونظام، وتحاول أن تقوم بأعمال قسرية في هذا الموضوع؟

- لا. الواقع أنه إذا أردنا الكلام بموضوعية في هذه المسألة، نقول إن الدولة في إيران، التي تفكِّرُ في المسألةِ من ناحية استراتيجية على المستوى السياسي والأمني، لم تلغِ المرجعيات الأخرى في إيران. ربما لم تشجّع المرجعيات الموجودة خارجَ إيران، أو أنها تحفّظت عليها أو حاولت أن تحجّمها لكنّها لم تُلغِها. فالمرجعية النجفية الآن التي يُعتبر السيّد علي السيستاني أحد أبرز رموزها تمتلكُ امتداداً في إيران، ولها ممثّلون في «قُمْ»، وموقع واسع هناك، إذ تمارس مشاريع المؤسسات وإعطاء الأموال الشرعية للحوزة العلمية في «قُمْ» والحوزات الأخرى في مناطق إيران، ولأئمّة الجمعة والجماعة من دون أن تواجه حرباً من المرجعية الرسمية في إيران، إذا صحّ التعبير. كما أن هناك مرجعيات أخرى في «قُمْ» تتمثل بالشيخ جواد التبريزي والشيخ الوحيد الخراساني والشيخ ناصر مكارم الشيرازي والشيخ فاضل اللنكراني وغيرهم... ولهم مُقلّدون ولا يُواجهون ضغطاً على مستوى المرجعية. أي هناك اعتراف من الدولة بتعدد المرجعيات، حتى وهي تعمل لتقوية المرجعية «الولايتية»، إذا صحّ التعبير. ولهذا، فإن إيران لم تخالف التقليد الشيعي في مسألة إفساح المجال لتعدّد المرجعيات، لأنها لا تستطيع ذلك، ولأن لا واقعية لمصادرة هذه المرجعيات وحصرها في واحدة وإن كانت تُرحّبُ بذلك لو توفّرت الظروف الملائمة له.. كلّ ما هناك أنها لم تشجّع

المرجعيات خارج إيران، لكنّها لم تخض حرباً ضد بعض المرجعيات. حتى إنّ بعض الخطوط الموجودة في إيران، التي قد تتبرّأ الجهة الرسمية من مسؤوليتها عن حركيتها المضادة للمرجعية التي أمثّلها، أعلنت أنها لا تمارسُ حرباً ضد هذه المرجعية، بقطع النظر عن واقعية هذا الموضوع في طريقة أو في أخرى... ذلك أن هناك نقطة موجودة هي أن المرجعية الشيعية تتميز بالامتداد الشعبي الذي ينطلق من عنصر الثقة الدينية الحرة التي لا تُصادِرها أي دعاية ولا أي دولة، حتى الدولة الشيعية المباشرة في هذا المجال. والذي حفظ امتداد المرجعية الشيعية على مدى التاريخ هو أنها لم تخضع لأي دولة. بل إنّ هناك ملاحظة إيجابية في جانب المرجعية الولايتية أو الرسمية في إيران هي أن الأموال المصروفة على الحوزة العلمية في «قُمْ» أو الحوزات الأخرى في مناطق إيران لا تنطلق من الدولة بل تبقى مستمرّة من الحقوق الشرعية الآتية للمرجع حتى المرجع نفسه. ويعود ذلك إلى الخوف من إمكانات التطورات المستقبلية لنوعية الدولة، إذ قد تتغير وتصبح راغبة في خضوع الحوزات العلمية للدولة من خلالِ تمويلها لها...

۞ مولانا، هل يمكننا القول إن لبنان قد يتحول مع الوقت مرجعيةً، أو مقراً للمرجعية الشيعية الدينية كما في النجف و«قُمْ»، وخصوصا أن شيعة جبل عامل كان لهم دور كبير في الموضوع الشيعي عموماً والإيراني خصوصاً؟

- من الصعب جدّاً أن يتحول لبنان مرجعية بمستوى مرجعية النجف أو مرجعية «قُمْ» بسبب العنصر التاريخي من جهة والعنصر الديني من جهة أخرى. فالبلد الذي يحتضن المرجعية هنا وهناك يحتضن مرقداً من مراقد أهل البيت (ع)، وبذلك تكون له قداسة تجعل الناس يُسافرون إليه من سائر أنحاء العالم. ولهذا مثلاً، لم تُعقد الحوزات في الشكل الواسع الذي يُمثّلُ موقعاً روحياً، إن صحّ التعبير، في لبنان، بل عُقِدَت فيه عندما هاجر المهاجرون من النجف إلى منطقة السيّدة زينب في سوريا. لهذا، فإن لبنان ليس مؤهّلاً بحسب المنطقة الجغرافية وبخصوصيات الموقع الديني لأن يصبح مرجعية منافسة للنجف أو لـ «قُمْ» حتى لو نشأ مجتهدون في لبنان... فهناك شيءٌ في الوجدان التاريخي والديني يجب عدم إغفاله. حتى عندما كان لبنان في جبل عامل يحتضن علماء كبار يُمثّلون وما زالوا يُمثّلون أساتذة الفقه الشيعي في كتبهم، حتى في ذلك الوقت كان للنجف دورها الكبير الذي لم يستطع لبنان أن يغطّيه. بل كان علماء لبنان يذهبون إلى

النجـف ويدرسون فيهـا مدة قد تطول وقد تقصر. وحتى كان علماء لبنان يذهبون إلـى إيـران ليصبحـوا مراجع هناك وشخصيـات. إن لبنان لا يُمثِّـلُ الامتداد بين النـاسـ. لذلك تبقى مسألة الوجدان الشيعـي تفرض نفسها في هذا المجال. وليست من المسائل التي تتصِلُ بالتحليل الهندسي والتخطّيط الهندسي...

۞ إذا ساعدَ اللـه، عزّ وجلّ وفـرّجَ كُربهَ النجف، وصارت هنـاك إمكانية لنشاط مستقبلي هناك، فهل تقيمُ في النجف، مولانا؟

- مُمكـن جـدّاً. هناك الكثير من الناس مـن العراقيين المقيمين داخل العراق وخارجـه، وخصوصـا بالنسبة إلـى العراق الـذي أمتلك فيه امتـداداً في مستوى التقليـد، يتحدثـون أن العـراق إذا انفتـح ورجع النجف ورجع التـوازن في واقع النظامِ العراقي، عن مسألة ذهابي إلى النجف، بقطع النظر عما إذا كان هذا الأمر واقعياً في ذلك الزمن أو غير واقعي. فهذا أمرٌ فرضيٌّ...

۞ هل ينظر «حزب الدعوة» إليكم كتتمة ومتابعة لما بدأهُ الشهيد الصدر؟

- مـن الطبيعـي أن أغلب المنتسبيـن إلى هذا الحزب، سـواء انتساباً تنظيمياً أو انتسابـاً فكريـاً تأييديّاً، قد يجدون فـي هذا الشخص بعض الآفـاق التي انطلقوا منهـا، وانفتحوا عليها في رحابة الإسلام الواعـي والحضاري والحركي المنفتح. وربمـا يتحدّثُ البعض، أن هذا الشخص يُمثِّـلُ الامتداد لمسيرة المرجعية الرشيدة الواعيـة التي تمثَّـل فيها الشهيد الصدر. لكننـي أعتقِدُ أن المسألـة تجاوزت دائِرة الحـزب وابتعـدت المرجعية عن أن تكون في هذه الدائرة. وقد يكونُ من الواقعي الاعتـراف بأن لهؤلاء الناس بعض تأثير في قوة هذا الوجود المرجعي. أعتقِدُ أن المسألـة تجـاوزت ذلك كثيراً، حتّـى إنهم هم لا يفكرون في ذلـك على المستوى التنظيمي.

۞ ما نسبة مقلّديكم في إيران، مولانا؟

- هناك مقلّدون من العرب في منطقة الأهواز. وقد سمعتُ من أحد السفراء الإيرانييـن أن هناك مقلّدين من الشباب الإيرانـي الجامعي، ولذلك بدأتْ المطالبة بترجمـة كتبي إلـى الفارسية، وقد تُرجِمَ الكثير منها. كمـا تُرجم «الكتاب الفقهي» الـذي يشتمـل على المسائل التي يحتاج إليها المقلّدون. وقد عَكَفَ بعض العلماء في قُمْ على إخراج هذا الكتاب، وسيُطبَعُ قريباً.

۞ ماذا عن قداسة المرجعية وبروتوكولها؟ وهل لها قداسته؟

- لا قداسة، وأستطيع القول إنّ الناس صغيرهم وكبيرهم يدخلون على المراجع، وهذه ميزة المرجعية الشيعية عبر التاريخ.

۞ لنعُدْ إلى «النَّجف» و«قُمْ» والصراع بينهما. ماذا كانت تأثيرات هذا الصراع في كل القضايا المطروحة؟

- الواقع أن كلمة صراع ربما هي أكبر من الواقع. فالنجف كان قاعدة المرجعية بحسب الامتداد التاريخي، حتى إن إيران كانت ترتبط بمرجعية النجف رغم وجود مرجعيات إيرانية بين وقتٍ وآخر، لكن الامتداد هو لمرجعية النجف. يعني أنه حتى لو فرضنا أنه كانت هناك مرجعيات في إيران مثل مرجعية السيّد حسين البروجوردي وهو من المراجع الكبار، فإنّها ما كانت تتجاوز إيران التي تشاركها مرجعية النجف. فهي البعد التاريخي في مسيرة المرجعية وعمرها الآن كمرجعية حية أكثر من 1000 (ألف سنة). إيران فيها مدرسة أو مدارس، ولكن كحوزة علمية كانت حوزة النجف تستقبل سائر طلاب العلوم الدينية للشيعة من كل أنحاء العالم. فهي التي تُمثّلُ قاعدة المرجعية وامتدادها وسعتها، والنكسة أصابتها من خلال النظام العراقي الذي حاول أن يصادرها. وقد يكونُ موقفه إيديولوجياً باعتبار أنهُ يريدُ أن يُسْقِطَ الموقع الديني وتحديداً الشيعي، خصوصاً أن النجف تحرّك كمعارضة سياسية للنظام. كان للمرجعية دورها في هذه المعارضة، ويمكن أن «حزب الدعوة» الحزب الشيعي الإسلامي الأوّل المعارض، كان في الواجهة في حينه وكان يحتمي بعباءَةِ المرجعية.

قام النظام العراقي أولاً بتهجير كُلّ الإيرانيين ومَن هم من أصول إيرانية من العراق، وبالتالي هجّر أغلب العلماء أو طُلاّب العلم الديني في النجف، وضيّق على الباقين منهم بحيث إن الحوزة فيها تحجَّمت من حيث كونها مركزاً لطُلاّب العلوم الدينية، ومن حيثُ طبيعة تأثيرها الديني. بعد ذلك، جاءت الثورة الإسلاميّة في إيران وحصل ضغط في العراق، وصار مجيء جاليات أخرى إلى العراق صعباً، كما فُقدت الشخصيات العلمية البارزة التي يمكنُ أن تُعطي الحجم العلمي الكبير. فتوجّه طُلاّب العلوم الدينية إلى قُمْ. ومن الطبيعي أن الجمهورية الإسلاميّة هناك أفسحت المجال لهذا الامتداد الحوزويّ، إذا صحّ التعبير، الذي يعطي إيران الموقع الفعلي الحيوي أو الحركي للمرجعية، لأن الضغوط التي

صــارت علــى مرجعية النجف، لم تقلّل دورها الــذي كان يتمثل في السيّد الخوئي وكانــت مرجعيتــه واسعة في العالــم الشيعي بما في ذلك إيــران، بحيث لم تستطع مرجعيــة السيّــد الخميني أن تنافسها حتى في إيران، رغــم الوهج الذي أخذْتُه إلى جانب المراجع الأخرى من مرجعيات الثورة.

لذلــك كانت مسألــة ضمور مرجعية النجــف ناشئة من الوضـــع السياسي في العــراق والضغــوط التي مارسها النظام فيه. ولم تكــن ناشئة من سيطرة مرجعية «قُمْ» على مرجعية النجف في ساحة الصراع. لأنّه، كما أشرنا، فإنّ «قُم» ورغم الوهــج الكبيــر الذي أخذته مــن خلال الثورة الإسلاميّة في إيــران، لم تستطع أن تنــازع مرجعية النجف بقدر ما يتصل الأمر بمــا يُسمّى بالتقليد وهو رجوع الناس بالفُتْيــا. فالمسألــة لم تكــن مسألة صراع وإنمــا طُرِحَتْ مسألة الصـــراع في واقع الصحافة أكثر من الواقع الفعلي. ومن الطبيعي جدّاً أن الجمهورية الإسلاميّة عملت علــى تقويــة مرجعية «قُمْ»، وعلى عدم إفساح المجــال لعودة مرجعية النجف إلى الحجــم الــذي كان لها، وذلك بالتأكيد على أن «التقليــد الشيعي» يجب أن يبقى في إيران. وهذا أمر صرّحت به شخصيات كبيرة جدّاً. ولعل المسألة التي كانت تحكمُ هذا التصور أو هذا العمل هي اعتبارُهم أن للمرجع دوراً وتأثيراً كبيرين في العالم الشيعــي. وربمــا لم تأخذ مركزية الولاية الدور الــذي للمرجعية. ولهذا، فإن أي مرجعيــة خارج نطــاق إيران ربما تترك تأثيرات سلبية على الجمهورية الإسلاميّة عندمــا تتخــذ بعض المواقف، سواء من خلال آرائهــا أو أفكارها أو الخطوط التي تتحركُ فيها، أو عندما تمارس عليها الضغوط من النظام الذي يحكِمُ البلد الذي هي فيه... فقد يترك هذا تأثيرات.

✿ ماذا تريدُ سوريا من لبنان؟

- ربمــا كانت مسألة لبنان في الخط السياســي السوري هي مسألة الذي يُشكّلُ خطَــراً علــى سوريا مــن خلال التاريخ الــذي عاشته الأوضاع اللبنانيــة في القضايا السوريــة، باعتبــار أن لبنــان كان أرض المخابــرات الدولية. وكانــت الانقلابات السوريــة تُصنَــعُ في لبنانٍ بسبب التداخل السوري اللبناني الذي يجعل سوريا منفتحة على لبنان، ولبنان منفتحاً على سوريا، الأمر الذي يسهّل التدخل في القضايا السورية مــن خــلال المفردات اللبنانية، سواء مــا كان لبنانيّاً في ذاته أو كان خارجياً يتحرك من خلال لبنان. لذلك فإنني أتصور أن تحمُّل سوريا مسؤولية قيادتها لقوات الردع

العربيــة كان فيــه شيء من هذا. أي أن يكــون لسوريا موقعٌ مميزٌ في لبنان تستطيع مــن خلالــه أن تراقب الوضع اللبناني وتتدخل فيــه بالمستوى الذي تحمي نفسها من تعقيداته، وتترك تأثيرها فيه لتكون عملية وقائية للمستقبل. أتصور أن هذا الدور بقي مستمراً حتى اللحظة الحاضرة. ومن الطبيعي أننا، عندما نؤكدُ على هذه المسألة في خصوصيــة الدور الســوري من خلال وجهة نظر سوريا، فإننــا لا نمانِعُ أن يكون هنــاك أكثــر من خطّ دولــي وإقليمي عربي لتشريع الدور الســوري في لبنان. فمن الممكــن جــدا أن يكون هناك دور دولي متقاطع مع دور إسرائيلي وربما عربي أن تُشغَل سوريا بلبنان، في إطار تعقيدات الساحة اللبنانية، أو بحجة المسألة الإسرائيلية وانعكاساتهــا السلبية علــى لبنان وغير ذلك... مماَ يجعل قضيــة انشغال سوريا في لبنــان وبــه هدفاً دولياً وربما أميركياً، ولا مانــع أَن يكون أوروبياً يتقاطع مع الخط الإسرائيلــي بيــن وقت وآخر... ذلك أن الخط الإسرائيلي في هذه المرحلة هو خطّ متحرك...

وفــي هذا الاتجــاه، يمكــنُ أن نلاحظ أن سوريــا تخشى خلفيــات المارونية الطائفية المتقاطعة مع المارونية السياسية من خلال التصور بأن هناك عقدة طائفية عميقــة تنظــر إلى سوريا نظرة طائفية، بالإضافة إلــى العقدة اللبنانية التي قد تعتبر عقــدة مسيحيــة باعتبار أن لبنــان في نظر المسيحيين، ولــو كان ذلك في المراحل الأولى من تكوينه، دولة مسيحية. وكما قال ريمون إده، أريدَ أن تكون للموارنة دولــة فكان لبنان، مما يجعــل سوريا تواجه المسألة المارونيــة بالذات والمسيحية الممثلــة للمارونيــة السياسية مع بعض الخطوط الإسلاميّة. ولذلك، هي تعمل على ضبــط هــذا بالضغط على حركية هذه الفئة والاستفــادة من التعقيدات الموجودة في لبنــان لمواجهة التعقيدات المارونية السياسية في الواقع الإسلامي فيحصل نوع من التــوازن تستطيــع سوريا أن تحمي نفسها من خلاله. مــن الطبيعي أن هذا التوجه يفرض دخول أجهزة الأمن السورية لبنان، كما يفرض أيضاً بقاء الجيش السوري ريثمــا تستقــر الأوضاع وتأمن سوريا علــى نفسها بوجود حكــم لبناني يحميها من اللبنانيين الآخرين ومن نفسه.

إننــي أتصــوَّرُ أن المسألة تتحرك من خلال خشيــة سوريا من لبنان، ولذلك مــن الصعب جدّاً الحديث عن انسحاب ســوري من لبنان في وقت قريب، لأنه لا يزال يعيش الفوضى الطائفية والسياسية بين وقتٍ وآخر. وأعتقد، وإن كان اعتقاداً فــي الهــواء، أن هذا الإلحاح على انسحاب الجيْش الســوري من لبنان والتعقيدات

التـي تحيـط به وتتحرَّك فـي داخلِه يؤخّـر انسحابه لأنه يزيد المخـاوف السورية مـن المستقبل اللبنانـي، لا سيما حينَ يُثار خطّأً أو صوابـاً وجود خلفيات دولية أو إسرائيلية وراء هذا التحرك.

فـي رؤيتـي أن المسألة فـي عمقها تتحرك في هذا الاتجـاه. ومن الطبيعي أن تُطـرَحَ عناوين السلم الأهلـي الذي قام به الجيش السوري، ويدور الحديث عن أن انسحاب الجيش السوري قد يُربكُ السلم الأهلي لأن الجيش اللبناني لا يزال هشّاً في المسألـة الطائفية، ممّا قد يُحْدِثُ الانقسـام الطائفي عند أي حالة تُثيرُ بعض المشاعر الطائفيـة فـي بعض المواقع الطائفية، باعتبار أنه لا يزال فـي فترة النقاهة. يُضاف إلـى ذلـك الحديث عـن وحدة المسارين السـوري واللبناني لأن لبنـان لا يزال في حالـة حرب مـع إسرائيل، ولا تـزال التطورات الموجودة فـي المنطقة من خلال ابتعـاد مسألة التسوية وحركـة «الانتفاضة» التي ربما تخلقُ مشكلة للبنان في الجانب الفلسطيني. هذا إلى جانب قدرة سوريا وحدها على ضبط المسألة الفلسطينية في لبنان مع بعض «البهارات» للقومية العربية هنا وهناك...

۞ على افتراض التسوية في المنطقة، هل سيبُقي استمرار الفوضى الطائفية في لبنان السوريين فيه، وتحديداً جيشهم؟ وهـل تحتاج التسوية السلمية في المنطقة إلى ذلك في حال التوصل إليها؟

- أتصوّرُ أن التسوية إذا حصلت لن تكون تسوية ساذجة، بمعنى أنها مجرد حالـة سـلام بين العرب وإسرائيـل. بل ستكون تسوية تعملُ علـى ترتيب المنطقة ووضـع أكثـر من بصمة دوليـة على هذا البلـد وذاك البلد. فأنـا لا أستطيع، ولا يستطيـع أحدٌ يفهمُ لبنان، أن يُفسِّـر ما يحدث في لبنان على أنه مجرد حالة داخلية لبنانيـة لا علاقـة لها بالخارج. ولا أريـدُ أن أقول إن اللبنانييـن عملاء للخارج، لكنّهـم يعرفون كيف يلتقطـون إشارات الخارج. ونعرف أن الخارج قد لا يتدخل فـي شـكل مباشر في أثناء التحضير للمستقبل بل يُرسـل إشارات إليه تربكُ الوضع اللبنانـي باعتبـار ما سيأتي. لهذا، فأنا لا أتصوّر أن الجيش السوري سيبقى طويلاً فـي لبنان بعد التسوية، لأنها ستكون الحَدَث الذي يُعطي المنطقة حالة من التوازن في نطاق المصالح الأميركية.

۞ لنتحدث عن سوريا الكبرى. هل تبقى فكرة أم يمكن تنفيذها لاحقاً؟

- أتصوَّرُ أن سوريا الكبرى أصبحت مجرَّد خيال سياسي لا واقع له. إذ أن

مسألــة تكبير الدول وتصغيرهــا ليست سهلة بحيث تستطيع أي دولة أن تكبِّر نفسها أو تصغّــر نفسها. وهذا ما لاحظناه فــي مسألة الوحدة العربية والمسألة القبرصية، وفي مسائل أخرى. فتصغير الدول أو تكبيرها لا بُدّ أن يخضع لتوافق دولي جرّاء ارتباطــه بالمصالح الدولية المتحركــة في ساحة الصراعات الدوليــة. وإذا درسنا الواقــع الدولــي فــي المصالح المتحركة فــي المنطقة، لا نجد أن هنــاك أي فرصة لتكبير سوريا أو لتصغير لبنان. بل إن سوريا لا تمتلكُ الآن بحسب إمكاناتها الذاتية أن تتوســع لأنهــا تضيق الآن حتى في سوريا الصغرى وفي عملية إدارتها، فضلاً عن الجانب الاقتصادي والسياسي والتحديثي وما إلى ذلك...

لكننــي أتصــوَّرُ أن على اللبنانيين، إذا أرادوا أن يكونوا واقعيين، أن يفكّروا أن العلاقــة بسوريــا ليست كالعلاقة بأي دولة عربية أخــرى. ولا أتحدث هنا عن شعــارات العلاقــات المميزة التي أصبحــت كلمات استهلاكية بــل، أقصدُ أن هناك تداخلاً بين الشعبين السوري واللبناني يُمثِّلُ ارتباطاً عضوياً وتاريخاً مشتركاً. حتى إن الموارنــة الذيــن يُمثلون المشكلة في لبنان هم سوريــون بحسب تاريخهم مثلاً. وهكــذا نجد التداخل بيــن الكنيسة الأرثوذكسية في سوريا ولبنــان. هذا إلى جانب طبيعية الارتباط العضوي بين الدولتين باعتبار أن سوريا هي المنفذ البري الوحيد للبنــان على العالــم العربي، إذا استثنينا فلسطين، التي لــن تكون حتى بعد التسوية بسهولة هذا المنفذ وواقعيته.

لهــذا، لا بُــدّ من أن يعمل اللبنانيون على أساس أن يُطمئنوا سوريا أن لبنان لــن يكــون ممرّاً ولا مقــرّاً للتآمــر عليها. وأن ينظــروا إلى العلاقــات بين سوريا ولبنــان فــي صــورة واقعيــة، وأن يدرسوا مسألــة السياسة في مفهــوم التطورات السياسيــة الموجــودة في العالم. فنحــنُ، عندما ندرس أميركا وكنــدا مثلاً، فإن ما بينهمــا قــد يكون أكثر مما بين سوريا ولبنان، وهكذا بالنسبة إلى كل دولة كبيرة مع الصغيرة.. عندما ندرس الآن وضع السعودية مع دول الخليج الأخرى كالبحرين أو قطر لولا خصوصيتها التي حاولت بها أن تتفلّت من سيطرة السعودية نجد علاقة الكبير بالصغير. من الطبيعي أن أي دولة صغيرة تجاور دولة كبيرة لا يمكنها أخذ الحُرِّيــة لنفسها فــي الشكل الفضفاض الذي يُتحدّثُ عنــه... ومن الطبيعي أن يُفكِّر اللبنانيون في السيادة، ومن الطبيعي جدّاً أن يُطالبوا بعدم تدخل سوريا في القضايا الداخلية اللبنانية وبعدم تسليطها بعض العملاء اللبنانيين، الذين ليسوا في مستوى أن يتحركوا سياسيّاً في لبنان، عليهم.

إنني أعتقدُ أن العلاقة مع سوريا تحتاجُ إلى دراسة عميقة دقيقة واقعية خارج نطاق كل هذا الجدل السياسي أو اللغو السياسي الدائر في الساحة.

✿ هل التسوية خيار آتٍ في المنطقة، وإليها؟

– إنني لا أزال أشير إلى أن التسوية هي الخيار السياسي الوحيد في المنطقة ولو بعد حين. وإنني أؤكد ما فكرت فيه، وهو أن كل هذا التعقيد الإسرائيلي المتناغم مع التعقيد الأميركي للمسألة الفلسطينية هدفه أن تحصل إسرائيل على أكبر قدر ممكن من المكاسب الجغرافية والسياسية والأمنية والاقتصادية قبل أن تتحول دولة طبيعية من دول المنطقة. هذا يؤكّد التسوية ويجعلها تسير بخطى متسارعة من أجل أن تصبح العلاقات الطبيعية بين إسرائيل والدول العربية نهاية المطاف...

✿ ماذا عن نشاطكم الديني في سوريا؟ وكيف بدأت علاقتكم معها؟

– في أثناء زياراتي لسوريا، كنت أترددُ على منطقة السيّدة زينب (ع) التي يسكنها الكثير من الشيعة ومن طلاب العلم الذين هُجِّروا من النجف الأشرف نتيجة الوضع الداخلي في العراق، وبعضهم من الأفغانيين والباكستانيين والعراقيين. كنت، في تلك الفترة، أقومُ ببعض الندوات في هذا الموقع أو ذاك، وألقي بعض المحاضرات في هذه الحسينية أو تلك الحسينية. ثم فكرتُ مع بعض الأصدقاء من العلماء هناك في تأسيس حوزة علمية دينية تُخرّج العلماء. بدأنا تأسيسها فاستأجرنا لها مكاناً، ثم بدأت الدراسة فيها وكنتُ أنفقُ عليها، بما يُنفَق على الحوزات من المساعدات للطلاب ومن القيام بتكاليفها بين وقتٍ وآخر. في تلك المرحلة كنتُ ألقي الدروس العالية على بعض العلماء المتخرجين في بيتي هناك، ثم، بعد ذلك، قُدِّمت لنا بناية قريبة من مقام السيّدة زينب (ع) وتوسّعت الحوزة نتيجة سعة المكان. وبدأنا، منذ تلك المرحلة التي دخلنا في سنتها التاسعة، إلقاء محاضرات في أثناء ندوة مفتوحة مساء كل سبت، أتحدّث فيها عن بعض المفاهيم الإسلاميّة وأتقبّل فيها أسئلة الحاضرين في مختلف الشؤون الثقافية. ولم أكن أتحدّثُ في السياسة، بل كنتُ أقول للشخص الذي يطرح عليّ سؤالاً سياسيّاً: «عليك أن تسألني هذا السؤال في لبنان، لأن هناك تحفظات في الحديث السياسي الواسع في سوريا». وقد نجحت الندوة نجاحاً كبيراً لأنها ضمَّت الكثيرين من الجاليات العربية والإسلاميّة، ولا سيما الذين يأتون من الخليج وغيره في أثناء المواسم الإسلاميّة. وقد أنتجت هذه الندوات كتاب «الندوة» الذي صدر منه ثمانية أجزاء، ونحن نعدُّ الآن الجزء التاسع. نقلتُ

الدروس العالية من البيت إلى هذه الحوزة، وأصبحت مركزاً استقطابياً للناس الآتين للزيـارة فـي الموسم فيوجِّهون الأسئلة والمراجعـات. وكان بعضهم آتياً من أميركا وأوروبـا وأستراليا وكندا والخليج. وكنت، بيـن وقتٍ وآخر، ألقي محاضرات في مراكـز ثقافية كـ «اتحاد الكتّـاب العرب» و«المركز الإسلامي» وفي حمص ودرعا وبصـرى الشـام واللاذقية. كما استطعنا أن نقيم في سوريا بعض المشاريع الدينية، فبنينـا مسجـداً وناديـاً حسينياً في درعا، كمـا بنينا مسجداً في منطقـة إدلب، وبدأت بإرسـال وكلاء عنّي كـي يبلّغوا الناس الدعوة الإسلاميّة والفقه الإسلامي وغيرهما. حتـى إننـا وصلنا إلى بلاد العلوييـن الذين تقبلوا ما نفعله تقبـلاً حسناً. وأصبح هناك جمهـور كبيـر من علمائهـم يلتقينا ويتصل بنـا. لم تكن لي علاقات كبيـرة بالمواقع الرسميـة. ولكـن، كما أشرتُ، كان هناك بعض العلاقات المحدودة في هذا المجال لأنني منذ البداية حاولتُ أن أنأى بنفسي عن الاتصال العضوي بالجانب الرسمي...

۞ كيف رخّصت لكم سوريا إنشاء الحوزة على أرضها؟

– هنـاك أكثـر مـن حوزة موجودة فـي السيّدة زينـب (ع) ولكنّهـا لم تأخذ ترخيصـا، وكلّهـا تعملُ على أساس غضّ النظر لأنها لا تمتلك تراخيص، أي كأن الجهات الرسمية السورية لا تريد أن تُسجِّل على نفسها أنها أعطت رخصة لمدارس دينية لأن الطوائف الأخرى سوف تطلبُ منها ذلك. ولهذا، اعتبرت منطقة السيّدة زينب (ع) «حُرّة». يمارس الشيعة فيها مواكبهم العزائية وحفلاتهم السياسية والدينية على نحو قد لا يتناسب مع طبيعة الجوّ السوري السنّي في هذا المجال. لكن المسألة كانت معتبرة من قبل الأخوة السوريين كأنها مرحلة محدودة. ذلك أن الأغلب من هـؤلاء العراقيين سوف يتركون سوريا إما باللجوء للدول الأوروبية والأميركية، وإمـا بالعودة إلى العراق حين يتغيّر الوضع فيـه. أما الأفغان والباكستانيون فمن الطبيعـي أن يرجعـوا إلى بلادهم عندما تُحـلّ مشاكلها. لهذا، لـم يجد السوريون مشكلـة فـي وجود هذا النوع من الفسيفساء البشرية وفي الحريات التي قد لا تجدها في مناطق أخرى من سوريا.

۞ ماذا عن خريجي حوزتكم السورية، سماحة السيّد؟

– تخـرّج منها الكثير مـن العلماء الكبار، ولا أزال أتابـع كل أسبوع درس «البحث الخارجي» مع كثيرين منهم أيضاً هناك.

۞ ماذا عن التمويل؟

– وكانت الحوزة تموَّل من خلال الحقوق الشرعية. إذ، عندما انفتحتُ على المرجعيـة وانفتحت المرجعية عليّ، أصبـح هناك مصادر للتمويل من بعض دول الخليج يأتي من المؤمنين الذين يُخمِّسون أي يدفعون الخمس. وهذا أمر طبيعي... وهو ما نستعينُ به لتمويل هذه المشاريع وغيرها من أداء الحقوق...

۞ هل هناك طلبات انتساب إلى الحوزة من طلاب علويّين؟

– لقد قبلنا قسماً من الطلاب العلويّين، سواء من علويّي سوريا أو الإسكندرون. كما قبلنا طلاباً من أذربيجان، ولدينا طالب من الفليبيين ومن أندونيسيا، وأصبحنا نقبل الطلاب من الجاليات الأجنبية إضافة إلى الطلاب العراقيين الغالبين.

۞ ومن السُنَّة؟

– لا مانـع، هنـاك طلاب سُنّة تحولـوا إلى مذهب التشيّع مـن بلاد الجزائر والمغرب.

۞ هل بدأتم مرجعياً هناك؟

– لقد بدأ الامتداد المرجعي لنا في أكثر من بلد في سوريا... ومن الطبيعي أن السوريين يتعقّدون من ذلك، لكنني وجدت في زياراتي لأكثر من بلد كحمص وحمـاه ودرعا حيـث ألقيت محاضرات أن هنـاك إقبالاً كبيـراً بالنسبة إليّ. ومن الممكـن جدّاً أن يكون السبب رؤيتهـم أن خطابي هو خطابٌ إسلامي منفتح وليس خطاباً شيعياً فحسب.

۞ هل حصلت معك أو واجهَتْكَ ردود فعل سلبية؟

– لم أجد على الأقل معي، أي ردّة فعل سلبيّة. حتى إن المفتي العام لسوريا الشيـخ كفتـارو دعاني مرّة إلى إلقاء محاضرة في مسجـده الذي يضمُّ الآلاف وقد استقبلني بكلمات أخجلتني، أعتقد أنهم وجدوا أن خطابي لا يُثيرُ أي حساسية، لهذا استقبلوني في عرينهم، إن صحّ التعبير...

۞ هل شعرت بالوحدة الإسلاميّة هناك؟

– فـي تصوُّري أن هنـاك على السطح مناخ وحدة إسلاميـة. لكن أعتقدُ أن الوضـع السياسـي في سوريا فـي تعقيداته المذهبية قد يخلقُ حِسّـاً طائفيّاً عميقاً...

لهـذا، فالمضمون هو أن نلتقي مع الآخريـن على ما اتفقنا عليه من الناحية الثقافية وهـو كثير، وعلينـا أن نتفق في مواجهـة التحديات التـي لا تختص بمذهب دون مذهـب، بل تطال رأسَـي الإسلام. ولهذا، فإنني أتطوَّرُ فـي حديثي فأتحدّثُ عن المستضعفيـن وأتحـدَّثُ عن وسائل الاستعمـار في إثارة المسألـة الطائفية وإرباك الواقـع العربـي والإسلامي. ولهذا كنـتُ أقولُ إننا لا نطلبُ مـن السنّة أن يكونوا شيعـة أو العكـس، بل نريدُ أن نقول إننا نلتقي على ما اتفقنا عليه ونتحاور بالحكمة والموعظة الحسنة في ما اختلفنا فيه.

۞ حدّثنا عن علاقتك مع إيران... وعن الزيارة الأولى لها؟

- أول زيـارة لـي لإيران كانت في أواخـر الخمسينات، وهي زيارة عادية للأماكن المقدّسة هناك. ثم كانت زيارة ثانية انفتحتُ فيها على المجتمع الإيراني في سنـة 1963 حتى إنني ذهبتُ إلـى «قُمْ». وهناك زارني كبار العلماء، ومنهم السيّد شريعتمـداري وكان مـن كبار العلماء آنـذاك، والسيّد المرعشـي وعلماء آخرون وعاملوني بشيء من الاحترام والتقدير، كما إنني استجبتُ لبعض دعواتهم بالنسبة إلى الغداء ونحوه... كنتُ أتحرك مع بعض المثقفين الموجودين في «قُمْ» آنذاك فـي شكل منفتح، وكان السيّد شريعتمداري يُصدِرُ من مركزه مجلة إسلامية باللغة العربيـة. وقـد شاركت في نشر بعض المقالات فيها. وأذكُـرُ أنني كنتُ، في تلك المرحلة، في موقع المعارض للسياسة المضادة الشاهنشاهية...

ومـن الطبيعـي أننا، منذ انطلاقـة هذه السياسـة، كنا منفتحين علـى المسألة الفلسطينية والاستعمار البريطاني والأميركي، ولذلك وقفنا ضد حلف بغداد والحلف الإسلامـي بعد أن سقط حلف بغداد بخروج العراق منه، وبقيت فيه إيران وتركيا وباكستان. كانت نظرتنا إلى نظام الشاه سلبية جدّاً. أذكرُ أنني كنتُ أحد المشرفين علـى مجلـة «الأضـواء» التـي تصدرها «جماعـة العلماء» في النجـف الأشرف، وقـد وقفـت وإخواني الذين شاركوني الإشراف عليهـا موقفاً حاداً من «الاعتراف الواقعـي» للشاه بإسرائيل وهو أقل من الاعتـراف الرسمي. ونشرنا آنذاك رسالة الشيـخ محمـود شلتوت شيخ الجامـع الأزهر، طبعاً برغبة من جمـال عبد الناصر ومـن المرجع الأكبر في النجف السيّد محسـن الحكيم، التي يطلبُ فيها التدخُّل مع الشـاه من خـلال بعض الأصدقـاء والعلماء في طهران للتراجـع عن الاعتراف. وعلّقنـا علـى هذه الرسالة وجوابها بمقال حاد ضِدّ الشاه، وواجهنا الكثير ممّن كان

لهم ارتباطات معه في حوزة النجف. وأدى ذلك إلى وقف اشتراكاتهم في مجلة «الأضواء».

في بعض تلك السفرات، التقيتُ السيّد علي خامنئي في مشهد لأنه كان صديقاً لأخي الذي يصغرني المرحوم السيّد محمد جواد فضل الله، وكانت له علاقات بالإيرانيين ويُتقن اللغة الفارسية، وهو شاعر ومؤلف ومثقَّف، وكانت صداقة تربطُهُ مع السيّد علي خامنئي. بقيت مع السيّد خامنئي مدة أسبوع في مدينة مشهد التي كان يسكنها آنذاك، وكنا نذهب معاً إلى بيته وإلى الدروس العالية لبعض العلماء. أذكُرُ أنهُ كان من رجال الثورة آنذاك، فسألتُهُ ما الذي استفدتهُ من الثورة التي لم تنجح؟ وكان هذا سنة 1963 فأجاب: «المكسب الأوّل هو أن الجامعيين كانوا يعتبرون المعمّمين من المرجعية السوداء. أما الآن فأصبحوا يعتبروننا من الذين نملِكُ فكراً متقدماً»، حسب تعبيره.

في تلك الفترة اطّلعنا على بعض دقائق الثورة الإسلاميّة في إيران وكنا نتعاطفُ معها ونخافُ عليها لأن الظروف المحيطة بها لم تكن تشجع على التفاؤل في نجاحها. إذ كانت في البدايات، وكان الشاه يفرِضُ سلطته في صورة مطلقة على إيران. وقد انعكس هذا الاتجاه على موقفنا حتى إننا شاركنا السيّد موسى الصدر في كتابة بيان ضد الشاه استجابة لرسالة من المرجع السيّد الخوئي. كتبتُ البيان مع السيّد موسى الصدر آنذاك في صور في أثناء إحدى زياراتي للبنان، وكان بياناً عنيفاً. ومن المفارقة أن صحيفة «صوت العروبة» وحدها نشرته لأن «الحياة» وغيرها امتنعت عن ذلك لأسباب عدة...

أذكرُ أنني زرتُ السيّد الخميني عندما كان في قُمْ في بعض السنوات أيضاً ولقيتُ ترحيباً شديداً منه. لكن لم يجرِ بينه وبيني أي حديث ذي بال يتعلّق بالثورة... وقد كان واضحاً معي، وكان له جمهورٌ كبير من العلماء، وكنتُ أشعرُ بأنّ الرَّجل يحملُ وضعاً وتوجّهاً مستقبليّاً يختلِفُ عن المراجع الآخرين في «قُمْ»...

✿ مَن كان من العلماء مع الشاه أي كيف رأيت العلماء الشيعة والسياسة؟

– كان يُقالُ آنذاك إن السيّد شريعتمداري قريب من الشاه. لكن لم يكن قربُه منه يعني تأييده له. لكن كان وبعض العلماء الآخرين لا يشعرون بأن هناك أي إمكانية لإسقاطه. ومن هنا، كانوا يتخذون من العلاقة مع الشاه وسيلة لقضاء

بعض الحوائج أو لتخفيف بعض الضغوط التي كانت السلطة وأجهزة المخابرات تَمارسها...

في إيران، يختلِفُ الوضع عن النجف بالنسبة إلى انشغال العلماء في السياسة. فهذا الانشغال كان تاريخيّاً فيها. ولعلّهُ، منذُ القرن الماضي، كان العلماء هناك يتدخلون في المسائل السياسية. ولهذا، فإن الشعب الإيراني مُسيّسٌ دينياً أكثر من الشعب العراقي أو الشعوب العربية الأخرى، وذلك جرّاء العلماء لمواجهة السلطات، سواء في المسائل الدينية كما عندما فرض رضا شاه والد محمد رضا الشاه السُّفور ونزع الحجاب، أو في المسائل السياسية عندما حدثت في إيران معركة «المشروطة والمستبدّة». كما كانت هناك بعض التحركات السياسية ضِدّ روسيا من جهة وبريطانيا من جهة أخرى... حتى إنّه يُنقل عن علماء كبار قولهم «ديننا سياسة وسياستنا دين».

الجلسة السّادسة

۞ هل دُعيت إلى المشاركة في الاجتماع الأوّل في البقاع، وفي ظنّ الدّاعين أنك أحـد مؤسّسي الحـزب، أم كشخصٍ أطلق هذا التيّـار الحركي في الساحة الشيعية؟

– أتصـوّرُ أن الجانـب الثاني هو الصحيح، فمعـروفٌ أن لا أحد يتصوّر أن أكونَ في هذا الموقع، ولو فرضنا كنتُ، فلا أكونُ عضواً.

۞ هل كان الداعون وقتها إيرانيين؟

– كلا، لبنانيون. كان الوضع طبيعياً في الدعوة، فلم يكن فيها جانبٌ رسميّ، ولم يكن الإيرانيون هم الذين دَعوا...

۞ كيف تطوّرت العلاقة بينكم وبين «حزب الله»، بعدما كانت علاقة أبوّة؟

– لـم يكن لـ «حزب الله» مقرات ومواقـع باعتبار أنه لم يتموّل أول الأمر وبالمعنـى التنظيميّ لبنانيّاً. كان المسجـد الرئيس له هو بئر العبد ولا مسجِدَ غيره يُثيـر الأفكار والمواقـف. وأنا كنتُ أثيرُ هذه المسائل، بمبـادرةٍ كانت تنسجمُ مع الجـوّ العـام، لأنني كنتُ من المؤيّدين للثورة الإسلاميّـة والمتحرّكين ضدّ أميركا وإسرائيـل، فـكان موقفاً لا يحمـلُ في مفرداتِهِ أيّ نوع مـن الخلاف. أما دافعي إلـى ذلـك فمعروف، فأنا كنتُ منسجماً مع نفسي كونـي إسلامياً حركيّاً، وموقفي السياسـي لم يكـن جديداً، بل سبقَ مجيئي إلى لبنان. فهذا الموقف المتميّز بالدفاع عن الحرية بمعناها السياسي الخارجي، إنْ صح التعبير، كان جزءاً من مخطّطي. ولهـذا كنـتُ منسجماً مع نفسي في هذا المجال ولـم أكن أتلقى شيئاً من أحدٍ بما في ذلـك المواقـف، لا مـن الإيرانيين ولا مـن «حزب الله»... ربمـا كان يحصل

لقاء في قضية ما. مثلاً حين أثيرت قضية القرار 425، أذكر أنني كنتُ البادئ بالاعتراض عليه ومناقشته لأنه ينطلِقُ من آلية القرار 426. كما لم يكن بحسب مدلوله القانوني يعطي الحرية من دون قيد ولا شرط.

وحين جاءَت المقاومة. تجاوزت الظروف السياسية آلية القرار 426 وغيره. والإيرانيون وقفوا بعد ذلك ضد الـ 425 بهذا اللِّحاظ.

كنتُ مغامراً في دعم موقف «حزب الله». فحين حدثت مجزرة فتح الله، تحدّثتُ بصوتٍ عالٍ، وأبّنتُ الشهداء. ويومَ قالَ غازي كنعان سنكسر أبواب الضاحية وندخلها، قلتُ: «إن أبواب الضاحية مفتوحة» وذلك كاستهانة بهذا الموضوع. كانت المواقف متميّزة بوجود إرادةٍ صلبة، ولم أكن ألاحظ أي عواقب في هذا المجال، ربما بفعل الحماسة والحركيّة الإسلاميّتين.

وأيضاً حين بدأت مقاومة الاحتلال في الجنوب، كنتُ أقولُ للمُقاومين: «لاحقوهم حتى بالحجارة والسكاكين». وأطلقتُ نداءً: »كُلوا حشائش الأرض ولا تخضعوا لأعدائكم». وعندما كان الآخرون يتحدثون عن المقاومة المدنية الشاملة، كنتُ أتحدّثُ عن المقاومة المسلحة.

۞ يعني كانت هناك علاقة متينة بينك وبين «حزب الله»، ربما أكثر متانةً من العلاقة الحزبية...

- صحيح. حتى إن الإيرانيين حين كانوا يُحادثونني، كانوا يتحدثون معي على أساس أنني جزءٌ من الساحة، ولستُ عنواناً. ففي المجالات العامة، يُنظر إليّ كشخص في الساحة...

۞ في تلك الفترة حصلت متفجّرة بئر العبد.

- نعم، حصلت المتفجرة في 8 آذار 1985.

۞ هل كُنْتَ تتوقّع عملية بهذا الحجم؟

- بهذا الحجم لا، فأنا قبلها تعرضت لمحاولة اغتيال، ولكن كنا ننظر إلى حزب البعث العراقي باعتبار موقفنا من النظام العراقي، وكان حزب البعث يمارس عمليات الاغتيال. لكنني لم أتوقع أن تأتي عملية بهذا الحجم من أميركا.

۞ هل جاءَتك معلومات وافية وكافية عن المنفّذين بعد العملية؟

- نعم، فقد استطاع أمن «حزب الله» أن يكتشفهم ويعتقل الكثيرين منهم.

كان أغلبهم بسطاء ومنهم عملاء منظَّمون، وأغلبهم موظفون من قبل مخابرات الجيش آنذاك، كما أعلن. كانت ترِدُني المعلومات عن الاعترافات، ويومها لم أكن الشخص الذي يُحاكم ويفتي. إذ كان السيّد علي الأمين هو الذي يتحرك مع «حزب الله» وهو القاضي لـ «الحزب»، وقد وكِّل بهذا القضاء ربما من القضاء الإيراني. استدعيتُهُ وأوصيتُهُ بتلمّس الحقيقة، إذ ربما أخذت اعترافات ومعلومات تحت تأثير التعذيب والضغط. فحمّلتُهُ من ناحية شرعية مسؤولية أن تكونِ الاعترافات مع كلّ الناس بعد إعطائهم الفرصة وحرية الخيار. حتى عندما أُعدِموا كما أذكر، حاولت إنقاذ بعضهم، ولا سيما النساء، ومنهن بنت القاضي شريف الحسيني. عملتُ بكل طاقتي لإنقاذها، لكن لم يُستجَبْ لي وقتها. الشاهد أنني لم أصدر فتوى بإعدامهم. وقتها عرفنا الحقائق، وتم نشرها وكشفت «الواشنطن بوست» شيئاً من ذلك، وأذكرُ أن ريغان (رئيس أميركا) أصدر بياناً قال فيه: «نحن لسنا وراء هذه العملية».

ثم صدر كتاب الحجاب «وودورد» فنقل فيه عن وليم كايسي (رئيس جهاز مخابرات أميركي)، أن هذه العملية مُوَّلتها بعض السفارات العربية، وهيّأت أجواءَها المخابرات البريطانية، وهيّأت الجوّ الداخلي اللبناني مخابرات الجيش، وكان المسؤول عن مخابرات الجيش سيمون قسيس.

✿ موّلتها بعض الدول العربية، مثل مَنْ، مولانا؟

– ما ذكره وليم كايسي، أن بندر آل سعود دفع 3 ملايين دولار لأن الكونغرس لم يكن يلبي هذه العمليات. دفَع حتى تُلبيّ المخابرات الأميركية. ثم قيل عبرهم: نحن دفعنا لجماعته (السيّد فضل الله) مليوني دولار، فكانت رشوتهم أرخص من محاولة الاغتيال. وقتها أصدرت بياناً تحدَّيت فيه ذلك، وقلت إن هذه كذبة واضحة. فمرة يقولون أعطوني، ومرة وزّعنا على جماعته، وكل الناس في الضاحية تعرف أن شيئاً من هذا لم يحدث.

✿ هل كان الدور الإيراني في تلك الفترة مُباشَراً في «حزب الله» وظاهراً يومياً؟

– كانت العلاقة بين إيران و«حزب الله» قوية. وكان مظهرها أنّ السفير الإيراني يحضر المجالس الخاصة والعامة حين يأتي. لكن وقتها لم يكن الجوّ السياسي واضحاً تماماً نتيجة اختلاط الأوراق وكذلك الجوّ الإيراني. لكن بدأت

الـدول العربيـة تحسـبُ هذا الحساب. ولهـذا، حين حصلت المعركـة بين «أمل» و«حـزب الله» دخلـت أكثر من دولة عربية لمصلحة «حركـة أمل»، باعتبار أن المعركـة إيرانيـة – عربية، إذ كان يقال إنّ إيران تريـد أن تضع موطئ قدمٍ في قضية الشرق الأوسط... حتى إن خطاب «حزب الله» في 1985 كان جزءاً من استقلاليته. منذُ ذلك الوقت، كنتُ أتحرَّكُ من خلال فكري، ولم أكنْ أتحرّك على أساس وجود تنسيق عضوي، إن صح التعبير حتى أكون دقيقاً. ولم تكن القضايا تفصيلية كما هي اليوم، بل كانت عامة والخطوط العامة كان عليها لقاء.

۞ هل كانت لكم ملاحظـات على عمل «حزب الله» الذي لـم يكن لديه أمين عام؟

– كنـت أعتبـر العمل كتجربة أطلقهـا الإمام الخميني وكنـا نراقب التجربة. كنـتُ أقـول إنّ «حـزب الله»، وحسب المعنـى الذي أطلقه الإمـام الخميني وهو الجماهيـر، يفقد شيئيـن: وحدة الفكرة، والحالة الأمنية، أو كُلّ الحماية الأمنية. إذ إنّ الجماهيـر كلهـا في هذا الحزب. نتيجة ذلـك، تحوّل «حزب الله» حزباً ولذلك لـم تنجح التجربـة. ولهذا السبب كنت أنتقد ذلك. ومما انتقدتُهُ ودلّل على استقلالية إيران، كتابتي لموضوع خط البطل أو بطل الخط، انتقدتُ فيها خط الإمام. فنحن لا نمتلكُ خط شخص، عندنا خط الإسلام، والإسلام له شخصيات، وكُلّ واحد له خصوصيته. كنتُ أقول من الخطأ أن نقول الناصريين، أو الصدريين، ونأبى أن نقول المحمديين. فنحنُ مسلمون، ومحمدّ كان نبيّ الإسلام. نحنُ لسنا كالمسيحيين ينتمـون إلى المسيـح. أثارت هذه الفكرة تعقيدات فوق العـادة، بالنسبة إلى فريق «حزب الله»، وفريق الإيرانيين الذين لم يكونوا مرتاحين لهذا. وكثيرٌ من أبحاثي التـي تبلـورت في كتاب الحركة الإسلاميّـة «هموم وقضايا» كنـتُ أدعو فيها إلى العمـل التغييـري من خلال المؤسسات، كالمجلس النيابي الذي لا مشكلة أن يدخله الإسلاميون. وكان هذا يُثيرُ الآخرين، ووقتها بدأت التعقيدات.

تحدّثـتُ منـذُ تلك الفترة عـن الانفتاح والانغلاق، وأننا يجـبُ أن ننفتح على العلمانييـن والمسيحيين وكلّ الإنسـان الآخر. شكّل ذلك حالة ضِدّيّة للتوجّه العام. لكن نلاحُظ أخيراً أن الجميع سنّ هذه السُنّة، وحتى إيران سارَت على هذا الخط.

۞ في تلك الفترة كانت هناك حـرب داخلية، وكانت إسرائيـل تحتل أجزاء لبنانية. و«حـزب الله» انطلـق عملياً مـن مسألتين، الأولـى المقاومة

والثانية أنه فريق في الصراع الداخلي. ما كان رأيكم في ممارساته في تلك الفترة؟

- كنتُ أتصوّرُ أن «حزب الله» كان في مقام الدفاع عن النفس، وكان مستهدفاً. في حرب الضاحية، كان كثيرٌ من الناس يحاولون تفريغ الضاحية، فكنتُ أقولُ: لا، لا شيء بعد أن انتهت الحرب. كان يُراد محاصرة «حزب الله» بتفريغ الضاحية، وبقائي فيها أحرج الكثيرين يومها... فقد قَصَفَ اللواء السادس بيتي، كما هاجمت «الحركة» بيتي، واستمررتُ خاضعاً لفكرة أن «حزب الله» في مقام الدفاع عن النفس. أما في موضوع إقليم التفاح فكانت هناك أخطاء كنتُ أتصوّرها، وأُطّلعتُ عليها بعد ذلك.

۞ مولانا، كنتم تنتقدون الجميع وتقولون بعدم وجود خيمة زرقاء فوق أحد، وتذكرون أن الساحة لا تخلو من النّزف، وخصوصاً بعد معركة مشغرة. يعني كانت لكم مواقف مختلفة؟

- صحيح، فأنا لم أكن مجرّد إنسان يبرِّر للآخرين أعمالهم، بل كان هناك نقد لما يُمكِنُ نقده وعدم الرضى عنه.

۞ هل كانت هناك ممارسات كالميليشيات الأخرى في المواضيع الداخلية؟

- موضوع خطف الأجانب مثلاً، كنتُ اعتبره ممارسات غير صحيحة، خصوصاً أن بعض القضايا كانت تحصل داخل الكيان اللبناني، ولم أكُنْ موافقاً عليها، وانتقدتها بالصّوت العالي.

خطف الأجانب لم أبرّره في أي مرة، لكنني كنتُ أقولُ هذا: «لماذا تعطون خطف الأجانب ميزة كبيرة أو أهمية؟ فالخطفُ عمل اللبنانيين بعضهم مع بعض وأسلوبهم، وتعبيرهم في الحاجة إلى المبادلة.. والخطف في بدايته كان أن أعضاء من «حزب الله» أسِروا في الكويت وحُكِمَ عليهم بالإعدام». وقد ذكرتُ مرة للسفير الفرنسي «أننا تعلّمنا الخطف منكم فأنتم خطفتم المهدي بن بركة، وخطفتم طائرة بن بِلا، وهو أسلوب يمارسه كل اللبنانيين. فإذا كنتم تتحدثون عن الخطف بلحاظ نتائجه، فلِمَ يخطف هؤلاء؟ وما هي الأسباب»؟ لقد سعيتُ في كثير من الحالات لإطلاق بعض المخطوفين، حتى ذكرتُ توقيعي في قضية ميشال «سورا»، واستنكرتُ ذلك. وسعيتُ بالنسبة إلى تيري ويت، وعميد كلية الزراعة في الجامعة الأميركية. كان سعيي حقيقياً، وكنتُ مخلصاً في هذه المسألة. وسعيتُ

أيضاً إلى حل مشكلة المخطوف في الكويت باعتبار أنني أردتُ حلّ المشكلة، ولكنّها كانت تُعقّد.

۞ مولانا، المعروف أن أميركا عقّدت المشكلة وزادتها.

- صحيح، فهي كانت مصرّة على أنها لا تتساهل في هذا المجال.

۞ دورُكم في موضوع الرهائن، مولانا، لم يقتصر ذكره على الإعلام الغربي فحسب، إذ لوحظ في الإعلام كله إصرار على أن لكم دوراً فيه؟

- من أين جاء هذا الإصرار؟جاء من أن قيادة «حزب الله» لم تكن معروفة ومن اللّقب الرسمي الذي حُمِّلتُهُ المرشد الروحي له، ومن طبيعة عدم وجود القيادة، ومن خلال اجتماعهم في المسجد، وتردّدهم على بيتي. أستطيع التأكيد كما أكدت سابقاً أنني لم أطّلع على خطف إنسان خطفَ، ولم ألتقِ أي مخطوف كلياً. حتى تيري ويت حضر إليّ كوسيط. ثم لم أعرف بخطفه إلاّ بعد أن خطف. لقد دخلت بكل جهدي وإخلاصي في هذا الموضوع ولم أستطع فعل شيء ولم أطَعْ... ثم خطفَ مرّة كوريٌّ وجاءني السفير الكوري وكنتُ خجلاً منه، ولم أوفَّق، وكان خطف خطأً. لقد سعيتُ مخلصاً إلى الإفراج عن أكثر من مخطوف ولم أوفّق...

۞ مولانا، هذا عائد لكونكم محور الحركة الإعلامية وقتها.

- نعم صحيح، فكُلّ الناس يأتون إليكم. مرّة أذاعت الـ BBC أن الغرب يُركّز على أن السيّد فضل الله المرشد الروحي لـ «حزب الله»، على رغم نفيه لذلك من أجل أن يُحمّلَهُ المسؤولية ولكي يتدخل من خلال الضغط في هذا الموضوع. أذكُرُ أن وكالة الصحافة الفرنسية طلبت حديثاً، فقلتُ لمحمد شقير قُلْ للمندوبة «إنّي مستعدٌ أن أعطيها حديثاً شرط عدم ذكر أنني المرشد الروحي لـ «حزب الله» لأنني لا أعترف بهذه المرشدية». فاتصلت بالمركز وقالت لم يوافق...

۞ مولانا، هل كنتَ توضَعُ في أجواء عمليات الخطف والمخطوفين والمفاوضات في شأنهم بعد حصولها؟

- تفصيلياً لم أكن أعرف شيئاً، وكنتُ أتابِعُ بعض اللقطات.

۞ هل الذين ماتوا من المخطوفين عَلِمتَ بهم؟

- لا، حتى ميشال سورا ما عرفتُ بوفاته إلاّ بعد حصولها. زارني السفير الفرنسي فقلتُ له إنني سعيتُ سعياً حثيثاً، وقيل إن الجثة ضاعت.

۞ في موضوع الخطف جانبان الجانب السياسي...

- (مقاطعاً) كنتُ أقولُ منذُ البداية إنّ في الإسلام قاعدة ﴿...وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى...﴾. فنحن لا نستطيع تحميل أي مواطن مسؤولية دولته، حتى إنني لم أقتصر في حديثي على الرهائن، بل تعرّضت لخطف الطائرات كالطائرة الفرنسية، والبواخر، كالباخرة التي خطفها الفلسطينيون.

۞ هل هناك ربط بين محاولة الاغتيال في بئر العبد وقضية الخطف؟

- لا، قضية اغتيالي جاءَت نتيجة السيناريو الذي ذكروه، وهو أنني باركت شهداء مقرّي «المارينز» الأميركيين و«المظليين» الفرنسيين.

۞ يقال إن خطف «المارينز» و«المظليين» كان عملياً إشارة من «حزب الله» تفيد أننا كحزبٍ بدأنا العمل... ما رأيكم؟

- الواقع أنه كان من الطبيعي رد الفعل، علماً أن كلمة الحزب لم تكن في هذا الوضوح. كانت القضية حرباً مع أميركا، ومَن انطلق انطلق من خلال خط ضد أميركا. لكن، في هذه العملية، التقت جهات عربية ودولية عدّة بما فيها الاتحاد السوفياتي. ولا يعني ذلك أنهم (أي «الحزب») كانوا خاضعين لهذا. فقد علّقتُ على ذلك وقتها بالقول «إننا أصبحنا كتفاً لغيرنا». فنحنُ لم نستفدْ من هاتين العمليتين، ولم نستفدْ من خطف الرهائن كفريق إسلامي، لأنّه ما كان عندنا من الوسائل التي تجعل الأعمال التي نقومُ بها ذات فائدة لنا، استفاد منها الاتحاد السوفياتي، وبعض الجهات العربية التي لا دخل لها في الإسلام. كنتُ أتحدّثُ في هذه الطريقة وقتها.

۞ وقتها كان هناك نوعان من العمليات، مولانا، خطف الأجانب الذي كنت مخالفاً له، والتفجيرات الاستشهادية. كانت هذه العمليات تحصل من دون علمكم، ماذا كان رأيكم فيها؟

- كنتُ أتفاعَلُ معها، لأن النظرة الإعلامية لم تبدأ فعلياً إلا بعد عملية «المارينز». فالإعلام، وخصوصاً الغربي، كان يتعامل معي على أساس أنهُ يريدُ أن يستنطقني حتى يأخذ تصريحاً بنحو الإدانة. كانوا يقولون لي مثلاً: «هل يدخل هؤلاء الجنّة»؟ كنتُ أجيب: «الجنّة ليست في يدي» كما كانوا يقولون: «أليس حراماً أن يموت هؤلاء الشباب»؟ وكنتُ أُجيب: «هذه المسائِل لا تُعالج في هذه

الطريقــة. فالحرب لا تُعالج بالجانب العاطفــي أو المأسوي». وكانوا يسألون «ما رأيــك في ما فعلــوه»؟ وكنت أجيب ليس بالقول «انتحروا» بل بالقول إن الانتحار حــرامٌ عندنا» وهكــذا. . . تلك المرحلة كانت مرحلة عواصــف وضوضاء، ولهذا حين كانت تحدث هذه الحادثة أو تلك مثل «المظليين» الفرنسيين، أو «المارينز» أو تفجير مقرّ الحاكم العسكري في صور، كنا نشعرُ بالنّصر على هذه الجهة أو تلك، حتى علّقنا أن الشباب حوّلوا الخطوط الفاصلة بينهم وبين «المارينز» في حيّ السُلّم خطــوط تماس، حتى كُنّا نتحــدّث ونسمع عن تخطيط لتفجيــر «نيوجرسي» وهي باخــرة حربية أميركية في البحر. على الأقل، كنّــا طموحين، ونتصوّر أن هاتين العمليتين أسقطتا فكرة تحويل لبنان قاعدة عسكرية ونسفتها.

۞ ظهَرَ كلام وقتها أنكم تراخيتم في هذا المجال.

– لقــد اعتبــر بعض الصحافيين الإيرانيين أنني لــم أتبنَّ المسألة، ولم أقُل إن هؤلاء شهداء وهكذا. . . ولذا اتهمتُ أنني ضِدّ العمليات الانتحارية (الاستشهادية). لكــنّ القضيــة لم تكن كذلك. بل كانــت أسلوباً يتجاوز المطبّــات التي وضعوها في الطريــق حتى يُشكّكــوا ويعتبروا ذلك عنصر إدانة. . . فأنا كنــتُ أحاوِلُ أن أكون واقعيّاً مع الإعلام!

۞ هل كنت تشعر بأنّك في موقع الدفاع، وأنت الساعي إلى عدم الوقوع في فخ الإعلام؟

– أكثــر مــن هــذا، أصبحتُ أشعر بأنّنــي في موقف الهجــوم. إذ حين التقِطُ موضوع الألوية الحمراء، وخطف إسرائيل، وما هو موجود في الغرب، الخطف وغيره. . . كنتُ أتحدَّث على قاعدة أنّ أقرب وسيلة إلى الدفاع هي الهجوم.

۞ لكنّ هذا يعكسُ عند السامعُ أنك ضمناً متفاعل مع ذلك؟

– هــذا صحيح. فأنا لا أُريدُ ولم أكن أريد إسقاط التجربة. أردت حفظها من دون الإساءة إلى المبادئ.

۞ كنتــم تقولــون إن الحالــة الإسلاميّة وقتها لا تــزال جنينيــة، فهل كنتم تعتبرون من واجبكم حمايتها؟

– طبعاً، لقد كنتُ أشعرُ بذلك، والساحة مملوءَة بالأخطاء. . .

۞ هل تفاعلت ضمناً مع عمليات الخطف؟

– لا، ضمناً لا. ولكنك تشعرُ بالظروف التي أحاطت بعملية الخطف والظروف الهائلة التي أجازت حصولها. لقد خطفوا أحد أفراد «أمل» من البحر، فلماذا نتعرّضُ نحنُ فقط إلى ذلك؟ ولم يكن ذلك تبريراً للعمل نفسه، بل كان من أنواع التجاوب مع المسألة وليس مع مفرداتها.

۞ في مراجعة لتلك المرحلة، هل تعتقدُ أنّ عمليات الخطف التي حصلت والعمليات الاستشهادية لها ما يُبرِّرُها؟

– بالنسبة إلى عمليات الخطف، لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ لقلتُ إنّ هذا خطأ كبير جدّاً. فهي عمليات شوّهت صورة الإسلام، وأعطت الغرب المبرِّر لمهاجمته. فلو نفَّذت عملية تحقّقت من خلالها نتائج كبيرة لقلتُ الغاية الكبيرة تُبرِّرُ الواسطة كما هو رأي العالم كُلّه. لكنني أرى أن عملية الخطف جعلتنا نخسر كثيراً معنويّاً، ولم نكسب إيجاباً ولا واحد في المئة.

۞ هل حصلت مناقشات بينك وبين جماعات «حزب الله» حول ذلك؟

– كنتُ أتحدّثُ في هذا الموضوع. لكنّ المسألة وقتها لم تكن تسمحُ بهذا الجدل وعلى هذا الشكل... أما العمليات الاستشهادية فلم نتحدَّث فيها. وحتى لو فرضنا أنها حصلت الآن بظروفها كنتُ أبرِّرها. لماذا؟ لأن الجوّ السياسي آنذاك كان ضاغطاً. فأميركا تحدّت بـ«نيوجرسي» اللبنانيين إذلالاً وقهراً، و«المارينز» لم يأتوا كي يحلّوا مشكلة لبنان ولا غيرهم كما ظهر.. وحتى الآن نؤيد عمليات الاستشهاديين ضِدّ إسرائيل، رغم بعض جوانبها المأسوية. فهي خيار لا يمتلكُ الفلسطينيون غيره...

۞ هل يُمكن التوفيق بين الإسلام الحركي الذي دعوتم إليه والعنف في التغيير؟

– أنا لستُ ضِدّ العنف تماماً، فلهُ موقعُهُ وللرِّفق موقعه، والأصلُ هو الرِّفق. فقد كنتُ أتحدّث ناظراً إلى المستقبل. وكما ذكرت أنا مع العمليات الاستشهادية ومع المقاومة ضِدّ إسرائيل. ولذلك، لم أتنازل ولن أتنازل عن هذا. لكنني كنتُ أريد للمسيرة الإسلاميّة أن تفكّر في المستقبل، وأن لا تكون محشورة في الحاضر بالمستوى الذي يجعلها تخضع للظروف المرحلية، التي كنت أفكّر بل

أؤمِنُ بذهابها... كنتُ أذكّرُ الناس بالدولة، وأقول من غير الواقعي ومن غير المعقول أن لا تأتي الدولة، فهي الشيء الطبيعي في حياة الناس. وكنتُ أؤمن بأن الظروف الطارئة والحادّة التي كانت تحكمُ المنطقة سوف تتبدّل، وأنه سيأتي وقتٌ لا يكونُ فيه للعنف دورٌ على الأقل في الواقع الداخلي. لهذا كنتُ أريدُ استمرار المسيرة بتعقيل التخطيط كالتغيير عن طريق المؤسّسات.

وقد سخر بعض الناس من ذلك. حتى إن البعض منهم كان، إذا أراد تسجيل نقاط، يقول إنّ السيّد لم يكن يشجّع العمليات الاستشهادية، وهو ليس ثوريّاً. لكن، بحمد الله، الأفكار التي كتبتها أخذ بها الجميع. حتى إيران الثورية عادت لتنطلق مِمّا انطلقتُ به، وكذلك «حزب الله» الذي صار حزباً لبنانيّاً. فصحيحٌ أننا ما زلنا مع المقاومة لإسرائيل وليس استثناءً، إذ كنت أنظر إلى المقاومة منذ انطلاقها وأتحرك معها. أمّا الجانب الداخلي من الانفتاح والنيابة وغيرها فقد أخذوا به في «حزب الله» ومعي أفكارٌ كتبتها منذ عشرين عاماً وأكثر... قلتُ للشيخ هاشمي رفسنجاني مرّة: «بقدر ما يكون «حزب الله» لبنانيّاً أكثر بقدر ما استفادت منه إيران أكثر». وفي أكثر من مقابلة صحافية دعوتُ «حزب الله» إلى أن يتلبنن...

لقد قلتُ منذ الأساس إنّ الإسلاميّين وحتّى القوميين لم تكن لهم نظرية في الأسلوب وإنما أخذوا أسلوب العمل من الماركسية. ولذلك قلتُ من الخطأ جدّاً أن نأخذ أسلوب العمل في مواجهة الآخر من الماركسيين. فنحن نحمل نظرية إسلامية فيها رفق وفيها عنف... والقاعدة الإسلاميّة أنّ الرفق أولاً والعنف ثانياً... فلا نرفضُ العنف في محلّه، وإن أمكننا مواجهة القضايا بالرفق فلا مانِعَ. وبهذا كنا ننظر إلى مستقبل الحركة الإسلاميّة...

۞ عندما طغى موضوع الرهائن كانت تحصُلُ مفاوضات من أجل حلّه. مَن هي، في رأيك، الجهات أو الجهة التي كان في يدها ملفّ الخطف، وتستطيع أن تُقرِّر فيه؟ إذ لا أحد يُصدّق أن «حزب الله» فقط هو الجهة الوحيدة على هذا الصعيد؟

– من الطبيعي أنّ هناك جهات إقليمية كان لها دور في المسألة، ولا أعني بالإقليمية سوريا، وإنما الإقليمية بالمعنى العام، ولعلّها هي التي حلّت مسألة الرهائن.

۞ هل تلبنن «حزب الله» مع نهاية الحرب اللبنانية؟

– لا، لم يتلبنن، بدأ يتنظّم أكثر، ويمتلك المكاتب. يمكنُ القول إنّ التلبنن

بــدأ ولكــن ليس فــي شكلٍ قويّ. فحيــن أعلن خطته بدأ كحــزب، على غير قاعدة الجماهيــر. وكنــتُ أقــولُ إنّ الجهاد جزءٌ مــن السياسة، ولا قيمــة لأي جهاد من دون سياسة. أما أن نقول نحنُ حالة جهادية لها بُعد سياسي فلا. البُعدُ الجهادي له مضمــون سياسي، ومضمون الجهاد هو مضمون سياسي. والانتفاضة في فلسطين كُلّهــا هــي عمليــة لتحريك المفاوضــات أو للضغط على إسرائيل كــي تعطي أكثر. «حزب الله» بداية كان يتحدث عن المُطلق، كما كانت تفعل الجمهورية الإسلاميّة (الإيرانية). بعد ذلك، بدأ «حزب الله» يتحدث عن لبنان، ومن هنا بدأت اللبننة، وأصبحنــا نفكّــر كيف نعيشُ في لبنان. وكيف نكون مــع الآخرين. فصار الحزب يشعرُ في نفسِهِ بأنّ حجمه لبنان لكنَّ تطلعاته أكثر وأكبر، بينما كان في البداية جزءاً من حركة «حزب الله» في العالم.

وتبقى فكرة أن «حزب الله» هو حزب جهادي في وعي القيادة الإسلاميّة في إيــران، وإيران انفتحت على هذا التطور الــذي حصل لـ «حزب الله» حين صار حزباً له مؤسساته وتنظيمُهُ وإن كان جديداً.

✿ ما هو تقويمك لـ «حزب الله» بعد الحرب؟

– «حــزب اللــه» ازداد قوة عندما نأى عن الدخول في الحرب الداخلية التي أتصــوَّرُ أنها كانت مفروضــةً عليه نتيجة أوضاع إقليميــة ومحلية. وهو استطاع، عندمــا انتهــت الحرب وبدأ يُوثِّق علاقاتــه بالأحزاب الأخــرى والفلسطينيين، أن يُركّــز مسيرتــه كلَّها على مقاومــة إسرائيــل، واستغرق في هــذا الموضوع حتى حــوّل كل نشاطاتــه السياسية وتأييده ورفضه لما ينفــع المقاومة. واستطاع تركيز قوّتــه الشبابية بمختلف الأساليب التــي حشدها من خلال التخطيط الروحي والديني والسياســي والتحرك في كل لبنان. واستفاد من الــدور السوري لتجميد الخلافات ضِدّه خصوصا في الوسط الشيعي، واتجه اتجاهاً واحداً إلى إسرائيل..

✿ ما سبب خوف السوريين في البداية من «حزب الله»؟

– سوريــا كانت تعتبــر «حركة أمل» فريقها قبل نشــوء «حزب الله»، وأي إضعــاف لـ «أمل» كان يُعتبر إضعافاً للــدور السوري في لبنان. وكانت العلاقات بين سوريا وإيران جيدة، لكنّ سوريا لم تكن تسمح لإيران بالتمدُّد في لبنان بعيداً منها. ولهذا اعتَبَرت الحرب بين «أمل» و«حزب الله» التي كان لمصر والجزائر والسعوديــة دور فيها، حرباً إيرانيــة – عربية. هذه الحرب عدّلت المسار في هذا

المقام، إذ فَهِمَ الجميع أنّ سوريا لا تسمَحُ بأي عمل في لبنان لأي جهة حتى إيران بعيداً من الخط السوري.

۞ «حزب الله» الآن إيراني أم سوري؟

- «حزب الله» لبناني له علاقات بإيران أقوى من علاقاتِه بسوريا.

۞ ماذا كان دور الشيخ صبحي الطفيلي في تكوين «حزب الله»؟

- كان من الأوائل الذين أطلقوا حركة «حزب الله»، وكان من القياديين، وربما كان متحمّساً للفكرة في شكل كبير جدّاً بحيث قد يسبِقُ الآخرين. ولم تكن هناك أي مشكلة ولا سيما بعد أن وصل إلى مرحلة الأمانة العامة لـ «حزب الله»، التي طَبَعَها بطابعه من ناحية نظرته إلى الأمور وصلابته في مواجهة المشاكل.

كانت علاقتي به معقولة. وكان، كأيّ قياديّ في «حزب الله»، منفتحاً على القاعدة الإيرانية الإسلاميّة في إيران جرّاء الارتباط العضوي (الطبيعي) بالقيادة الشرعية الإسلاميّة المتمثّلة بالإمام الخميني أولاً ثم بالسيّد الخامنئي ثانياً. وهو ارتباط أساسي من قبيل ارتباط القاعدة بالقيادة. وربما، من هنا، بدأ نوع من الحساسية في معركة إقليم التفاح الأولى التي دخلتها «حركة أمل» بقوة باعتبار أنها كانت مسؤولة عن أمن الجنوب. فقد اختلفت النظرة داخل «حزب الله» بين خطين، واحد يُمثّلُهُ الشيخ صبحي وآخر يُمثّلُهُ السيّد عباس الموسوي. الخط الأوّل كان يدعو إلى التشدّد والسيّد عباس كان يدعو إلى حل المشكلة في طريقة أقلّ تشدُّداً. وكانت هذه المشكلة الداخلية، وربما كانت ناشئة من اختلاف الخطوط في إيران. إذ يدعو خط إلى التشدُّد وهو خط الأمن، ويدعو آخر إلى الحل الآخر وهو خط الخارجية. ومن الطبيعي أن الأُمور انتهت إلى ما انتهت إليه، وانتهت مهمّة الشيخ صبحي وحلّ مكانه السيّد عباس بعد ذلك، فدخلت الأمور في نوعٍ من البرودة في العلاقات، ولكن من دون أن تتحوّل إلى انفجار.

وبدأ الشيخ صبحي يتحرك كما لو كان قوة مستقلة داخل الحزب من دون الانفصال عنه، ومن دون أن يقوم بعملٍ حادّ في مواجهة قيادته. ثُمَّ تطوّرت الأمور وأريد له أن يكونَ له هو مُعلِن الأمينِ العام الجديد بعد استشهاد السيّد عباس الموسوي. فَعَلَ ذلك، وربما كان إعلانه على مضض، لكنّه لم يُظهِر ذلك في البداية بل كان منفتحاً، وتحدّث عنه في شكل إيجابي وفاعل.

مـن الطبيعي أنّ الأمور ازدادت شرخاً، إذ لعلّهُ شعر بأن الخلفيات الإيرانية كانـت أقـرب إلى الأمانـة العامة الجديدة منهـا إليه، من دون أن تتخـذ أيّ قرارٍ مضـاد لـه. لكنّه انطلق في «ثورة الجياع» التي كانـت تمتلكُ أرضيّةً شعبية بسببَ الأوضـاع الصعبة التـي كان الناس يعيشونها في البقـاع، فَخلقت شرخاً في قاعدة «حزب الله»، وأدّت إلى مشاكل كثيرة. ودخل المسؤولون الإيرانيون على الخط فـي طريقـةٍ ربما يعتبرها بعضـ الناس قاسية، أو يرى بعضـ الناس أنّه كان من الممكن أن يكون الأسلوب أحسن. وهكذا انفجر الموضوع وتحرّك الشيخ بأسلوبه الخاص لاعتقاده أنه يمتلك القدرة على المواجهة بأسلوب العنف.

حصـل الانفصال الحادّ، وبقيت مفاعيـل هذا الوضع إلى ما وصل إليه أخيراً فـي الانتخابـات، وخصوصاً بعد حصار الدولة للشيخ صبحـي، لاعتبارات محلية وغير محلية.

أمـا أنـا فلم تكـن لي أي علاقة بـ «ثـورة الجياع»، لأنني لـم أجدْ هناك أي مصلحـة في الدخول على حالـة انقسام داخل قاعدة «حزب اللـه». كما أنه ليست هنـاك مصلحة إسلامية في الموضـوع، وليست هناك مصلحة لبنانية وطنية أيضاً. ولـن يستفيد أحـدٌ شيئاً من الانقسام لا سيما في منطقة كالبقاع تتأثر بالخلافات. مع ملاحظـة أن الشيخ لا يمتلـكُ الإمكانات والقدرات التي تسمـح لحركته بالامتداد، بينما يمتلك «حزب الله» كُلّ القدرات والإمكانات والسياسات باعتبار علاقته بمسألة المقاومة، بأبعادها الإقليمية والمحلية والإسلاميّة الإيرانية. لذلك لم أجد أية مصلحة في ذلك.

كنـتُ أنصحُ الطفيلي بأنّ هذا الأسلوب فـي العمل السياسي ليس أسلوباً واقعياً ولا مصلحة فيه، وبأنّ العنف لا يمكن أن ينجح في أي حركة سياسية في لبنان، بل إن الأسلـوب اللبنانـي يلتفّ على كل مَن يتحرّك بالعنف ويحاصره من كل جانب. هذا ما تحرّكتُ به، كما إنّني كنتُ أتحدَّث مع الأخوة في «حزب الله» عن ضرورة الصُّلـح، وحتـى عرضتُ عليهم أن أدخلُ مُصلِحاً في هذا المقام. وقد أثيرت داخل قاعـدة «حزب الله» ربمـا بطريقة أمنية، أي من خلال أجهـزة الأمن أو بطريقة سياسيـة علاقتي بالموضوع. وربما تحدَّث بعض الإيرانيين في ذلك، وقالوا إنني دفعـت أمـوالاً وعشرات الألوف من الـدولارات. لكنّ الحقيقـة أنّ كلّ ذلك كان كذبَـاً لا واقع لـه. حتى إن بعض قياديي «حزب الله» اعتـرف بذلك، معتبراً أن ذلـك ليس من خلقي، ولا أرى مصلحةً في انقسام «حزب الله»، بقطع النظر عن

انتقادي بعض السلبيات في الأسلوب والطروحات. لكن هذا شيء. أما التشجيع أو المشاركـة فـي انقسام حركة مقاومة إسلامية سياسية فأمرٌ أعتبره في حجم الجريمة لا فـي حجـم الخطأ. لكنّ التعقيدات الموجودة عادة فـي القضايا والمواقع السياسية اللبنانيـة تفسـح المجال لكثيرٍ مـن الكلمات غير المسؤولة ممّـا تعودتُهُ في أكثر من موقع ولا أزال.

أنا أعتقدُ أن الفرق بيني وبين الآخرين، مع احترامي للآخرين، أنني أمتلكُ خطـأً سياسيّاً إسلاميّـاً استراتيجياً، لكنني لا أمتلكُ اللعبة السياسية. ولذلك، فإنّ مَنْ يتحـرّكُ فـي اللعبـة السياسية يَظنّ أن النـاس كلهم يلعبون علـى طريقته، كما قال المتنبي:

إذا سـاَء فعـلُ المـرء سـاءَت ظُنونُـه وصـدّقَ مـا يـعـتـادُهُ مـن تـوهُّـمِ

وأستطيـع التأكيـد أمام الله أنني لم أدخل أي نـزاع في الساحة الشيعية كلّها، لكن كانت لي مواقف قد يرتاحُ إليها هذا ولا يرتاحُ إليها ذاك لأن عليَّ قول كلمتي فـي مـا أعتقدُ أنه الحقّ. ولعلّ الذي يقرأ ما نُشـرَ من خطب الجمعة والتصريحات والأحاديث الصحافية في تلك المرحلة يعرفُ أنني كنتُ أتحدّثُ بأسلوب الدعوة إلى الحوار والمحبّة والانفتاح وتحذيرُ الآخرين من النتائج المأسويّة التي قد تصيبهم في هذا المجال.

لقـد تحدّثـت بالصوت العالي عندما صدرت بعضُ التصريحات التي تتحدّث عن المقاومة في شكلٍ سلبي يبعثُ على الإشفاق.

۞ هل كان يمكِنُ، مولانـا، أن يُشكّلَ صبحـي الطفيلي حالـة شعبية تُعادِلُ الحالة الشعبية لـ «حزب الله» أو تشقُّه؟

- لا أتصـوّرُ المسألـة في هذا الحجم. فالفرق أنّ الحزب يمتلكُ قاعدة منظمة دينية تخضعُ لقراراته خضوعاً يأخذ الصفة الشرعية من جهة، ويتحركُ من إمكانات مادية من جهة أخرى، مع بعض الجوّانب العاطفية. ولذلك، فإنّ القاعدة الحزبية في «حزب الله» تُمثّلُ قاعدة متناسقة بينما قاعدة «ثورة الجياع» كانت متناثرة ولا تلتقي على خط ثابت أصيل. وربما كانت طريقة بعض الناس تتحرّك على قاعدة: «لا حُبّاً بعليّ ولكن بغضاً بمعاوية».

مـن الصعب جدّاً فـي المسألة السياسية أن ينجح شخصٌ مهما كان موقِعُهُ فيها

أمــام حــزب يمتلك القوة في كل الجهــات لأنه يحتاج إلى ظــروف محلية وإقليمية وربما إلى مناخات دولية غير متوفّرة له. فالسياسة ليست من المسائِل التي تخضَعُ لكفــاءة الأشخاص، بل تخضَعُ لموازين القوى، سواء كانت موازين القوى الذاتية أو موازيــن القــوى، مقارنةً بالأوضاع المحيطة في الحركة السياسية في الواقع أو في الموقع السياسي هناك.

لذلــك، فــإنّ المسألة لم تكن تحمِلُ إمكانات النجاح من البداية. لكنّها حصلت فــي ظــرف كانــت تحاوِلُ فيه مواقــعَ سياسية كثيــرة في البلــد أو خارجه إزعاج «حــزب اللــه»، أو توجيــه رسائل إليه تفيــد أن من الممكن أن يحــدث في البقاع مــا حــدث في الجنوب، ولكن ليس بمعنى أن تصــل المسألة إلى مستوى ما كانت فــي الجنــوب. فالمسألة التي كانت فــي الجنوب كانت مسألــة الصراع العربي – الإيراني، كانت متصلة بمواقع النفوذ وربما بمسألة الشرق الأوسط والخوف من دخول إيران المسألة من الباب الواسع. أما في البقاع فكانت لا تبتعِدُ عن الجانب المحلّــي. ونحنُ نعرِفُ فــي السياسة اللبنانية في صورة عامــة التي قد تتقاطَعُ مع بعضــ السياســات الإقليميــة أنها لا تعطي أي موقعٍ حزبــي أو سياسي جماعي أي حريــة في الحركــة بحيث يشعرُ بالعافية وبالرّاحة. وهذا ما لاحظناهُ في لبنان، إذ مــا من حركــة سياسية في الدائرة الإسلاميّة أو المسيحيــة إلاّ وخضعت لأكثر من إربــاك وإزعاج مِمّا كان بمستــوى الرسائل لمن يهمُّهُ الأمر، وذلك كي تتعقّل أو كي تضبط مسارها في الخط المرسوم.

۞ هل كانــت سوريا في تلــك المرحلة، تعتبــر «حزب اللــه»، ومن خلال التباينات، أقرب إلى إيران منهُ إليهــا هي التي تحفظُهُ وترعاه في لبنان؟ وهل استعملت حالة الشيخ الطفيلي للحصول مــن إيران والحزب على ما كانت ترغبُ فيه؟

– لا أظــن أن المرحلــة كانــت في هــذا المستــوى. فالمرحلــة كانت مرحلة المقاومــة، وكانــت إيــران وسوريا تلتقيان عندهــا. فضلاً عــن أن إيران تتحرك بعقلانية وموضوعية في لبنان بقدر ما يتصل الأمر بالوضع السوري. لكنّ المسألة كانت تتحرك في دائرة اللعبة السياسية التي لا تريد أن تترك أي أوضاع يمكن أن تستفيد منها في المستقبل. هناك كثير من الأوضاع السياسية في البلد أو في المنطقة قــد لا تكون موضعَ اهتمام في الآليــة، لكنّها لا تُكسر أو تُصادر بل تُجمَّد وتوضع في دائرة الانتظار والحجز ريثما تمسُّ الحاجة إليها في المستقبل.

۞ إلى أي درجة يمكن القول إن ثورة الشيخ الطفيلي كشفت أو أحدثت نوعاً من التصدّع داخل القيادة والقاعدة في «حزب الله»؟

- أحد وجوه التصدُّع القضية المناطقية (جنوبي وبقاعي) حتى قيل إن «أمل» جنوبية و«حزب الله» بقاعي مع أن هذا تبسيط للمسألة.

في تصوّري أن مستوى القوة التي كان يمتلكها «حزب الله» في تلك المرحلة على الأقل، كان لا يتأثر بهذه الحساسيات. إذ قد تُثار بين وقتٍ وآخر، ولكن من دون أن تُصدِّع الهيكل ومن دون أن تجعله يسقط على رؤوس الجميع. فالقضية لم تكن مفتوحة على الأشخاص، بل كان هناك تنظيم يرتكز على التكليف الشرعي تحت عنوان ولاية الفقيه، كما كان يخضع لكثير من الحاجات المادية للمنتسبين هنا وهناك، وكانت مسألة المقاومة هي الواجهة التي أبلى فيها البقاعيون بلاءً حسناً، إذ سقط منهم شهداء كثيرون في المعركة مع إسرائيل. كانت هناك توازنات في المسؤوليات مما سدّ الكثير من الثغرات وإن بقيت حساسيات نتيجة بعض الطموحات الشخصية التي لا يمتلك أصحابها الامتداد بها بعيداً. إذ إن امتدادهم بها قد يُفقِدهم موقعهم.

۞ هل لا يزال «حزب الله» بالقوة نفسها التي كان عليها في تلك المرحلة؟

- أعتقِدُ أنّهُ لا يزال قوة، لأن علينا ألاّ ننسى الانتصار الذي استطاع أن يحقق لـ «حزب الله» عمقاً في نفوس محازبيه تماماً كما في الواقع العربي والإسلامي، كأول انتصار عربي وإسلامي على إسرائيل. وذلك لم يحدث في كل تاريخ الصراع العربي - الإسرائيلي في هذه الطريقة.

كما إن «حزب الله» استطاع أن يدخل الخطوط السياسية برشد سياسي جيّد، سواءٌ من خلال سيطرته على قاعدتِه أو على مستوى امتداده في الساحة السياسية، ولا سيما من خلال هذا السقف السوري المباشر. وقد بلغ الحزب مستوى من الصلابة والقوة يجعلك تشعرُ بأنّه يتحرّكُ في سوريا بكُلِّ انفتاح وحرية، تماماً كما يتحرك في لبنان على مستوى اللقاءات والجماعات، وبأنّه حاصل على تعاطف المسؤولين السوريين ولا سيما الرئيس بشار الأسد. هذا بالإضافة إلى الدعم الإيراني الكبير والدعم الرسمي اللبناني.

۞ هل انتهى الشيخ الطفيلي في رأيك، مولانا؟

- أنا لا أتصوَّرُ أن ينتهي أحدٌ في لبنان، حيث لا يمكنك أن تُلغِيَ إنساناً. فإذا

كان الشخص يمتلك بعض الكفاءات والمواقع فإن ظروفاً قد تستجدّ تجعل الآخرين يشعرون بالحاجة إليه. أنا أشعرُ بأنّ من خصوصيّات لبنان أنهُ يجمِّد الأشخاص والأحزاب لكنّه لا يلغيهم.

هناك مسألة أُغفِلَتْ هي أن جماعة الشيخ الطفيلي كانت تطرح اسمي كدعاية إعلامية بالنسبة إلى موضوع المرجعية. كان ذلك يضايقني لأنني لم أكن أريدُ لاسمي أن يتحرَّك في مثل هذه الأجواء... ومن خلال مكتبنا الإعلامي، كنا نصدِرُ نفياً لكُلِّ ذلك ونعتبر هذه الأمور داخلة في حركة المخابرات.

۞ مَن يحمي الشيخ الطفيلي؟ ولماذا لا يلقى القبض عليه؟

– في تصوّري، إنّ الظروف اللبنانية والإقليمية لا مصلحة لها في ذلك. إذ إنّ إلقاء القبض على الشيخ صبحي الذي هو شخصية محترمة وتاريخية، انفتح الإعلام العالمي عليها ولا يزال في طريقةٍ أو أخرى، سوف يخلقُ الكثير من الحالات الشعبية المؤيدة له والمثيرة لأكثرَ من مشكلة في الداخل، لا سيما في منطقة كالبقاع. ولهذا لا أتصوّرُ أن هناك أي مصلحة لأي جهةٍ بما فيها «حزب الله» في اعتقاله. وربما يُؤدّي اعتقاله إلى تعاطف كبير معه قد يربكُ الكثيرين ممن لا يريدون أن يواجهوا هذا الإرباك.

۞ متى بدأت علاقتك بإيران؟ هل كان لك علاقة برجالات الثورة قبل اندلاعها؟

– في السنة الأولى للثورة... لم تكن لي معها علاقات مباشرة أو غير مباشرة.

۞ كيف بدأت هذه العلاقة إذاً؟

– بدأت العلاقة مع إيران عندما بدأنا نطلِقُ الأحاديث في تأييد الثورة الإسلاميّة فيها، وخصوصاً أن المنبر الوحيد الذي كان في لبنان هو مسجد الإمام الرِّضا في بئر العبد. من هنا، انفتح الإيرانيون عليَّ من خلال هذا الموقف الذي كان مجّانياً، وقربةً إلى الله تعالى لأنهُ لم تكن هناك أية علاقات عضويّة. وعندما جاء السفير الإيراني الأوّل بعد الثورة إلى لبنان، كان يزورُني وأزورُهُ، وكنتُ أذهبُ إلى السفارة الإيرانية وألقي بعض المحاضرات في الاجتماعات التي كانت تُعقَدُ هناك. وكان يأتي إيرانيون ومنهم السفير إلى مسجد بئر العبد ليصلّوا صلاة

الجماعة وغيرها.

۞ في تلك الفترة، ألم تكن لك لقاءات بارزة مع شخصيات في الثورة؟

– كان أوّل لقـاء مع الشيخ رفسنجاني عندما قدِمَ إلى لبنان وزارني في بيتي فـي الغبيري، إلى جانب الحرش. بدأت العلاقة منذ ذلك الوقت، وأبدى إخلاصه واحترامه الكبير. ثُمّ بدأ المسؤولون الإيرانيون يزورونني عندما كانوا يأتون إلى لبنـان. كانـت السفارة الإيرانيـة – الثورية، إن صحَّ التعبير، تهتـم اهتماماً كبيراً بالعلاقـة معـي خصوصاً أنّهُ لم تكن هناك حالة انقسـام في ذلك الوقت، وكان بئر العبد هو منبر الثورة، إن صحّ التعبير.

۞ ماذا كان رأيك في الثورة الإيرانية عندما اندلعَت وانتصرَت؟

– كنت معها، لأنني كنتُ، منذُ البداية وفي أيام الشاه، معارضاً للخط الغربي فـي السياسة في المنطقة، ومعارضاً لنـوري السعيد والحكم الملكي في العراق. كما كنـتُ معارضاً للسياسـة اللبنانية السائرة في هذا الخط ومنهـا سياسة كميل شمعون. وكُنّـا معارضيـن للسياسـة المصريـة في أيام النحاس باشا وهكـذا... كانت هناك معارضة فوق العادة لسياسة الشاه. لذلك، عندما انطلقت الثورة الإسلاميّة بشعاراتها الإسلاميّة، وكنا إسلاميين قبل ذلك بكثير، كان تفاعلنا معها طبيعيّاً نتيجة الموقف...

۞ أول زيارة لإيران، مولانا، كيف تمّت؟ وفي أيّ سنة؟

– فـي احتفالات السنة الأولـى للثورة، دُعيت إلى إيران لحضورها. فذهبت إلى طهران والتقيت مسؤولين إيرانيين. لكن، في السفرة الأولى، لم يُتَحَ لي اللقاء مـع الإمـام الخميني لمرضه في ذلك الوقت، فالتقيـت الشخصيات القيادية، ومنها السيّـد بهشتـي الذي كان يحترمني احتراماً كبيراً. وهذا ما نقله لي بعض أصدقائه. فـي ذلـك الوقت، كنتُ محـلّ الاحترام الكبير فـي إيران، لأنّهُ لم تكـن هناك أية أوضاع تفرضُ التعقيد.

۞ هل يعني ذلك أن الثورة الإيرانية، في تلك الفترة، لم يكن لها اهتمام عملي بلبنان؟

– يعني أن الثورة لم تكن بدأت تنظيم الواقع السياسي في لبنان، لكنّها كانت تتحرك فيه من خلال الجوّ الجماهيري الذي حصل بعد الثورة، والذي ساهمت فيه الحركـة الإسلاميّة الشيعية آنذاك وهي «حـزب الدعوة» التي كانت موجودة هنا،

كما ساهم فيه التيار الشعبي الذي كان ضِدّ الشاه آنذاك.

✪ هل فاتحك الإيرانيون بخطّةٍ ما لهم بالنسبة إلى لبنـان واللبنانيين، وإلى الشيعة في لبنان؟ وهل حاولوا استطلاع رأيك؟

– لـم يتحدّثوا في شكل يُمثِّلُ قضيـة ميدانية للتحرك الخاضع لتخطيط سياسي في لبنـان، لأنَ الجـوّ كان جو الثورة، وكان المناخ مناخ اجتيـاح المنطقة بالثورة لأنها كانـت تعيشُ في الفضـاء لا في الأرض. كنتُ أقولُ إنّ لكلّ ثورة مرحلة من الجنون التـي تتجـاوزُ فيها كلّ الخطوط علـيٍ الأرض حتى تستطيع الاستيـلاء على الوجدان الشعبـي الذي يعكّرُ فـي المطلق دائماً فتنزع من عمقه الخـوف من القوى الكبرى أو الإقليميـة أو غيرهـا. هـذا ما نتذكّره عـن الرئيس الصيني الـذي كان يتحدث عن أن أميـركا نمـرٌ من ورق، لكنّه كان يعرف أنها نمر من أنياب ذريّة. وكان هدفه إفراغ وجـدان الشعب الصيني من الخوف من أميركا. أما هدف الإمام الخميني فكان تفريغ وجـدان الشعب الإيرانـي والمسلمين من أي سقوط نفسي تحـت تأثير القوى الكبرى كالاتحـاد السوفياتـي والغـرب. ولهذا أطلـق شعار لا شرقية لا غربيـة بل جمهورية إسلاميـة... أو شعـار المـوت لأميركا ولإسرائيل. كان يتحـدث في طريقة فيها من الجوانـب الروحيـة والغيبية ما يجعل الناس يفكرّون في نصـر الله بالغيب. فالمرحلة هـي للحديـث عن الغيب والجوانـب الروحية، والإنسان الـذي يتحدث عن الظروف الموضوعية وعن الحواجز السياسية الموجودة كان يُتّهم بالمادية السياسية.

أمـا أنـا فكنت، في ذلـك الوقت، أتحدَّث فـي أبحاثي التي كنـت أنشرها في مجلّة «المنطلق» عن الواقعية السياسية وعن ضرورة الانفتاح. وكنتُ أتحدث عن الحركة الإسلاميّة بين الانفتاح والانغلاق والحركة الإسلاميّة بين الرفق والعنف، والحركـة الإسلاميّـة والوطنية... وعن بطِل الخط أو خـط البطل، إلى غير هذا ممـا كان يُنتقَـد باعتباره غير ثوري. كنتُ أُتَّهـم باللاثورية لأنني كنتُ أتحدث في المسألة السياسية في طريقة واقعية... وكنتُ أتحدثُ عن إيماننا بالغيب لكن الله لم يُخضِع الحياة للغيب، بل الغيب قد يأتي في شكل مكمّل للظروف الموضوعية...

لهـذا كانـت المرحلة مرحلة تعميم الثورة على كل مكان في العالم واستقطاب العالميـن العربي والإسلامي. وقد استطاعـت إسقاط عرش الطاغوت والطاووس الـذي كان يخشـاه حتـى الاتحاد السوفياتـي باعتبار أنه قاعـدة متقدمة للغرب. لم تكـن تشعـر إيران بأنها في حاجـة إلى تركيز حزب هنا وحـزب هناك، حتى إن

مسألـة الأحـزاب كانت غيـر واضحة عندهـا. فعندما أسّست فـي البداية «الحزب الجمهـوري»، ألغـاه الإمـام الخميني بعد ذلـك لأنهُ كان يدعو إلـى «حزب الله» لا علـى الطريقـة التنظيمية بل على طريقة حزب الجماهيـر التي كانت تخرجُ إلى الشارع بطريقة مليونية من خلال العناوين السياسية الإسلاميّة العامة. لذلك، فإن مسألة الحديث عن تنظيم سياسي في لبنان كانت مبكّرة في تلك الفترة.

۞ هل كان العالمان العربـي والإسلامي ينظران إلى الثـورة كما تنظر إليها إيران؟

- كان العالمـان العربي والإسلامي ينظران إليها في البداية كثورة إسلامية. لكـن بعد حـرب الخليج مع العـراق، انطلقت الدعايـة المتحدثة أنها ثـورة شيعية وأن الشيعـة ليسـوا مسلمين، إلى ما هناك ممّا أثاره السلفيون والوهّابيون بإشراف المخابرات المركزية الأميركية. أثّر ذلك تأثيراً كبيراً في عملية فصل العالم السنّي في صورة عامة عن الثورة الإسلاميّة.

المخابرات المركزيـة كانت تنظّمُ الإعلام، وهي تمتلك المادة الجاهزة، كما حصل في مسألة القومية بعنوان أن هذه فارسية وهذه عربية...

۞ مولانا، طبعاً الحـرب العراقية - الإيرانيـة يتحمّـل مسؤوليتها العراق، لأنّهُ بادر إلى شن الهجوم على إيران. لكن هل تعتقِد أن هناك مسؤولية إيرانية عن خلق الظروف التي دفعت الرئيس العراقـي صدّام حسين إلى اتخاذ قرار الحرب مثل بعض المتفجرات أو غيرها؟

- مـن الطبيعي جدّاً أن الخطـاب الإيراني ساهم في ذلك. فالإذاعة الإيرانية كانـت تعيشُ حالة الفوضـى بحيث إن الذين كانوا يديـرون القسم العربي فيها من العرب المستعربين أو الإيرانيين المستعربين، كانت لهم أفكارهم الخاصة. ولم يكن هناك خط سياسي، بالمعنى الدقيق للخط السياسي، يُراعي القضايا الديبلوماسية أو يُراعي أموراً أخرى... حتى إننا، في ذلك الوقت، التقينا شخصيات قيادية إيرانية وشكونـا لها الإذاعـة الإيرانية العربية، فقالت: «إننا نشكو أيضاً مما تشكون منه». وذلـك، كتدليل على أن نوعاً من أنواع الإدارة لم يكن موجوداً للمسألة الإعلامية على نحو منظّم. كان الخطاب الموجود في إيران يفكّر في مسألة الانقلاب العراقي علـى صـدّام، وخصوصا أن الأحزاب والجهـات العراقية التي كانت موجودة في إيران كانت تتحرك في هذا الاتجاه، إضافة إلى التنظيمات الإيرانية المتحركة بفعل

الحماسة في ذلك.

فلا إشكال أن المناخ الذي سادَ إيران جعلَ صدّام يخاف، خصوصا أن الإمام الخميني كان يمتلك تفكيراً معيّناً في إسقاط صدّام...

۞ حين بدأت الحرب، أين كنتَ، سماحة السيّد، قلباً وفكراً؟

- من الطبيعي كنت مع إيران ضد العراق، حتى إنني تعرّضتُ لكثير من الانتقاد من بعض الصحف العربية الخليجية في بعض الحوارات حول هذا الموضوع. فنحن منذ البداية، كنا معارضين للنظام العراقي. وكنا مستهدفين منه بعمليات اغتيال. ولهذا كانت نظرتنا ولا تزال أنه نظام دموي وديكتاتوري، وأنّهُ المسؤول عن قتل العلماء وتهجيرهم، وعن إسقاط الحوزة الدينية في النجف الأشرف، وأن إيران لم تبدأ الحرب ولا سيما بعد انكشاف اللعبة الدولية في دعم العراق المطلق ضد إيران... وحتى مع بعض الأخطاء كنا نشعر بأنّه ينبغي الوقوف مع إيران.

۞ أخبرْتَنا سابقاً أنّكَ رأيت الإمام الخميني؟

- في البداية من بعيد، ثم حصلت عدّة لقاءات. بداية، كانت هناك جهات معقّدة ما كانت تُهيِّئ لقاء مع الإمام الخميني، لجهة بعض التعقيدات التي ربما بعضها لبناني، وبعضها مرجعي، لأنني كنتُ حتى ذلك الوقت أرى مرجعية السيّد الخوئي من ناحية فتوائية وأؤيد الإمام الخميني من ناحية سياسية.

بعد، ذلك حصل انفتاح. أذكُرُ أنني سألته في المرّة الأولى عن العمليات الاستشهادية، فكان جوابُهُ: «إن هذه المسائل لا أجيبُ عنها». وكان تعليقي: «أنا أعرفُ لماذا لا تجيبُ عنها. فمثل هذه المسائل لا تُعطى في الهواء الطلق. وعندما تَصْدُرُ بها فتوى لا بد من أن تُدرس كل ظروفها وكُلّ معطياتها. إذ لا تجوز إلا بشروط معينة في هذا المعنى». كنتُ أتردَّدُ عليه، وكان في مرات عدة يستقبلني استقبالاً مميزاً، علماً أن السيّد الخميني كان معروفا بالرزانة، وبما يقربُ من الجوّ الرسمي في استقبالاته للناس. وفي بعض الحالات، كنتُ أذهبُ إليه على أساس موعد حيث يكون جالساً في مكانٍ والناسُ حوله، وحين وصولي يُشيرُ لي بدخول غرفته. وحين يدخُلُها هو يفتح ذراعيه ويُعانقني...

وفي بعض الزيارات التي كنتُ أصطحب فيها بعض الأشخاص مثل الشيخ سعيد شعبان، كان يُصرُّ على أن أجلس إلى جانبه والآخرين تحت منبره (كنَبَتِه).

كنتُ أشعرُ في تقديره لي بشيء مميّز. وبعد وفاته قال لي ابنُهُ السيّد أحمد رحمه الله أن الإمام كان يذكرني دائما أمامه ويقول أن السيّد شخصٌ فاضل وعالي الفكر. كان يذكرني بكلّ خير.

والحديث مع الإمام الخميني لم يكن بإسهاب، بل كنتُ أعطيه بعض الأفكار حول لبنان، وكنتُ أسألُ عن بعض القضايا الفكرية بحسب رأيه فيها.

۞ هل حصل حديث بينكما حول تصدير الثورة؟

- لا، لم يحصل حديث كهذا، ومن الأساس كنتُ أتحفّظُ على هذا التعبير لسبب بسيط هو أن تعبير تصدير الثورة ليس دقيقاً. فالثورة إذا لم تكن لها عناصر ميدانية وطبيعية، لا يستطيع أحد إلقاءها من فوق. لكن من الممكن جدّاً تصدير الثورة، إذا كانت هناك أرضية صالحة لها نتيجة التعقيدات السياسية، سواء من خلال قضايا داخلية في هذا النظام أو ذاك النظام أو من خلال القضية الإسرائيلية، أو بما يتصل بالعالم الإسلامي أو بأميركا أو ببعض البلدان أو بالاتحاد السوفياتي. ذلك أن المرحلة كانت وقتها مرحلة التوتر في المنطقة كُلّها من خلال حركة القومية العربية وعبد الناصر، والاحتلال الإسرائيلي لفلسطين والانقلابات العسكرية والحرب الباردة بين الشرق والغرب.

وعندما جاءت الثورة، حرّكت كلّ هذه العناصر الموجودة في الأرض في شكل طبيعي. ولا أعتقدُ أن الإيرانيين، في ذلك الوقت، كانوا يمتلكون امتداداً في العالم العربي والإسلامي في المستوى الذي يستطيعون من هناك أن يصنعوا ثورة، أو أن يُلقوا الثورة من بعيد. لكنّ الإمام الخمني كان مع الفارق الكبير كعبد الناصر. كان يخطب ويثير الجماهير، ويُحدّثها عن الاستعمار والصهيونية والأوضاع بالنسبة إلى الفقر والظلم وما إلى ذلك. ومع فارق كبير آخر هو أن عبد الناصر كان يمتلك جهاز مخابرات يستطيعُ العبث بواسطته في كل الأوضاع الأمنية والسياسية في المنطقة. بينما إيران الثورة لم تكن تمتلكُ في حينه جهازاً مثله. الشاه كان يمتلك «السافاك»، لكن «السافاك» لم يكن له امتداد في المنطقة. وحين جاءَت الثورة انحسر السافاك في هذا المقام... ولهذا كانت مسألة تصدير الثورة عنواناً أطلقه الغرب وحاول محاربة إيران به. علماً أن خطابات الإمام الخميني والمسؤولين بدرجات متفاوتة أثارت المنطقة ضدّ بعض حكامها أو ضد أميركا أو الاتحاد السوفياتي.

أتصوّرُ أن المسألة كانت إثارة الشعوب العربية والإسلاميّة في ما كانت

تعيشه، ولكنّها كانت لا تجدُ الشخصية القيادية (البطل) الذي يمكنُ أن يخلق عناصر الإثارة في نفوس الناس.

✪ بالنسبة إلى لبنان، هل كان الإمام الخميني يمتلكُ فكرة عنه؟

– كان الإمام الخميني يُقدِّرُ الشباب اللبناني. أما التفاصيل فلم يكن يدخل فيها.

✪ كيف كانت علاقاتك مع شخصيات النظام في إيران؟

– كانـت لـي سابقاً مع السيّـد بهشتي علاقـة غير واسعة. وكانـت زياراتي لإيـران في فترة وجوده غير متكررة. وقد سمعتُ من إحدى الشخصيات العراقية السيّد محمد بحر العلوم، وهو من الشخصيات المعارضة، أنّهُ اجتمع بالسيّد بهشتي الـذي تحدّث عنّي كشخصية يمكن أن يُتعاونَ معهـا في الثورة الإسلاميّة والقضايا السياسية. لم يُهيأ لي اللقاء كثيراً به، كان لقاءً واحداً.

أما الشخصيات الأخرى كالشيخ هاشمي رفسنجاني والسيّد الخامنئي وغيرهما فكانـت لقاءاتـي معهم دائمـة ومتنوعة وواسعة. كُنّـا نتحدث عن القضايـا اللبنانية والعربيـة بتفاصيلها، وكانوا يسألوننـا رأينا، ونحنُ نسألهم آراءهم. والملحوظ أن المسألـة لـم تكن كما يُخيّـلُ إلى بعض الناس، أي إن الأشخاصـ المؤيِّدين للثورة الإسلاميّـة كانـوا يتلقّـون التعليمات. الواقـع كانت هناك مناقشـات واسعة في هذا المجـال، حتـى إننـي عندما حصلت «حركـة 6 شباط» في لبنان، ذكـرتُ أنّه لن يتحول جمهورية إسلامية إلا بعد تحوُّل المنطقة كلها بما فيها فلسطين...

شـكَّل هـذا الكلام صدمة لهم، لكن لم يكن هناك تعليق سلبي عليه، ربما لأن الجماعة كانوا يثقون بفهمي السياسي في هذا المجال...

حتـى إننـي اصطدمت مرّة مع الشيـخ المنتظري، عندما بـدأت أتحدّثُ عن لبنان، وقلت إننا لا نطلِقُ مشروع الجمهورية الإسلاميّة فيه. بل إننا نُقدِّمها كتصوّر ثقافي للإسلام لإخراجه من الذهنية الطائفية إلى الجانب الفكري، ولأنه يُمثِّلُ حكماً ومشـروع دولة وليس حالة طائفية كالحالات الطائفية الأخرى. كنت أتحدّثُ على هـذا النحو في الصحافة. الشيخ منتظري ذكر هذا الأمر أمامي فرددتُ عليه بقسوة نوعـاً ما وقتَهـا. إنّنا، عندما نتحدث في هذا الموضوع، لا نتحدّث عن الجمهورية الإسلاميّـة في لبنان، لأننـي أؤمِنُ بأسلمة العالم... ولكـن في ظروفه الطبيعية. هنـاك شروط للجمهورية الإسلاميّة في لبنـان في هذا المقام... الشاهد أنني كنتُ

أناقش كثيراً من القضايا، ومنها ما تحدثتُهُ مع الشيخ رفسنجاني وهو أنه لا بُدّ من لبننة «حزب الله» بمعنى الانسجام مع المناخ اللبناني ومع الثورية... فخطابُهُ يجبُ أن يكون منسجماً مع هذا الواقع، وكان الشيخ رفسنجاني يؤيّدُ هذه الفكرة.

۞ هل كان الشيخ المنتظري خليفة معيناً للإمام في تلك الفترة؟

- كان خليفة معيّناً، وكنتُ أشعرُ بأنّهُ يحترمني كثيرا ويُقدّرني. حتى إنني كنتُ أدخُلُ عليه في مكتبته الخاصة وأجلِسُ معه، فنتحدث في القضايا العلمية الفقهية.

۞ ما هي نقاط التناقض والتقارب بينك وبين الشيخ المنتظري؟

- الشيخ منتظري رجلٌ ثائرٌ قضى في السجن مُدّة طويلة، وهو تلميذُ الإمام الخميني وأوّلُ من نظّر لولاية الفقيه بعد الإمام الخميني. لكننا، على الأقل في تلك الفترة، كُنّا نعتبره شخصية تتمَيّزُ بالعفويّة والبساطة أكثر مما تتمّيز بالعمق... حتى عبّرتُ مرة أنه ساذج. كان الرجل يحمِلُ الشعارات السياسية ولم يكن سياسيّاً. بل كان يتحمّسُ للجمهورية الإسلاميّة ويُلقي خطابات نارية. لم يكن سياسيّاً في العمق، وكان غير متقنٍ للعبة السياسية، ولهذا استطاع خصومه إبعاده عن الساحة.

۞ إبعاده عن الساحة تمّ عبر الكواليس، مولانا.

- لا شك في ذلك، فهو لم يعرف كيف يدير الأمور مع الإمام الخميني، بالدخول على خط الذين دخلوا ضِدّه. فقد كان، مثلاً، يُرادُ له إبعاد بعض أصهاره عن مكتبٍ، فلم يقبل، وكانت الفكرة عند الإمام أنهم مِمّن يُخشَى منهم بالنسبة إلى الثورة. وكان السيّد أحمد، رحمه الله، مِمّن لا يرتاحون إلى خلافة الشيخ منتظري، وربما لجهة المواصفات التي لم تكن في مستوى الولاية والخلافة، بحسب رأيهم.

۞ لماذا غيّر الشيخ منتظري موقفه بالنسبة إلى ولاية الفقيه؟

- لم يُغيِّر موقفه من ولاية الفقيه بل تغيّرت نظرته إلى مركز الوليّ. فهو يرى أن الوليّ الفقيه لا بُدّ أن يكون الأعلم، ويرى أن السيّد الخامنئي ليس كذلك وربما عنده تشكيك في فقاهته أو غير ذلك... ولهذا كان لا يوافق على الصلاحيات المطلقة التي أعطيت في الدستور للولي الفقيه. فالولي الفقيه ليس معصوماً حتى تكون عصمته مانعاً من الخطأ. هو يخطئ ويصيب ومن صفته ذلك، ولذا لا يمكن

جعـل الدستور والأمور والدولة في يده... حتى لو لم يمارس هو الدور بالمعنى الذاتـي. لكـن الدستـور عندما يعطـي مثل هـذه الصلاحيات لشخصٍ غير الإمام المعصوم فهذا مِمّا يشكِّلُ خطراً على النظام، والإسلام لا يوافق.

كان منتظري يناقش مسألة الضغوط على الحريات التي تمارسها المخابرات ويقـول إنّ ذلـك يُشبِـهُ ما كان يحصل أيـامِ الشاه... ولهذا فُرضـت عليه الإقامة الجبريـة وتعرض إلى ممارسات عنيفة جدّاً، وهـو الآن في الإقامة الجبرية. فهم يخشون امتداده وشعبيته التي أصبحت واسعة. فهو من العلماء الكبار وفي مستوى التقليد، وهو في موقع الأستاذيّة لهذا الجيل كُلّه...

۞ بالنسبة إلى رأيه، مولانا، هل هو خطأ؟

- هنـاك شـيء وفـرق بين أنّـهُ يصلحُ أن يكـون ضمير الدولـة، ولكن من الصعب أن يكون حاكم الدولة.

۞ لكنّه كان يريد من خلال موقفه جعل الوليّ الفقيه ضمير الدولة.

- أنا أقول إنه يصلح أن يكون ضمير الدولة، ومنظّراً للحريات على الطريق الفقهي والأساس الفقهي. في وقتها كانت كُلّ الإدارات بما فيها «الإطلاعات» تقدِّم إليـه الأسئلة حول طريقة التحقيق، فيجيب عنها ويعملـون بآرائهِ. الإمام الخميني لـم تكن عنده هذه التفاصيـل. فهي كانت تؤخذ منه باعتبار أن الإمام الخميني كان يُرجَعُ إليه.

۞ هذا الموقف السلبي منـه الذي اتخـذه خصوم منتظري، هـل كان سببه حرصهم على الثورة أم طموحات شخصية؟

- في الصادر عنهم ومنه يُفهَم أن ما قاموا به هو حماية للثورة، لأن الرجل فـي مواقفـه الانفعالية كمـا يعتبرونها، وفي عدم عمقه في المسألـة السياسية في ما يُحيـط بإيـران من الأخطـار الداخلية والخارجيـة، كان يدفعهم إلـى الاعتقاد أن إعطاءَه الصلاحيات الكبرى ربما يدفع الكثيرين من الناس إلى الاصطياد في الماء العكـر، وذلك يُهدِّد الثـورة. لكن من الطبيعي أن مثل هـذه الأمور قابلة للجدل. فحيـن يتخّذ الحكم موقفاً ضد شخصٍ لـه امتداد في الواقع الشعبي تحت تأثير نظرة معيّنـة تتصل بسلامة الدولة، يفسِّرُ فريقٌ وجهات من الطرف الآخر الموقف بغير هذه الطريقة. وعلى كُلٍّ، فأنا أعتبرُ، ورغم نظرتي، أنّهُ ليس الشخصية الصالحة

لأن تقـود الحكم، رغم أن الطريقة التي عومِلَ بها تبتعِدُ عن الموازين الإسلاميّة. وحصل ذلك بعد الإمام الخميني.

۞ لكن لو كانت آراؤه بهـذه الخطورة فقد كان من الممكـن أن يسجنوه أو يعدموه؟

- لا، الرجـل كان أكبـر من أن يُسجَـن أو أن يُعدَم. فهـو، بحسب الموقع الدينـي، فـي مستوى المراجـع الكبار وجُعِلَ خليفـة للإمام الخمينـي لأنه في هذا المستـوى. والأمـور التي أخِذت عليه لم تتضمّن مـا يشير إلى أن الرجل لا يمتلك المؤهّـلات العلميـة والدينيـة لهذا المنصب. بـل تضمنت بعض القضايـا التفصيلية المتعلّقة بالجانب الإداري في شخصيتِهِ. ولذلك كانت السُلطة في مأزق، خصوصاً أن رجالاً من السُلطة داخلها وخارجها كانوا مقلّدين له وتابعين له. حتّى إن نظرة السيّـد خاتمي وفريقه إليه كانت إيجابية جدّاً، وقد طالبَ كما طالب الكثيرون برفع الإقامـة الجبرّيـة عنه، وبإعطائه الحريـة. فالرجل يمتلك امتـداداً حتى في جانب الثورة والحكم وهو امتداد تقييمي.

۞ هل يمكن اعتبار تيار الشيخ منتظري حامياً للرئيس خاتمي؟

- فـي تصـوّري، إن السيّـد خاتمي يمتلك استقـلالا نتيجة ما يمثّلـهُ من أمل للجيـل الشابّ ولمختلف التيارات من خلال شعاراته في الحريات بقطع النظر عن التقائها بفكره التفصيلي. يعني نستطيع القول إنّ كُلّ هذا الجيل الشابّ بما فيه الجيل العلمانـي (جيـل الجامعات) كان يلتقي عند السيّد خاتمي مـع أنّهُ قد لا يؤمِنُ بالخط الإسلامي الذي يؤمِنُ به السيّد خاتمي، وذلك باعتبار أنه واجهة المعارضة، حتى وهو في الحكم وقادر على التغيير. فالكثير من التيارات غير الإسلاميّة التي أيدّت السيّـد خاتمـي كانت تفكـر أن تستعين به لإضعاف الجانـب المحافظ حتى يخلو لها الجـوّ معـه فتضعفه بعد ذلك. لكنّ السيّد خاتمي رجـلٌ يمتلك حنكةً سياسية والتزاماً بالخـط الإسلامـي. فهو من رجال الثورة الذين تربّوا علـى فكر الإمام الخميني، ولذلك انفتح على هذه الفئات وترك لها تأييد موقعه، لكنّه لم يخضع لها، بل حاول أن يتـوازن معهـا تماما كمـا كان الإمام الخميني يتصرف عندمـا انطلق كمرجعية إسلاميـة فقهيـة ليس عنده شيء غير الإسلام، فالتفـت كُلّ التيارات حوله في أثناء الثـورة ولـم يُعارضها. فقد تركها تُؤيّد الثورة ولم يفتـح أي معركة معها حتى إذا نجحـت الثورة وجّهها في الخط الإسلامي، وانحسر الآخرون بفعل القوى الشعبية

والامتداد الشعبي الكبير الذي كان يمتلكه.

إننـــي أقول إن شعبية خاتمي لم تكن ناشئـــة من شعبية الشيخ منتظري. نعم، ويمكن أن تكون شعبية الشيخ منتظري التزمت السيّد خاتمي لأن شعاراته تلتقي مع شعارات شيخها كما إنه يُمثِّل، كما قلنا، رمز المعارضة للمحافظين الذين هم ضدّه.

۞ هل تعتبـــر أن الشيخ منتظري انتهـــى كمرجعية؟ وهل مـــن تلميذ له داخل إيران وفي العالم الشيعي؟

- إن كلمـــة انتهـــى قد تبقى قلقة لأننا لا نعرِفُ مـــاذا يخبِّئُ المستقبل. لكن من الصعـــب جـــدّاً أن نجد في إيران شخصيـــة في مستواه تستطيـــع أن تقوم مقامه من خلال المواصفات التي تهيّئُها كمرجعية. من الممكن أن هناك مراجع يمتلكون نوعاً من الانفتاح على العصر والثقافة، وربما أكثر من الشيخ منتظري من الجانب الفني للانفتاح على العصر، لكنّهم لا يمتلكون عناصر شخصيته.

إن قضيـــة حجـــم الشخصية لا تخضع للمواصفـــات الذاتية، بل للظروف التي تعطي الشخصية ضخامة من خلال حركية تاريخه في كُلّ حركته.

۞ بدا فـــي مرحلة مـــن المراحـــل أن هنـــاك رهاناً عربيـــاً، على آيـــة الله شريعتمداري بسبب اعتداله. فهل عرفت هـــذه الشخصية؟ وما هي قصتها إذا كانت لها قصة؟

- شريعتمـــداري شخصية من الشخصيات المنفتحـــة بين رفاقه من المراجع. كان يعمـــل علـــى تحديـــث الحوزة من الآفـــاق الموجودة آنـــذاك، وكان يطلّ على الجانـــب السياســـي. لكـــنّ الأفق الذي كان يعيش فيه كان محـــدوداً، فلم يكن يمتلك شجاعـــة الإمـــام الخمينـــي وصلابته، وتحدّيه للأخطـــار، خصوصـــاً تحدّيه للشاه، وتحريكـــه الشعـــب ودفعـــه للمواجهة حتى مـــع سقـــوط الضحايا. بينمـــا كان السيّد شريعتمـــداري معارضـــاً متحفّظاً للشاه، وكان يحاول إيجاد علاقات من أجل قضاء حوائـــج النـــاس أو من أجل إيجاد نوع من التوازن فـــي المسألة. وعندما انتصرت الثـــورة وانفتح الإمام عليه وعلى الشخصية الثانيـــة وهي السيّد الكلبيكَاني نُسِبَ إلى السيّد شريعتمداري أنه كان يريدُ أن تكون أمور الإيرانيين الأتراك الأذربيجانيين فـــي عهدتـــه، وأن يتقاسم الإمـــام الخميني غيرهم. طبعاً لم يوافـــق الإمام الخميني علـــى ذلك. ومن هنا، كان هنـــاك أشخاص يحيطون بشريعتمداري، ابنه وغيره، ويعارضـــون الإمام الخميني. ولهذا تطـــوّرت الأمور إلى أن أصبح شريعتمداري

واقعاً تحت الإقامة الجبرية أو ما يشابهها. ومن الطبيعي أن الجوّ الثوري الذي استطاع الإمام الخميني أن يُحرِّكه في إيران لم يشجّع شريعتمداري على أن يأخذ موقعه كمرجع وكمؤثّر وكعنصر فبدا كأنّهُ معرقل لحركة الثورة.

۞ هل أثَّر عدم كون شريعتمداري فارسياً في هذه القضية؟

- لا، لم تكن المسألة على هذا النحو، إذ كان هو مرجعاً لدى الفرس والأتراك. لكنّها لم تكن في مستوى حاجة الإيرانيين آنذاك إلى الثورة على الشّاه. كانت مسألة الثورة على الشاه حاجة إيرانية عامة يتقاسمها المتديّنون والعلمانيون. شريعتمداري كان إصلاحياً في الجانب الثقافي، وكان تسووياً، بينما الإمام الخميني كان ثائراً.

۞ يعني سماحة السيّد، شريعتمداري كان يمكن أن يعيش في نظام الشاه، وفي نظام الإمام الخميني... ومن الممكن أنّهُ كان يفضّل أن يعيش في غير نظام الإمام الخميني.

- ممكن، نعم، وربما كان لا يوافق على أسلوب الإمام الخميني، أو أنّهُ ربما كان لا يحمل الثقة بالإمام كما يحملها الناس الآخرون.

۞ مولانا، ماذا عن شخصية السيّد كلبيكاني التي ذكرتها؟

- السيّد الكلبيكاني كان شخصية روحانية، يمتلك الثقة الروحيّة بالإضافة إلى فقاهته باعتباره أستاذاً للحوزة ومرجعاً من مراجعها. وهو لم يُحاول أن يتدخّل في السياسة مما لا يُؤمِنُ به. ولهذا كانت العلاقة بينه وبين الإمام الخميني متوازنة.

۞ في تلك الفترة مَن كانت المرجعيّات المهمة عند الشيعة؟

- المرجعية الواسعة كانت مرجعية السيّد أبي القاسم الخوئي وهو في النجف. وقد كان رافضاً لسياسة الشاه وممارساته ضدّ الإمام الخميني. حتى إنهُ عندما أُعلِنَ خبر أن الإمام الخميني يُمكن أن يُعدم بعد اعتقاله، ذهب السيّد الخوئي والسيّد محمود الشهرودي إلى السيّد محسن الحكيم. وكانت له علاقة بأحد كبار العلماء في طهران هو السيّد محمد البهبهاني، الذي كان موضع احترام الشاه والذي كان ينقل رغبات الناس إليه وخصوصا عندما يوسّطونه في القضايا العامة وغيرها. طالب السيّد الخوئي السيّد الحكيم بالتدخل في قضية السيّد الخميني، فطمأنهما أنَّ الإمام الخميني لم ولن يُعدم.

في الوقت نفسه، كان السيّد الحكيم لا يجدُ أملاً في نجاح ثورة الإمام الخميني فــي إيــران. وفي تلــك الفترة، أثــار السيّد الخوئي النجــف ضدّ الشــاه تأييداً للإمام الخمينــي. وقد تطـوَّرت الأمور لاحقاً في اتجاه سلبي عنــد جماعة الإمام الخميني، إن صحّ التعبير، أو عند تياره حيال السيّد الخوئي كونه يُمثِّلُ المرجعية الراكدة التي لا تنفتــح على السياســة. وزاد السلبية استقباله الإمبراطـورة فرح عندما جاءَت من إيران عند اهتزاز العرش آنذاك لتستعين بالمراجع في النجف. استقبلها السيّد الخوئي وتحدّث معها في شكل قاسٍ لم تسمعه من غيره. لكنّ تيار الإمام الخميني كان يأخذ علــى السيّد الخوئي استقبالــه، كيف يستقبلها؟ وكان السيّد الخوئي يُعلِّق على استقبالها بأنّــهُ لم تكن هنــاك أي ظروف تُؤشّر إلى نجاح الثورة، و«كنــتُ أحاولُ أن أوجِدَ حالــة لتــوازن الوضع في إيــران باعتبار أن الظروف كانت تدل علــى بقاء الشاه. وهكــذا بــدأ تيار الإمام الخميني يحاســب مرجعية السيّد الخوئي لعــدم إيمانه بمواقفه ونقده لها من جهة، ولأنه يريد أن يفسح المجال في الساحة لمرجعية السيّد الخميني.

ذلــك أنهــا تمتلــك قداسة عنــد جمهــور الشيعة أكثر مــن مسألــة الولاية التي كانــت جديــدة عليــه أو علــى الذهنيــة الشيعية. ولهــذا انطلقــت الحملة ضدّ السيّد الخوئــي باعتبــاره المرجع الأعلى حتى بعــد ثورة الإمام الخمينــي وجراء قدرته علــى الاستقطاب الواســع داخل إيران. بدأت الحملة علــى السيّد الخوئي في شكل قاسٍ، لكن ذلك لم يزلزل مرجعيتــه. لأن مسألة المرجعية أعمق من أن تزلزلها بعضُ التحديــات والأوضاع السياسيــة. وفي نهاية المطاف، بــدأ الإمام الخميني ينهــى عــن التعرضــ للسيد الخوئــي في طريقــة أو في أخــرى، وتحديــداً عندما استقر الأمر له.

۞ هل كان في كونك وكيلاً للسيّد الخوئي فيه سلبية ما عليك؟

– مــن الطبيعــي جــدّاً أن كوني الوكيل العــام للسيد الخوئي مــن جهة وعدم رجوعــي إلــى الإمام الخمينــي بالتقليد من جهة ثانية مثلاً سلبيــة كبيرة لا يشفَعُ لي فيها تأييدي للثورة. لعلّ هذا الذي كان يُفسِّرُ عدم إفساح البعض المجال لي لزيارة الإمــام الخميني في السنين الأولى للثورة. حاول البعض من رجال الثورة الكبار أن يتحدَّثــوا معــي في هذا الموضــوع، لكنني قلتُ لهم إنّ القضيــة هي قضية تقييم ثقافي فقهي، وليست مسألة سياسية أو مرجعية بالمعنى الذاتي للمرجعية. فأنا إنسان إسلامــي حركي قلبــي مع الإمام الخميني، لكن عندما يكــون للمرجعية على الأقل

فــي تلــك الفترة شروط معيّنة فأنا أرى أن هذه الشروط، وهي ثقافية، متوفّرة في الإمام الخوئي أكثر من الإمام الخميني.

ومن الطبيعي أن ذلك ترك تأثيراً كبيراً، سواء على مستوى القاعدة أو على مستوى القيادة.

✪ كيف تقيِّم شخصية الشيخ رفسنجاني الذي كان رئيساً للجمهورية الإسلاميّة في إيران على مدى ولايتين لدورتين والذي لا يزالُ له دوره فاعلاً؟

- لعلّ الشيــخ رفسنجاني كان أكثـر الشخصيات تقديـراً واحتراماً لدى الإمام الخمينــي وكان من أكثر الشخصيات تأثيـراً فيه. فالإمام كان يطمئن إلى عقله وإلى بُعد نظره في الأمور وإلى إخلاصه للثورة.

كان الشيخ رفسنجاني يجمعُ في شخصيتِهِ بين الثورية في كل ما يتعلّق بحركة الثورة الإسلاميّة وبين الواقعية. فإذا جلست إلِيه، رأيته يتكلم معك بواقعية الأمور. حتــى عندمــا كان يناقش الشخصيات الإسلاميّة اللبنانية التي كانت تذهب إليه، كان يسألهــا عــن تفاصيل الواقع في لبنان وعن تأثيراته من الناحية السياسية. كان يريدُ أن لا تمنَعَ الذهنية الثورية في هذا البلد أو ذاك مراقبة الأوضاع السياسية الواقعية ومراعاتها. ولعل واقعيته هي التي حفظت الكثير من توازن الثورة في حياة الإمام الخميني وبعدها.

✪ لعل واقعيته هي التي جعلت الغرب، خصوصاً الأميركيين، يُراهنون على ترتيب ما للعلاقة مع إيران في أيامه؟

- كان الرجــل عقلانيــاً، وموضوعيــاً فــي ذهنيتِهِ السياسية وفــي نظرته إلى الواقــع. حتّــى إنني أذكـرُ، عندما ذهبت إلــى الجزائر لحضــور مؤتمر إسلامي، أنني التقيتُ الشاذلي بن جديد رئيسها وأحمد طالب الإبراهيمي وبعض الشخصيات الكبرى، فقلتُ لهم راقبوا الشيخ رفسنجاني في إيران.

✪ هل جرت معه، في رأيــك، محاولات لترتيب الأوضاع مــع الغرب؟ وإذا جرت فلماذا فشلت؟

- في تصوّري أن الظروف في إيران لم تكن ملائمة لأي تطوُّر سياسي بما يتصل بالعلاقات مع أميركا. وربما كان ذلك من خلال أن رجال الثورة الإسلاميّة كانوا يريدون استكمال تجربة إنشاء دولة بعيداً من أميركا ليثبتوا أنهم قادرون على

إنشاء دولة. هذا ما سمعتُهُ من بعض رجال الثورة الكبار. وربما كانت المسألة هي أن أميركا لا تريد استعادة العلاقات مع إيران إلا بطريقتها الخاصة التي تضغط فيها على الواقع الإيراني. لذلك أعتقدُ أن مسألة العلاقة مع أميركا هي مسألة لا تزال في جانبها السلبي خطأً استراتيجيّاً للجمهورية الإسلاميّة، بالرغم من المصاعب والمشاكل التي تُثيرها هذه الاستراتيجية. كان هناك إصرار كبير على أن تكون عودة العلاقات مع إيران منطلقة من قبول أميركا للشروط الإيرانية.

۞ في تلك الفترة، مولانا، هل يمكن القول إن داخل النظام خطّين؟ وهل يمكن اعتبار «إيران - غيت» التي حصلت مؤشراً على ذلك؟

- هناك فرق. فإيران - غيت ربما أُعطيت حجماً أكبر من واقعها لأن المرحلة كانت مرحلة الحرب وكانت إيران فيها في حاجة إلى السلاح من أي مكان كان. ذلك أن النظام العراقي فرَض ومعه القوى الدولية الحرب على إيران في وقت لم تكن الثورة فيها مستعدة لأي حرب لأن الجيش كان قد تبعثر، ولأن الأسلحة لم تكن موجودة على النحو المطلوب، ولأن رجال الثورة لم يكونوا مدرّبين أي جمهور الثورة.. لهذا كانت إيران تشتري السلاح من السوق السوداء بأسعار باهظة. ومن هنا، كانت قضية إيران - غيت التي لا يعتبرها رجال الثورة، الذين دخلوا فيها ولا سيما الشيخ رفسنجاني لأنه كان واجهة المسألة آنذاك، تغييراً في السياسة الإيرانية. بل كانت استفادة من هذا الإقبال الأميركي لتسهيل بعض أمور السلاح أكثر ممّا كانت المسألة سياسية. ولهذا نجد أن إيران - غيت تأثرت بها أميركا أكثر من إيران، ولم تنعكس على الواقع الإيراني الداخلي.

۞ لماذا لم تنجح وقتها، مولانا؟

- لأن الوضع والمرحلة في ذلك الوقت لم يكونا جاهزين لأي علاقة مع أميركا وفق الشروط الأميركية.

ومن الطبيعي أن وجود الإمام الخميني يُمثِّلُ مسألة حاسمة في أي قرار بما يتصل بأميركا، وقراره كان واضحاً في هذه المسألة. فهو كان يحملُ وعياً لموقع أميركا في السياسة ضدّ الشعوب.. ولذلك فالمسألة، بالنسبة إليه، كانت استراتيجية.

۞ يعني واقعية الضرورات تبيح المحظورات لم تنجح في هذا الموضوع؟

- لا، لأن الضرورات بحسب مرحلة الضرورة، ولا تمتد إلى أبعد من ذلك.

✿ قيل سنة 1980 بعد سنة من اندلاع الثورة الإسلاميّة وبعد نشوب الحرب بين العراق وإيران أن الأخيرة اشترت أسلحة إسرائيلية؟

– ليست لديّ إطلاعات تفصيلية دقيقة. لكنني أتصور أن إيران كانت تشتري من السوق السوداء. وربما كان بعض تجار السلاح اليهود يبيعُ إيران، أو التجار الإيرانيين السلاح. فالمسألة أن إيران كانت تشعر باختناق عسكري من ناحية السلاح.

✿ ماذا عن الاتهام الأميركي - العربي لإيران في تلك الفترة بأنها وراء الإرهاب وخطف الرهائن؟ وهل تم ذلك بوحي من النظام أو من المصالح الأميركية؟

– إيران في ذلك الوقت كانت لا تعترفُ بأنها المسؤولة عن ذلك كُلّه. ومن الممكن أنها كانت تستفيدُ منه، ولكن ليس من الضروري أن تكون وراءه. فهذه المسائل كانت تماما كالمسائل التي تحدثُ بين اللبنانيين. كان الخطف هو الأسلوب المتَّبع في لبنان لعملية تبادلية أو لعملية ابتزازية أو لعملية سياسية. ولهذا، لم تكن مفردات الخطف خاضعة لخطّة مرسومة يتلقى فيها الخاطفون التعليمات بأن اخطفوا فلاناً أو فلاناً. بل كانت المسألة منطلقة من طبيعة المناخات السياسية والأمنية الموجودة في لبنان التي كانت تدفَعُ لخطف هذا أو ذاك. حتى إننا رأينا أن بعض الأشخاص خطفوا ممّن لا علاقة لهم بالموضوع كالكوري. ممّا يدل على أن المسألة كانت لا تخلو من العشوائية أو من طبيعة الأمور التي تستمد عناصرها من بعض الخصوصيات اللبنانية أو من بعض المناخات النفسية المتصلة بالجوّ السياسي العام في المنطقة.

✿ مولانا، في تلك الفترة، لا سيما في فترة الحرب العراقية - الإيرانية، هل كنت تشعر من خلال التواصل مع الشخصيات الإيرانية الدينية أن الثورة إسلامية ولكن، في الوقت نفسه فيها شيء فارسي، وخصوصاً أن الموقف العربي شبه الإجمالي كان داعماً للعراق ضد إيران؟

– عندما كان الإمام الخميني لم يكن هناك أي شيء فارسيّ في الثورة. ولكن من الطبيعي، عندما تتحرّك ثورة إسلامية في منطقة ومع جماهير، أن تستفيد من الخصوصيات الموجودة لدى الشعب لتأجيج بعض المواقف. يعني أنني أتصوّرُ أن بعض الشعارات الوطنية التي أُطلقت بعد قبول الإمام الخميني بالقرار 598 كانت

شعارات وطنية للدفاع عن إيران. ومن الطبيعي أنّهُ من الصعب جدّاً أن تعزلَ العنصر الوطني أو القومي عزلاً كُلّياً عندما تلتزم خطّاً إيديولوجيا أو عقائدياً أو غير ذلك.

۞ لقد كان الإمام الخميني كُلّ الثورة باعتبار أنّهُ كان الشخصية التي فرضت نفسها على الجميع. فإلى أي مدى لعبت شخصيته دوراً في عدم الانفتاح على الغرب؟

- لكن، كان هناك أشخاص يثقُ بهم الإمام الخميني وفي مقدّمهم الشيخ رفسنجاني. وهو كان يتعاون مع الجميع، ولكن في القضايا الاستراتيجية لم يكن يُقدِّم تنازلات...

۞ هل كان لتحالف سوريا مع إيران في مرحلة الحرب مع العراق دور معين في جعل الصراع الذي كان حاصلاً بين دولتين أو بين نظامين؟

- في ذلك الوقت، كانت الشعارات كُلّها هي صراع الإسلام ضِدّ الكفر، لأنهم كانوا يعتبرون أن البعث هو نظام كفر. فالجوّ الجماهيري كان متحركاً في هذا الاتجاه. وكانت المسألة في الواقع العربي مسألة فرس وعرب على الأقل لدى القوميين. أما في إيران فلم تكن كذلك.

۞ بالنسبة إلى العرب الإيرانيين، كيف كانت هذه الفكرة؟

- علينا أن نعرفُ أن العربَ الإيرانيين كانوا معقَّدين من صدّام، لأنه اجتاح الشخصيات الإسلاميّة الشيعية الكبرى، فخلق بذلك جرحاً في نفوس كلّ الشيعة بمن فيهم الشيعة العرب الإيرانيين...

۞ لماذا يثق النظام الإسلامي في إيران أكثر برجال الدين؟ ولماذا تقلّ ثقته بالعلمانيين الإسلاميّين؟

- ربما بدأت الصورة تتبدل. إذ نجِدُ ثقة بالسيّد حسين الموسوي رئيس الوزراء الأسبق، وبالدكتور ولايتي وعطا الله المهاجراني... كانت الفكرة عند الإمام الخميني عزل كُلّ رجال الدين عن السياسة والتدخّل في الدولة. لكنّ التجربة التي عاشها مع بني صدر جعلته يتيّقن أن أولئك يمتلكون خلفيات غير إسلامية، ويمكن أن يُعرِّضوا النظام إلى الخطر. هناك شخصية محترمة دينياً هي مهدي بازركان حاول أن يعتبر الثورة الإسلاميّة باكستان، لذا بدأ ينفتح على

أميركا وغيرها. لكنّه لم يكن يعيش الذهنية الثورية للإمام الخميني، ولذا أُبعِدَ عن الحكـم. كانت خطوة الاستعانة ببارزكان جديـة، وأعتقِدُ أن الظروف التي مرّت على الإمام هي التي جعلته يُغيِّرُ هذا الأسلوب في اختيار المسؤولين...

الجلسة السابعة

۞ حرب المخيمات بين «أمل» والفلسطينيين كيف بدأت؟ لماذا؟ من المسؤول؟ وما كان دورك وقتها؟

- في تصوّري أنّ حرب المخيمات كانت جزءاً من الحرب اللبنانية التي تنطلق من بعض الخلفيات العربية، باعتبار أن حركة الفلسطينيين في لبنان كانت متعدّدة الخطوط، متنوعة الأبعاد، جرّاء دخولها حركة الصراع العربي - العربي، ومسألة الصراع الغربي - السوفياتي. ودفع ذلك أكثر من جهة إلى محاولة خلق المناخ الملائِم لإدخال المخيمات الحرب اللبنانية من خلال التعقيدات والتجاوزات التي كان يقوم بها الفلسطينيون، ومن خلال ما كان يُثار من المسألة الفلسطينية - الشيعية بسبب العناوين التي كانت تُطلق من مسألة التوطين والخطة الفلسطينية للتمدُّد جنوباً. كل ذلك كان يُحرِّكُ الكثير من السيناريوهات في هذا المجال، بالإضافة إلى بعض التجاوزات في منطقة المخيمات التي يحيطُ بها أكثر من وسطٍ شيعيّ.

أعتقدُ أن كُلّ هذه العناصر تجمّعت، والقشّة التي قصمت ظهر البعير كانت التجاوزات الحاصلة بين الشيعة الممثَّلين آنذاك سياسيّاً بحركة «أمل» والمخيمات بتنوعاتها السياسية. طبعاً لم تكن هذه المسألة هي التي أطلقت حرب المخيمات، لكنّها كانت في نهاية حركة الاحتقان السياسي العربي والدولي بالإضافة إلى بعض الخطوط اللبنانية التي تُطِلُّ على الفريق اللبناني الآخر، كان عنوانُهُ الكبير مواجهة الفلسطينيين تحت أكثر من شعار.

أعتقد أن أكثر من جهة دخلت على الخط، وكانت الواجهة «أمل». وربما شارك بعض عناصر الجيش اللبناني في هذه الحرب، لأننا نعرِفُ أنّه كان قد

قُسَّم، وكان مشحوناً ضِدّ الفلسطينيين بحسب السياسة المرسومة لقيادتِهِ آنذاك.

لقد كان يُراد للمسألة اللبنانية أن تصنعَ للعالم العربي حساسيّة جديدة في المسألة السنيّة - الشيعية، باعتبار أن الفلسطينيين من السنّة، وأن السنّة كانوا مُستَنْفَرين في كُلّ العالم العربي مع الفلسطينيين في الدائرة اللبنانية بقطع النظر عن المسألة السياسية العربية أو الدوليّة. وساعد في ذلك الإعلام الفلسطيني الذي كان يمتلك امتدادا في العالم العربي بسبب توزُّع منظماته على كُلّ الدول العربية أو أكثرها. كما ساعد فيه الإعلام العربي وغياب الإعلام اللبناني، هذا إذا كان هناك شيء موضوعيٌّ فيه، وعدم وجود أيّ إعلام شيعي.

لهذا كانت المسألة السنيّة - الشيعية أساسية في حرب المخيمات لدى الذين خطّطوا لها لتثقيف العالم العربي والإسلامي، ولإنتاج الحساسيات المذهبية. ذلك أن من بين أهداف الحرب اللبنانية كان إيجاد حالة دينية في العالم العربي تُعقِّد المسيحيين من المسلمين، وهذا ما لاحظنا انعكاسَهُ في الأخبار، وتعقِّد السنّة من الشيعة، وتوقع الفلسطينيين في الخطر الكبير والفريق الشيعي في هذا الخطأ. لهذا أعتقد أن «أمل» كانت ضحيّة، ولم تكن الجهة الفاعلة الأصلية في هذا المجال، بل كانت تفصيلاً من الصراع العربي - العربي على الموضوع الفلسطيني.

وقد نحتاج إلى وقتٍ طويل كي نتحدّث عن بعض الأسماء في ذلك.

وفي تصوّري أن الصورة الشيعية لم تكن بارزةً عدا حركة السيّد موسى الصدر، وبعض عمليات المقاومة المحدودة آنذاك.

ولهذا رأينا أن الحرب اللبنانية جيّشت المشاعر الشيعية ضد الفلسطينيين كجزء من عزل الفلسطينيين عن المحيط الطبيعي الذي كانوا يوجدون فيه وهو الجنوب. لذلك كانت القضية تنفيساً لهذه المسألة.

۞ حركة «أمل» محسوبة على السوريين، الذين كانت علاقتهم مع الفلسطينيين كرّاً وفرّاً... فمن جهة هناك قصة العلاقة السورية - الفلسطينية، ومن جهة أخرى هناك قصة إنتاج الحساسية المذهبية السنيّة - الشيعية.

- ربما كان السوريُّون آنذاك يشعرون بخطورة التحرك الفلسطيني في لبنان الذي خطّط أصحابُه مع «الحركة الوطنية» لمواجهة السوريين. ولهذا ربما شعرت سوريا بالخطر من التمدُّد الفلسطيني الذي ربما يلتقي مع كل الجهات العربية العاملة

علـى تحجيـم دور سوريّا العربي وعلى عزلهـا عن المسألـة اللبنانية. ودفع ذلك المناخ السياسي إلى الانفتاح على الحساسيات التي أنتجت حرب المخيمات.

۞ مولانا، هذه الحرب لم يكن فيها غالب ولا مغلوب.

– لا أعتقـد أن هنـاك أيّ خطّـة في الحـرب اللبنانية أن يكـون هناك غالب ومغلـوب. كانـت المسألـة أن يبقـى الجـوّ اللبنانـي يتبـادل الهزائِـم والمجـازر والحساسيـات. وكان المطلـوب تغذيـة الحساسيـات. فلـو تغلّـب المسلمون على المسيحييـن، وهذا هـو المصطلح الذي استُعمِل في الحـرب اللبنانية، وكنّا لا نعتقدُ بواقعيّته بالنسبة إلى كُلّ المسلمين وكُلّ المسيحيين، لقيل إن المسلمين يريدون أساسا إخراجهـم من لبنان. كان المطلـوب أن يعيش المسيحيون الإحساس بأن المسلمين يريـدون إخراجهم منه، وتحويله جمهوريـة إسلامية أو عربية وغير ذلك. وكان المسلمـون يشعرون بأن المسيحييـن ينسِّقون مع إسرائيل والغرب لإسقاط الحركة الوطنية والقومية وما إلى ذلك. وكان المطلوب أيضاً إثارة هذه الحساسية الدينية، كأن يُقتل خوري مثلاً أو يُساء إلى كنيسة لتجييش المشاعر الطائفية في هذا المجال، ولدفع المسيحيين إلى الهجرة كما المسلمين. وهذا ما حصل في النبعة وبرج حمود وبعض المناطق. كان المطلوب أن يشعر السنّـة بأن الشيعة يريدون قتلهم كجزء مـن التاريـخ الشيعـي الثائِر على خلفـاء السنّة، وكان يُـراد للشيعـة أن يتحسّسوا مـن السنّة الذيـن كان الفلسطينيون يمثِّلون واجهتهم العسكريـة، وأن يعتقدوا أنهم يريـدون طرد الشيعة من الجنوب ولبنـان والتمدّد على حسابهم والسيطرة عليهم. لهـذا السبـب كانت قضية السُنـة والشيعة تُثار في الصحـف العربية، وربما بعض صحـف دول إسلاميـة أخرى، وتُثار مسألـة تكفير الشيعة وما إلـى ذلك من قبل السلفِّييـن هنا وهناك... من الطبيعي أن هـذه المسائل استطاعت أن تشحنَ الشيعة شحنـاً فوق العادة ضِدّ السنّة والفلسطينيين لولا بعض الأصوات النقيّة الصافية التي كانت تستشعر الخطرَ في ذلك، وهكذا بالنسبة إلى السنّة.

۞ ما كان موقف الإسلام الحركي الذي أطلقته سماحتك من هذه الحرب؟

– رفض الحرب كان الموقف وبكُلّ قوة لأننا كُنّا نشعر ببعض أجزاء الخطة التـي كُنّا نعتبرها ضِدّ القضية الفلسطينيـة والمسلمين عموماً. ولهذا وقفنا موقفاً قوياً ضِدّهـا. وقـد عانيتُ الكثير من هذا الموقف لأنني كنتُ الصوت شبه الوحيد، الذي كان يتحـدث علـى نحو حاسم في هذا المجال. حتّـى إنه بعدما ذُكِرَ أمامي أن أبناء

مخيـم الرشيديــة كانوا يأكلون القطط في أثناء حصاره وما شابه ذلك، سُئلتُ: «هل يجـوز ذلك»؟ فقلت: «إنه مـع الاضطرار الشديد يجـوز»... وقد حاول البعض السخرية من ذلك، وأذكُرُ أن مجلّة «الشراع» تاجرت به، وتحدّثت في شكل سلبي عنه.

أستطيع أن أقول أن موقفي في الحرب اللبنانية لم يكن موقف شخصٍ يحتاط لنفسه في أي موقف من المواقف... إذ ربما يخطّئ الإنسان في بعض المواقف. وفي تصوّر بعض الأوضاع نتيجة الأجواء السياسية المعقّدة والمتشابكة بين المحلي والإقليمــي والدولي. لكنني أستطيــعُ التأكيد أنني لم أجامل أحداً في أي من مواقفي وتحمّلــتُ الكثيــر في هذا المجــال... لقد ذكــرت سابقاً أنه لا علاقــة لي بعرفات ولا بنسبــة واحد فــي المئة... ولم تحدث أية علاقة معه لأنّــهُ كانت عندي آنذاك عقــدة من مثل هذه العلاقة... ربما التقيــت عادياً ببعض الفلسطينيين من منظمات أخرى. وأخيراً، كانت لي لقاءات ببعض المسؤولين في «السلطة» وكانوا ينقلون إلــيّ تحيّات عرفات وبعض تفسيراتِهِ للقضايــا، لكن لم يحدث أنني التقيتُ عرفات لقاءً ولو عادياً...

۞ هل كان «حزب الله» بارزاً كما هو؟

- لم يكن «حزب الله بارزاً بالعنوان الكبير، بل كان يُمثّل تجمُّعاً إسلاميّاً لا عنوان له.

۞ ولكن هذا التجمُّع كان من رأيك بالنسبة إلى حرب المخيمات؟

- نعم، هذا صحيح.

۞ هل من دور مباشر أو غير مباشر للفلسطينيين في نشأة «حزب الله»؟

- ليــس هنــاك أي دور فــي ذلــك ولو بنسبــة واحد في المئــة. مثّل «حزب اللــه» في بداياته هذه المساحــة من الشباب الإسلامي الشيعي الذي عاش بعضُهُ في أحضــان حركة «أمــل» تحت مظلة موسى الصدر، وعاش الــروح الإسلاميّة في الشكل العام، وعاش في دائِرة تنظيم «حزب الدعوة» مع بعض التطلعات الشيعية التــي كانت تنفتح على إيران باعتبارها الدولة الشيعية الوحيدة، مع ما أخذه الإمام الخميني من هذا المدّ الشعوري الذي جعل المسلمين ولا سيما الشيعة منهم يشعرون بالفخــر والاعتزاز بالانتماء إليــه وإلى حركته. حتّى كادت تلك المرحلة أن تذهبَ

بـكل المنظمات الموجودة داخل الشيعة سواء «حركة أمل» أو «حزب الدعوة» أو مـا إلـى ذلك. إذ استطاع الإمام الخميني تحويل الساحة إلى تيّار بعد أن كانت من السواقي المتجمّعة هنا وهناك. ولولا إن حركة «أمل» وقفت ضِدّ شعارات الثورة الإسلاميّة بقدر ما يتعلّق الأمر بلبنان أو العالم العربي، لاستطاعت الثورة اجتياح «حركـة أمـل» تماماً. لكنّ هذا التحفظ لبعض مفـردات الثورة الإسلاميّة هو الذي أبقـى «حركة أمـل» في دائرة التماسك. لهذا نستطيـع أن نقول: إن «حزب الله» عاشـ في هذا المناخ الذي كان يتطلع بقلـق ويتحرَّك ويبحث عن حركة تلتقي مع خطّـوط الثورة الإسلاميّة بقيادة الإمام الخمينـي. ولذلك استفادت خطّوط الثورة الإسلاميّـة في إيران من هذا المنـاخ، واستطاعت أن تُشرِفُ عليه، ولم تكن لأي جهة عربية أو فلسطينية بالذات علاقة بولادة «حزب الله».

۞ الشيعة كانـوا وقـود الأحزاب فـي «الحركـة الوطنيـة»... حين كان الفلسطينيون يقودون العمليات العسكريـة. كانت هناك كادرات مع الثورة الفلسطينية فصارت مع «حزب الله»... ما أريـدُ أن أسأله هو: هل إن «حزب الله» ألغـى إمكانية أي استعمـال فلسطيني للشيعـة، وهل بقيت الروح الرفاقية القديمة معهم؟

– من الطبيعي أن العلاقات بقيت لدى بعض العناصر التي ترّبت في أحضان «حركـة فتـح» بالذات. ولا أظـنُّ أن هناك أي جهة من الشبـاب كانت تنتمي إلى حركـة أخـرى، باعتبار الجوانب الإيديولوجية المنافسـة للإسلام التي كانت تطبع أغلب الحركات والأحزاب التي كانت قومية. كان هناك عداءٌ بين القومية العربية والحـركات الإسلاميّة. كان هـؤلاء العناصر يستفيدون مـن «حركة فتح» ببعض الأسلحـة، لأنهـا كانت تحاول أن تبقى على علاقة جيـدة بالتيّار الإسلامي الشيعي المرتبط بالثورة الإسلاميّة الإيرانية وتيارها الداعم للثورة الفلسطينية ولها بالذات، وخصوصا عندما استقبل الإمام الخميني ياسر عرفات بكل محبّة وإعزاز وتقدير.

كانت الحركة الفلسطينية تحاول الإفادة من ذلك، وتحاول تقوية هذه الجهة، باعتبـار أن تطلعاتهـا لم تكن ضـد الفلسطينييـن. لكنّها لم تستطـع دخول «حزب اللـه» لتؤثر فيه، أي في الخطوط السياسية التي يختلف فيها «حزب الله» والثورة الإسلاميّـة الإيرانيـة مـع الفلسطينيين أو مـع «حركة فتح». فالعنـوان العام كان موضـع وفـاق، لكنّ الخطـوط التفصيلية لم تكن كذلك، ولا سيمـا بعد أن تعقّدت

إيران بالفلسطينيين أو بياسر عرفات...

لهذا لا نستطيع أن نقول إن «حركة فتح» استطاعت أن تؤثّر في شكل عميق في «حزب الله» ولو من خلال العناصر التي تدرّبت وكانت جزءاً منها.

✿ عن أي حرب تحدّثْتَ سماحتك حين قلت إنك صمت وبقيت في الضاحية في الوقت الذي أريد تفريغ الضاحية من سكانها؟

- كنتُ أتحدّث عن بداية حرب «أمل» و«حزب الله» في الضاحية. إن التعقيدات التي عاشت في الجوّ الشيعي مع بعض الخلفيات العربية واللبنانية حاولت إضعاف الساحة الشيعية لأن هناك فريقاً ثلاثياً على المستوى العربي أو المحلّي كان يعتبر أن حركة «حزب الله» في الصراع الشيعي ومشكلته في آن، هي محاولته التمدّد في الساحة الشيعية، وذلك كنتيجة الخط الإيراني، الأمر الذي يعني تمدُّد إيران في لبنان. في تلك المرحلة، كانت خطوط الثورة الإسلاميّة متنوعة ومتعددة حيث كنت تشعرُ بأن إيران التي تتحرّك في لبنان ليست واحدة. إذ كانت هناك خطوط موجودة من وزارة الخارجية ووزارة الإرشاد وغيرهما... فإيران في تلك المرحلة لم تستقر في سياق واحد أمنياً أو سياسيّاً... وهذا ما لاحظناه في ما حدث في تلك المرحلة من تصفيات داخل الثورة الإسلاميّة. لذلك أعتقد أن المسألة كانت تنطلق من مناخ يُرادُ به إضعاف الحركة الإسلاميّة الإيرانية، ولهذا وُلدت حرب الضاحية التي انطلقت من مفردات خُيِّل إلى الجميع أنها محليّة، لكنّها لم تكن كذلك... وقد بقيت في تلك الساحة في الضاحية، وطبيعي أن الجوّ الذي كان يحيط بي كان جوّ «حزب الله»... علماً أنني لم أكن على تباعد مع «أمل». فقد كان الكثيرون منها يأتون إليّ، وحين كانت الحرب مُستعِرة كنتُ أتصل بنبيه بري مباشرة لأحادثه حول الافتراقات وغيرها. وقد قَصَفَ اللواء السادس في الجيش اللبناني بيتي، لمحاولة اغتيال وأسر. وحين انتهت الحرب، كنتُ أدعو الناس إلى العودة والرجوع إلى الضاحية. لكن كان هناك أصوات شيعية وغيرها كثيرة دينية وغير دينية تحاول أن تحشر الضاحية في زاوية، أو أن تحشر فريق «حزب الله»، وهو الفريق الإيراني حسب المصطلح آنذاك، في زاوية. لهذا منعوا الناس من الرجوع إلى الضاحية. وكانت تلك الأجواء والظروف تهيّئ لدخول السوريين إليها. وهكذا كان...

لقد حاول البعض، ومنهم شخصيات دينية، تسجيل نقطة عليّ بالتساؤل عن

سبب بقائي في الضاحية، وبالجوّاب أن بقائي كان لدعم «حزب الله». والواقع أنني صمـدت فـي كُلّ مواقِعي. فالنبعة كنتُ آخر مَن خـرج منها، وبداع صحي، وكان خروجـي قبـل سقوط النبعة بأيام. وسبب بقائي كان ولا يزال أنني أُحبُّ الناس ولا أحبّ أن أخذلهم.

لقد كنت أشعر بأن تركي الناس في حالات الشدّة جريمة. هكذا كانت المسألة فـي الضاحية. فقد بقيت في أثنـاء الاجتياح الإسرائيلي، وكان القصف ينهالُ بشدّة وكنّا نحتمي بما يُشبِهُ الملاجئ غير المحصّنة... لقد عشتُ مع الناس، وكنتُ أذهب إلـى المسجد وفيه عشـرة أشخاص مثلاً. عشنا وضعاً صعباً. وكذلك في 6 شباط، لـم أخرج مـن الضاحية أو غيرها انطلاقـاً من شعوري بأنني أريـدُ أن أكونَ مع النّاس...

۞ هل دخل الإسرائيلي الضاحية كُلّها؟

- لا، مـرَّ مـرور الطريق في الضاحية ولم يستقـرّ. ويوم كنتُ فيها، كانت خاليـة مـن الوجود الإسرائيلـي. فإسرائيل كانت في خلـدة وداخل بيروت، ومرّ جيشها على الطرقات الرئيسة.

۞ دخل السوريـون الضاحية معقل «حـزب الله» وإيران. هـل التفاهم بين سوريا وإيران بعد الدخول أو قبله؟

- فـي تصـوّري أن التفاهم حصل بعده. وأذكر وقتهـا ما قالَهُ غازي كنعان ممّا ذكرتُهُ سابقاً.

۞ ماذا عن حرب «أمل - حزب الله» في الجنوب أيضاً؟

- وقفـتُ ضِدّها، وكنتُ أسعى مع الإيرانيين وغيرهم لإيجاد قاعدة لإيقافها، سـواء حـرب إقليم التفاحِ الأولى أو الثانية التي دخـل فيها أكثر من موقع عربي، حتى بدا كأن هناك حرباً بين إيران وأكثر من موقع عربي.

فـي «حركة 6 شباط»، كنتُ في إيران. أذكُـر وقتها أن العناوين التي أُطلقت فـي الجوّ الحماسي الإسلامي الإيراني، أنهم كانوا يتفاءَلون بأن «حركة 6 شباط»، سوف تحوّل لبنان إلى جمهورية إسلامية. وكان ذلك مدار حديث في إيران. أذكر أنني كنتُ جالساً في بعض المجالس التي ضمّت شخصيات كبيرة، وحين سُئلت رأيي أجبـت: «أحِـبّ أن أقـول لكم إن لبنان لن يكـون جمهورية إسلاميـة إلا بعد تحوّل

المنطقـة كُلّهـا جمهوريةً إسلاميةً، وفلسطين أيضـاً، وبعد ذلك يمكن أن يصير لبنان جمهورية إسلامية ويمكن أن لا يصير. فهو يُمثّلُ معادلة دولية حديدية لا تسمحُ بهذا النـوع مـن التغيير والانقلاب. والمسألة ليست فقط وجود المسيحيين في لبنان الذي وُضِع ليكون له دورٌ معيّن، وهذا الدور خاضع للعبة الدولية في هذا المجال». هذا مـا قلتُهُ لهم آنذاك... وأذكرُ أننـي كنتُ أتحدّث في ذلك الوقت بأنني لو سُئلتُ: هل تفضّـل أن يكون لبنان جمهورية إسلاميـة أو أن يبقى على صورته الحالية؟ لأجبت ببقائـهِ لأن مصلحـة الإسـلام في بقـاء لبنان بل هـذه الصورة هي أكثر مـن تحوُّلِهِ جمهوريةً إسلاميةً.

۞ هل كان لديكم اطّلاع على أن شيئاً ما سيحصل مثل «حركة 6 شباط»؟

– فـي تلـك المرحلة لم نكـن نشعر بأن التطور سيصل إلـى هذا المجال، بل كان مفاجئاً...

۞ هل كنت ترى أن الاحتقان من أمين الجميّل ومن سياستِهِ، وخصوصاً في ما سُمّي هدم المخالفات في الضاحية، مبرّرًا للتحركات التي حصلت؟

– لا، كنـتُ أعتقِدُ أن سبب الاحتقـان الموجود عند المسلمين والشيعة بالذات هـو شعورهم بأن «الكتائب» بدأت تُصفّي حساباتها وتنفّذُ مشروعها، وكانت فكرة النـاس عنـه أنّهُ يريـدُ تحويل لبنان دولـةً مسيحيةً بالكامل، وأن يكـون المسلمون مواطنيـن من الدرجة الثانية. ولهذا كانـت محاولة تهديم مسجد الرسول الأعظم، وكانـت محاولـة الوقوف ضـدّ التجمّع الذي حـدث في مسجِدنا فـي مسجد الإمام الرضّـا (ع) ضِدّ اتفـاق 17 أيار، وحتى القصف المدمّـر للضاحية بعد ذلك. كان النـاس ينظرون إلى ذلك كله علـى أساس ما كان يُثار من العنصرية أو الانعزالية الكتائبيـة. ومـن الطبيعي أن هذا الواقع النفسي الذي أكّـدهُ الواقع الخارجي، كان يجعل من «حركة 6 شباط» بإمكاناتها واقعية، ولا سيما بعد انقسام الجيش وتحوّله فرقـاً طائفيـة. إذ أصبح لكُلِّ طائفة جيشها، وخصوصاً عندما قام الجيش من خلال سياسة أمين الجميل بقصف الضاحية وتدميرها.

۞ هل كان الإيرانيون يقصدون بحديثهم عـن جمهورية إسلامية في لبنان، جمهورية إسلامية عامّة أم إسلاميّة شيعيّة؟

– لا، كانـوا يقصـدون جمهورية إسلامية في شكل عام. لـم تُطرح المسألة

الشيعية في المداخلات، لأن التيار السياسي الذي كان في إيران هو تيّار الجمهورية الإسلاميّة في العالم، حيثُ كان الشعار «لا شرقيّة ولا غربيّة جمهورية إسلامية». لم تُلْحَظ المسألة الشيعية خصوصاً أن الشيعةَ في تلك المرحلة لم يكونوا يمثّلون قوة قادرة على السيطرة على لبنان...

۞ مولانا، في حرب «أمل - حزب الله» كنتَ صادقاً جداً في مسعاك لوقفها، لكن داخلياً أين كان قلبك؟

- كنتُ أشعرُ في ذلك الوقت، خطّأً أو صواباً، بأن «حزب الله» كان المستهدف. لكنني كنتُ أجِدُ أن الحرب ليست في مصلحة أحد، لا سيما أنها أوقفت المقاومة ضِدّ إسرائيل سنتين، وهذا ما أزعجني كثيراً...

۞ نشأة «حزب الله» هل هي إيرانية؟

- هي نشأة لبنانية استطاعت إيران أن تحرّكها في تيّارها...

۞ كيف كانت النظرة السورية إليكم في تلك الفترة؟

- كنتّ أشعر بأنّ هناك احتراماً سورياً لي بعيداً من هذه التفاصيل. ولهذا كانت لقاءاتي (لقاءان) مع الرئيس الأسد حميمة وكنتُ محلّ احترام وتقدير كبيرين جدّاً، شعرت بهما بمناسبة وبغير مناسبة. كان اللقاءان بدعوةٍ من الرئيس الأسد، ولم أطلبْ لقاءَه يومها...

الجلسة الثامنة

۞ حدّثني، مولانا، عن العلاقة مع سوريا قبل الحرب وبعدها.

- لـم تكن لـديّ أي علاقة عضويـة بسورية كدولة قبل الحـرب والأحداث اللبنانيـة. بل كانت لـي علاقات منذُ 1975 مع بعض المؤمنيـن الشيعة في الشام، وكنـتُ أذهـبُ بين وقـتٍ وآخر لإلقـاء المحاضـرات، ولقاء الشبـاب من الذكور والإنـاث، ولـم يكن لهذه المحاضرات طابعٌ سياسي، بـل طابعٌ فكريٌّ دينيّ. من خـلال ذلك، استطعـتُ أن أثيرَ بعض الانفتاح الفكـري والإسلامي بقدرِ ما كانت تتسع تجربتي الإسلاميّة والثقافية والاجتماعية...

فـي تلك الفترة، واجهتُ موقفاً عنيفاً مضاداً مِنْ بعض علماء الشيعة اللبنانيين الكبـار الذين كانوا يقيمـون في سوريا. وبدأ، في تلك الفتـرة، إطلاق الاتهامات لـي بالانتماء إلى «حزب الدعـوة». ووجِهَتْ حركتي وطروحاتي في شكل عنيف جـدّاً، وخصوصاً بعدما تعاطف معـي ومعها بعض المشايخ من الشيعة الذين كانوا يمتلكـون تأثيراً تربوّياً واجتماعياً في مجـال الخطابة الحسينية، ومنهم الشخصيّتان المرموقتان الشيخ محمد علي صندوق، والشيخ علي الجمّال الذي كان أحد خطّباء المِنبَر الحسيني المميّزين، والذي كان يلقي بعض محاضراته وما رُوي من الأدعية عن الأئمة (ع) في الإذاعة السورية...

كان هناك نوع من الحساسيّة بين العالِمَ الكبير الذي واجهني وبينهما. وهكذا امتـدت هذه الجلسات وصـارت تستقطِبُ المثقّفين، وصار يأتـي إليها بعض السنّة المثقّفيـن أيضـاً. وكانت تعقد في بيت رجل الأعمال صديقنـا صائب النّحاس، كما كانت تمتدُّ إلى بيوت الكثيرين من وجهاء الشيعة هناك...

هـذا هـو النشاط الذي كنتُ أقومُ به بداية هنـاك، ولم يحدُث أن اتصلت بأي

شخصيــة سياسية في سوريا... وحديثي الآن هو عن الشيعة السوريين، ولم تكن لي وقتها صلة مباشرة بالعلويين السوريين إلا من خلال بعض علمائِهم الذين أذكرُ منهـم أحـداً انتقل إلى رحمةِ الله تعالى هو الشيخ عبـد الرحمن دخيّل. وكان يُمثِّلُ فـي كتاباتِـه ودعوتِه الخط الذي يتحدث أن العلويين هم مـن المسلمين الشيعة بكُلِّ عقائدِهـم.. كان العالـم الكبيـر الذي ذكرتُـهُ بداية يتحَّدث عـن العلويين في شكل سلبي، حتّى إنه كان يذكرُ الشيخ عبد الرحمن بالسلبية نفسها.

كنـتُ أتحدّثُ، حين يُثارُ موضـوع العلويين، أن علينا أن نتقّبل من العلويين مـا يقولونـه ويتبنَّونه من أنهم شيعة جعفريُّون ونشجعهم على ذلك، ونحاورهم في مـا هـم فيه. ذلـك أن مشكلتهم أنهم عاشـوا تحت الضغط العثمانــي مئات السنينٍ، واضطـروا إلى العيش في مناطق منعزلة. ولهذا سيطر الكثير من الجهل والتخلّف عليهم مِمّا أدى إلى إرباك العقيدة الشيعية في نفوسهم...

وكنــتُ أفكِّرُ أن علينا الانطلاق إلــى الجيل الجديد من العلويين المنفتحين على الفكر الآخر وعلى هويتهم الإسلاميّة كي نصحّح ما وقع الخطأ فيه، ونقوِّم ما تعرّض للانحراف، لنتحمل مسؤوليتنا في ذلك، حيث لا يجوز لنا اللجوء إلى التكفير...

وأعتقِـدُ أننــي، منذُ ذلك الوقـت، بدأتُ أتصـل بالعلويين وأذهـب إلى بعض مناطقهـم، وألقـي بعضـ المحاضـرات، وأُرسلُ بعضـ تلاميذي للتبليـغ الديني، واستطعـتُ النجاح في ذلـك. ونحن نرى أن العلويين الآن يبنون المساجد ويسمّون هـذه المساجـد بأسماء أئمة أهل البيت (ع)، ويقيمون صـلاة الجماعة. ولقد شاهدتُ مسجـد ناعسـة والدة الرئيس حافظ الأسد الذي بني فـي القرداحة وعليه أسماء النبي (صـ) والأئمة الاثني عشـر (ع)... وبعد وفاة العالِم الكبير الذي واجهني، وكنتُ حينهـا وكيلاً عاماً للمرجع الكبير السيّد الأستاذ أبي القاسم الخوئي الذي أرسل بعض وكلائـهِ إلـى الشـام وأسّس مركـزاً هناك، كنتُ أذهـبُ إلى هذا المركـز بين وقتٍ وآخـر، وألقي بعض المحاضـرات. في تلك المرحلة، بـدأ العراقيون يفدون تحت طائلـة الوضـع السياسي فـي العراق إلى مركـز السيّدة زينب (ع)، وكنـتُ ألتقيهم محاضِراً، ملقياً بعض الندوات، ومصلّياً الجماعة معهم...

كان أول لقـاء رسمـي لي بالرئيـس الأسد بدعوة منه سنـة 1985. أذكر أن وسائِـل الهجـوم ضِدّي كانــت كلامّية، ولم تتـرك تأثيراً إلا لـدى التقليديين حين واجهنــي العالِـم الذي ذكرتُـهُ سابقاً... فالجيـل الشاب، الـذي كان مُحاطاً بكِبار السنّ الذين كانوا يتخذون موقفاً سلبياً من هذا العالِم الكبير، كان يتحرك في نطاق

الشيخين صندوق وجمّال اللذين كانا من تلامذة المرحوم السيّد محسن الأمين. وقد ربّيا هذا الجيل كبير السنّ والشاب على أيديهما، ولم تستطع حملة العالم الكلامية الاتهامية أن تُضعِفَ حركتنا هناك التي كانت مفتوحة. ذلك أنني لم أكن أطرح أي خطّ حزبي في هذا المجال، بل كنتُ أحذِّر الشباب الذين بدأوا يميلون إلى الانتماء الحزبي وإلى «حزب الدعوة» بالذات من الواقعِ السياسي الموجود في سوريا الذي لا يتحمّل من خلال الأجهزة الأمنية خصوصاً أي حزب إسلامي، ولا سيما بعد تجربةِ «الإخوان المسلمين» في سوريا.

❂ كيف كانت نظرة السوريين إلى حركتك بعد تجربة «الإخوان المسلمين»؟

– لم ألحظ أي ضغط مباشر بما يتصل بهذه الندوات. لكنني كنتُ أسمعُ أن رجال المخابرات يحضرون الندوات ويُسجِّلون بعض ما فيها، وكان بعض الشباب يتخوَّف من ذلك. لكن لم يحدث شيء مهم، ربما لأنهم لم يشعروا بوجود حالةٍ توحي بالخطورة، ولا سيما أن الندوات كانت في إطار الوضع الشيعي المحدودِ جداً، الذي ربما كانوا يفكّرون أنه لا يُمثِّلُ امتداداً للواقع الإسلامي الرحب في سوريا... كانت المسألة ثقافية فكرية وكنتُ حذراً من طرح المسألة السياسية، في الوقت الذي كنتُ ومنذُ قدومي من العراق مُسيَّساً بالمعنى الفكري للسياسة على أساس الحركة الإسلاميّة... وكنتُ أحملُ من العراق التعقيدات الفكرية الإسلاميّة ضدّ كُلّ الأحزاب القومية ولا سيما التي اعتمدت الاشتراكية...

❂ متى تمّ التفاهم الفعلي بين سوريا وإيران، لا سيما بعدما شعرت سوريا بالخوف حين انطلق «حزب الله» للعمل بعيداً من السياسة السورية..؟

– الواقع أنه، عندما انطلقت الثورة الإسلاميّة في إيران، كانت هناك حساسية سورية منها، لكن لم يكن هناك موقف حاسمٌ ضدّها. ولعل الأساس في ذلك هو أن الإيرانيين، وبعد انطلاقة الثورة لم يقوموا بعملٍ سياسي كبير يُثيرُ القلق بالنسبة إلى السياسة السورية. وربما كانت المسألة الشيعيةٍ بقدر ما تتعلق بإيران تُمثِّلُ نوعاً من الضمانةِ لعدم الخطورة، لا سيما الخطورة على الوضع السوري، وخصوصاً أن الطروحات الإيرانية لم تكن تصطدم آنذاك بالعناوين الكبيرة في سوريا. فالإيرانيون حين اصطدموا بالنظام العراقي مبكِّراً، كانوا يتحدثون عن «البعث العراقي» وليس عن «البعث» عموماً، وسوريا كانت وقتها في بدايات الصراع مع النظام العراقي. وجعل ذلك الموقف الإيراني المضاد للبعث العراقي

منسجماً إلى حد ما مع المناخ السياسي السوري بقدر ما يتعلّق بالعراق. وقد حاول الإيرانيـون، منـذ البداية، توثيق العلاقة مع سوريـا، الأمر الذي جعل السوريين يأمنـون جانبهـم، ويرون أنهـم بدأوا يلتقون مع خطّهم السياسـي ولا سيما بعد أن فتحـوا في طهران سفارة فلسطين بديلاً للسفارة الإسرائيلية. كما أن إسقاط الثورة الشاه قاعدة أميركا والغرب في إيران وانفتاح السوريين على التحالف مع الاتحاد السوفياتـي الذي لم يكن يرفض الثورة الإسلاميّة من الناحية السياسية وإن رفضها إيديولوجياً وفكريّاً، كما أن كل ذلك سهّل التقاء الخطين السوري والإيراني.

أعتقـدُ أن بدايـة الثـورة لم تكن في أفق يمكن أن يرتب خطّـراً على السياسة السوريـة. بل لاحظنـا أن الإيرانيين القادمين إلى سوريا كانـوا يقومون بأعمالهم ونشاطاتهم الدينية ولا يتدخلون في السياسة السورية...

فلـم يشعـر السوريـون بالقلق مـن أي تحرُكٍ إسلامـي يُحسَبُ علـى إيران خصوصاً أنّهُ يعيش في الجوّ الشيعي...

۞ لكن حصلت صدامات بين السوريين و«حزب الله»؟

– عندمـا بـدأ «حزب اللـه»، لم يبدأ بداية سياسية كقـوة تُثيرُ القلق، بل كان جـزءاً من الفوضى اللبنانية، الأمر الذي جعل حركته محدودة في مواقعه، مُطلِقة الشعـارات ضِـدّ أميـركا والانعزاليـن والنظام العراقـي مما انسجم مـع السياسة السوريـة. لم يكن الحزب في الخط السياسـي ضد الاتحاد السوفياتي، وربما كان في المجال الفكري ضد الشيوعية. لم تكن هناك هوية واضحة لنظام «حزب الله» عند نشوئِهِ، ولم تكن له قيادة واضحة، بل كان يُمثِّلُ حركة سياسية شبه عسكرية، وربما اصطدم في بعض الحوادث بالسوريين ممّا أدى إلى مجزرة فتح الله. لكن الأمـور لُفلفت ولم تجِدْ إيـران و«حزب الله» والسوريـون أي مصلحة في تأزيم الخـلاف. بل كان السوريون يقدمون للأمور تفسيرات معيّنة تفيد أنهم لم يشعروا بخطّورة «حزب الله» على سياستهم في لبنان.

لكـن عندمـا بـدأ «حزب اللـه» يكبُر ويأخـذ من «أمـل» التي تُمثّـلُ القاعدة السياسيـة لسوريـا في لبنان، وعندما بدأ يتعاطف مع الفلسطينيين لا سيما في حرب المخيمـات، عنـد ذاك تحرَّكت السياسة السورية إلى جانب السياسات العربية القلقة مـن تمدُّد النفـوذ السياسي الإيراني إلى لبنان، ومن تدخل إيران في قضية الشرق الأوسط من خلال لبنان، وما إلى ذلك من طروحات. أدى هذا الأمر إلى حربَيْ

«حزب الله – أمل» الأولى والثانية وكانتا تهدفان إلى تحجيم «حزب الله»، ومنعه من الامتداد في الساحة الشيعية بالمستوى الذي يجتاح فيه حركة «أمل»، لا سيما أن الخيمة الإيرانية تعطيه نوعاً من الشرعية الشيعية. لهذا استطاعت الحرب بين «أمل» و«حزب الله» أن تصنع الكثير من التعقيدات في الواقع الشيعي الذي تحوّل إلى حاجز أمام الامتداد السياسي لـ «حزب الله»، وأمام استقطاب الساحة الشيعية، ولا سيما بعد سقوط العديد من الضحايا الشيعة هنا وهناك، واتهام «حزب الله» باغتيال قادة «أمل»... كُلّ ذلك أدَّى إلى منع «حزب الله» من الامتداد وتشويه صورته في الساحة الشيعية...

۞ متى حصل التفاهم الإيراني – السوري الفعلي، وحول ماذا؟

– أعتقِدُ أن الأمور وصلت إلى الطريق المسدود، ولا سيما بعد حرب إقليم التفاح الثانية. كانت سوريا لا تعترِفُ بأنها تقِفُ في مواجهة «حزب الله»، بل كان الجوّ يتحرك على ردم الهوّة بين هذين التنظيمين ومحاولة التوفيق بينهما. لهذا، كانت المصالحة فوقيّة بين «أمل» و«حزب الله» تحت الغطاء السوري. وقد دُعيتُ آنذاك وبإلحاح شديد من الإيرانيين والسوريين لأحضر إلى جانب المجلس الشيعي و«أمل» و«حزب الله»، فرفضت ذلك قائلاً إنني لستُ طرفاً في هذا الموضوع، ولم أشارك في أي نشاط لا في هذا الجانب ولا ذاك. ولهذا، فإنّ حضوري ليس وارداً. ولو حضرت لكان ذلك تأكيداً على علاقتي بهذا المناخ كُلّه. ترك ذلك تأثيراً سلبياً عند الإيرانيين والسوريين. وأذكرُ أن بعض الصحف علّق على هذا الموضوع بالقول: «إن فلاناً الذي يُقال إنه المرشد الروحي لـ «حزب الله» لم يحضر، ولو كان كذلك لكان مفروضاً أن يحضر». كان إصراري كبيراً على عدم حضور هذه المصالحة الفوقية لا التحتية...

۞ لقاؤك الأوّل بالرئيس حافظ الأسد كيف حصل؟ وماذا دار فيه؟

– بناءً على إرسال بعض الرسل، ذهبت للقاء الرئيس الأسد وقد تملّكني شعورٌ بالحرج الشديد. ذلك أنني شعرتُ بأن هذا الأمر لا ينسجم مع حركتي وعلاقتي مع الناس. لكنني، حين التقيتُه شَعرتُ بالطمأنينة لأن اللقاء كان صريحاً، والرئيس الأسد من الشخصيات القليلة التي تمتلك ثقافة واسعة، ولا سيما حول القضية الفلسطينية واليهود في العالم، حتى إنه حدّثني عن تحركات اليهود في باكستان... وقد عبّرتُ له عن احترامي آنذاك، ولا سيما عندما حضر مؤتمر القمة الإسلامي في الكويت

حيث ألقى خطّاباً مميزاً، وقلتُ له: «تصوّرتك أستاذاً جامعياً يلقي محاضرته على تلامذة عنده». . . وأذكر أنه حدّثني عن قولِه لعبد الحليم خدّام تعليقاً على اعتصام بئر العبد ضِدّ اتفاق 17 أيار: «تعال، نستقيل وننضم إلى هؤلاء». . . وكان الموقف المشهود له ضِدّ الاحتلال الإسرائيلي وما حاول فرضه على لبنان. . .

ومِمّا قلتُهُ في اللقاء: «لماذا تلتقون مع أمين الجميل وهو من الكتائب الممثّلة للسياسة الانعزالية ضدّ العرب والعروبة». فأجاب: «إنهُ وفيٌّ لنا، ونحنُ نفي لِمَن يفي لنا». وأذكرُ أيضاً قولي له: «أرى أن المسافة بينك وبين أقرب الناس إليك ثمانون في المئة، وأنا أتساءَلُ ماذا بعد حافظ الأسد؟ وهل تركت أحداً عندك يحملُ هذا العقل الاستراتيجي؟» لم يُجب عن ذلك، وشعرتُ بكآبة ظلّلت وجهه آنذاك. كانَ اللقاء جيداً ومميّزاً واستمر ما يُقَارِبُ الأربع ساعات، وحين عُدت منه كان الناس يهمسون: «هل بعتُ موقفي واشتُريتَ»؟ فوقفت آنذاك في مسجد الغبيري، وقلتُ للناس: «أنا معكم، ولا أزالُ متمسّكاً بكل ما طرحت. وإذا رأيتُ نفسي خاضعاً لأي ضغط لا أمتلكُ فيه موقفي فلن تروني معكم لأنني أحترمكم وأحترم نفسي». لم أتحدّث في صراحة، لكنّ الناس فهموا منّي أنني التقيتُ وتحدّثتُ قناعاتي ولستُ من علماء السُّلطان. . .

۞ ماذا حدّثكم عن لبنان ودور سوريا فيه؟

- أذكرُ أنّهُ تحدَّث حول ما كان يُثار بالنسبة إلى الجيش السوري، وأنه أرسل جيشهِ إلى لبنان لإنقاذه ومنع الحرب بين اللبنانيين. وقال: «أشعرُ بأنني عندما أرسِلُ جيشي إلى شوارع بيروت وزواريبها، قد أفقدُ مناقبية هذا الجيش وأخلاقه. ولهذا فالمسألة ليست مِمّا أتحمَّسُ له حرصاً على الجَيش وحفظاً له، لكن المسؤولية العربية والسياسية فرضت علينا ذلك». لقد كان يتألم مِمّا يُثار حول هذا الموضوع من بعض الإعلام العربي. . .

۞ وعن إيران؟

- ربما كان الحديث عن إيران إيجابياً بالنسبة إلى موقف إيران، ونصيحتُهُ للعرب كانت أن لا يعادوها.

ومِمّا أذكره في اللقاء الأوّل أو الثاني أنه تحدّث كثيراً عن نشأته، وعن العلويين، وقال لي: «مشايخنا كانوا يتألمون جدّاً من الاتهام بأنهم يؤلّهونَ الإمام علي (ع)، وكنتُ أستمعُ إليهم وأنا في بداية الشباب وهم يجتمعون وينكرون ذلك، ولا سيما عندما برز هناك بعض الأشخاص الذين يدعون الألوهية وهم المرشدية».

وأضاف: «نحن نعتقدُ بالإمام علي (ع). عقيدة الشيعة أنه دون الخالق ولكنّه فوق المخلـوق. وهـذا ما يعتقده الشيعة فـي كل أئمّتهـم». كان يُحدّثني عن التظاهرات التـي كانوا يشاركون فيها أيام الشباب، وتجربتـه الانفتاحية على المسألة السياسية منـذ بداية حياته. أذكرُ أنّـهُ كان إذا ذكر «الإخوان المسلمين» يصبح متوتّراً جدّاً، ويتحـدث عنهـم في شكل سلبي فـوق العادة... واللافت أنني حيـن ذكرتُ أمامه بدوي الجبل الشاعر لم يرتح، ربما لأنه كان من المعارضين وفي شكل سيّئ...

وممّا أذكرُهُ أيضاً أنهُ حدّثني عن لقاءاتِهِ ببعض علماء المسلمين، وأن بعضهم حدّثـه عـن فرض (السلطـة) اللاّحجاب على الطالبـات، فقال إنـه أجابهم: «إنهم يضعون القبعة التي تغطي الشعر»، فقالوا: «هذه لا تغطي الشعر كُلّه». فردّ: «كيف يكون هناك فرق بين هذا وذاك فعلى الأقل إن هذا يحجب». وكان يُسجِّلُ ملاحظة عليهم في هذا المجال... أذكرُ أنني قلتُ له آنذاك وبشيء من الجرأة: «إنّك تمنعَ الكثيـر من الطالبات المسلمات من الدراسة»! فسـأل: «كيف»؟ أجبتُ: «المدارس تفرضُ على الطالبات منع الحجاب مع كون الأساتذة من الذكور أو ما أشبه ذلك، وهـذا الأمر يُحـرجُ الكثير من المتديّنيـن الذين لا يبيحُ لهـم التزامهم الديني، كما يجدون، أن يرسلوا بناتهم إلى مدارس تمنع الحجاب». فاستغرب ذلك لكنّني قُلتُ لـه: «أيهـا الرئيس، أرجو أن لا ترسِل مخابراتك ليعطـوك تقارير، ولكن أرسل الناس الآخرين ليعطوك الحقيقة، وأنتَ تعرفُ أن العائلات المحافظة لا يمكنها أن تتساهل في موضوع الحجاب دينياً وتقليدياً. لذلك لا نستطيع أن نَفرض على الناس عـدم الحجـاب». ولم يُعلّق على ذلك... أذكُر أنه قال لي في نهاية المطاف «إنهُ أبلغ مدير مكتبه أنه في أي وقت تحب أن تتصل بي، فأنا مستعدٌ لذلك». بقي معي وشيّعنـي إلى الباب حتى نزلت الـدرج... وفي ذلك الوقت، أذكُرُ أنّ عبد الحليم خدّام اتصل فقالوا لي: «يريدُ مقابلتك». أجبتهم: «عندي موعِدٌ في بيروت»...

وممّا فاتني أن الرئيس الأسد قال لي «إنّهُ ذَكَرَ البعض أمامه أن السيّد (فضل الله) يريدُ أن يكون له موقع مميّز في الواقع الشيعي في لبنان، فقلتُ له: «أنا أُحبُ أن أعيشَ مع الناس وأبقى معهم. أنـت قلت، يا سيادة الرئيس حافظ الأسد، إنك رئيـس سوريا ولكنّك تعملُ فـي العالم العربي. وأنا في حجمي المتواضع أحبُّ أن أعمـلَ في العالـم الإسلامي. ومَن يحبّ ويفكر في أن يعمل في العالم الإسلامي لا يفكـر في أن يكونَ رئيسـاً للطائفة الشيعية، أو رئيساً للمجلـس الشيعي»... وممّا أذكُرُهُ أيضاً قولي: «إنكم متهمون في إسلامكم، ولذلك لا بُدّ لكم أن تقدموا أنفسكم

إلى العالم الإسلامي من خلال الخطوط الإسلاميّة العقيدية، لا بُدّ أن تهيّئوا الأجواء للحديث عن العقيدة العلويّة». وقلتُ له: «نحن عمقكُم في لبنان ونريدُ أن تكونوا عمقَنا في سوريا».

۞ هل شعرت بأنك أمام إنسان عاديّ أم إنسان مُحترَم ويبادلك الاحترام...؟ وهل شعرت بأن الرئيس الذي يتحدّثُ معك علويّ أم إنّهُ تجاوز هذه القِصة؟

- لم يُثر أمامي هذه المسألة. لكنني كنتُ أشعرُ، ولا سيما في الجلسة الثانية، بحميمية فوق العادة. كنتُ أشعرُ بأن الرجل منَحَني الثقة، وكان يتحدث معي بما لا يُتحدّثُ به مع عالِم تقليدي، وقال لي «أنا أتابعك دائماً». وقد نقل لي الوزير الدكتور كرم كرم أن الرئيس الأسد طلب من ابنه الدكتور بشار أن يستفيد من شخصيتين، قسطنطين زريق، ومحمد حسين فضل الله... وفي حياة الرئيس الأسد تعمّدتُ أن لا ألتقي أحداً آخر، مع أنني كنتُ أقبل دعوات الغداء أو العشاء من محمد ناصيف المعروف بـ «أبو وائل» بين وقت وآخر. وكان الاحترام يسود اللقاءات ولم يُفرض عليّ شيء في هذا المجال، بل كان يُتحدَّثُ إليّ في الشؤون اللبنانية، وحتى في بعض الشؤون السورية وإن في شكل غير رسمي. التقيتُ الدكتور بشار في حياة والده بطلب منه في إحدى الاستراحات، ودام اللقاء مقدار ساعة تحدّثنا فيه عن شؤون المنطقة وشجونها. حدَّثني عن لقائِهِ مع بعض الشخصيات الخارجية، ورأيت أن الرجل يمتلك متابعة دقيقة للأحداثَ السياسية، ويمتلك فضيلة الإصغاء والاستماع والتحليل. كان يسأل عن أدقّ الأشياء بالنسبة إلى الوضع اللبناني. وهناك أشياء ربما لا أكونُ في حِلّ من ذكرِها...

۞ كان يُقال إنّ دور محمد ناصيف هو متابعة الشيعة في النظام السوري. هل كنتَ تشعرُ بذلك، مولانا، حين كنت تلبي دعواته إلى الغداء أو العشاء؟

- لم أكن أشعر بهذا العنوان الكبير، لكن كنتُ أرى ذلك، باعتبار أنه كان يلتقي في الغالب بالشخصيات الشيعية، وكان يتحدّث عن الوضع الشيعي، ورأيتُ أنّهُ قريبٌ جدّاً من الرئيس حسين الحسيني حتى إنهُ كان يتبنّاه...

۞ هل كان يستفيد من ملاحظاتك المتعلقة بالوضع اللبناني؟

- من الطبيعي أنني كنتُ ألاحظ ذلك وأتابعه، لكن لا أدري إن كان يتابع من

الناحية العملية. فقد كان يُشعرني بأنه يتقبّلُ ذلك ويقدِّره، وكان يُشعرني بالاحترام والتقديــر... وهنــاك أصدقاء ممن لهم علاقات بسوريا كانــوا ينقلون عن البعض مــن مسؤوليهــا: «إنهم يحترمونــك ولا يُحبّونك»... أذكرُ فــي إحدى المرّات أن عدنان بلّول جاء إلى بيتي بعد أن اتصل بي تليفونياً وقال لي: «إن الوزير فاروق الشــرع يحــب أن يلتقيك في دمشق، لأن الوزيــر الإيراني الدكتور ولايتي سوف يأتــي إلــى سوريا، ويحب أن يتحدّث معك في هــذا الموضوع». فقلتُ له: «أحب أن أقول لك أن بروتوكولي لا يسمحُ لي بلقاء وزير الخارجية، وهذا البروتوكول الدينــي لا يسمــحُ لي إلا بلقــاء رئيس الجمهورية الأســد». سألني: «هل هناك غير البروتوكــول؟» أجبــت: «لا». وقد قلت لِنفسي يومها أن هــذه المسألة سيكون لي حســابٌ عليها. ولكــن بعد ذلك، ذهبتُ إلى الشام عبر الخط العسكري ولم أجد إلا التقديــر الذي أُقَابَلُ به دائماً على الحدود... وأذكرُ وقتها أن الدكتور ولايتي جاء إلى دمشق، ولا أعرف إذا كان سمِعَ بذلك أو لم يسمع، فبدأ بزيارتي وكنتُ أنزِلُ في منزل وبستان صديقنا رجل الأعمال صائب النحاس في الغوطة. حضر ولايتي مــع كُلّ الوفد الإيراني وجلس معــي مقدار نصف ساعة وتحدّثنا في شتى القضايا، وأظــنّ أننــي ذكرتُ له مــا حَدَثَ في ذلك اللقــاء... وحين ذهــب لمقابلة الوزير الشرع، بدأ حديثه قائلاً إنني كنت في زيارة السيّد فضل الله، فسأله الشرع: «هل إن السيّــد فضــل الله آية الله»؟ أجاب ولايتي: «نعم إنه آيةُ الله». وطلب وقتها من السفير الإيراني الشيخ أختري أن يشرح له موقع آية الله...

۞ بعد وفاة الرئيس حافظ الأسد، هل حصلت محاولة من السوريين لجمعك مع الدكتور بشار الأسد بعدما صار رئيساً؟

– بعد وفاة الرئيس الأسد، ذهبتُ لتعزية الرئيس بشار الأسد. وعندما وصلتُ إلــى السرادق المعدّ لاستقبال المعزّين بعد الظهر، التقاني آصف شوكت واستقبلني استقبــالاً حــاراً مع العقيد ماهر الأســد. فجلس قليلاً وذهب بعــد أن قال لي آصف شوكــت إن الدكتــور بشار مجتمع مع أمير البحرين عند قبر الرئيس الأسد، وليس مــن اللياقة أن تبقى هنــا. نحن سنهيّئ استراحة لك وهو أي الرئيس يأتي إليك... هُيِّئت لنا الاستراحة المستقلّة مع الوفد المرافق. وبعد عشر دقائق، حضر الرئيس بشــار الأســد. وبعد السلام فاجأنــي بقوله لماذا جئت؟ وضعــك الصحي لا يتحمّل العنــاء. تحدَّثنــا، فقلت له: «كنتُ أخافُ عليك من هــذه الصدمة، لكن حين رأيتك تتماسك وتحيّي الجماهير شعرتُ بأنك استطعت أن تستوعِبَها، تماما كما فعل أبوك

الـذي التقيته وكنـت حاضراً في أربعين شقيقك باسل. قلتُ لـه آنذاك (أي للرئيس حافـظ) كنت أخشى عليـك، ولكن عندما رأيتُك تُلـوِّحُ للجماهير بيدك من الطائرة شعرتُ بأنك استطعت أن تستوعِبَ الصدمة... فأنت في موقفك كأبيك»...

ثُمّ أضفت: «عليك أن تعتمدَ على الله، لأن الظروف التي تواجهك صعبة جدّاً والتركة ثقيلة». فقال لي: «أنا أعتمِدُ على الله في ذلك». وذكر أنه تجاوز الصدمة، وأن الذين كانوا يحاولون استغلال بعض السلبيات ولا سيما من الشخصيات الكبيرة لـم يوفّقـوا في ذلـك، لأن هذه الشخصيـات المسؤولة وقّعت ما أُريـد لها توقيعه. وقـال: «تحدّثت مع أولبرايـت وزيرة خارجية أميركا وقلت لهـا: أنا سأسيرُ على الخـط نفسه الذي سار عليه أبي بالشروط نفسهـا والروحية نفسها والمبدأ»... ثم وجّه حديثه إلي قائلاً: «الرئيس الأسد ركّز الأساس ومسؤوليتي أن أعْلِيَ البنيان».

حيـن أردتُ الاستئـذان بالمغـادرة، استوقفني حتى حضـر التلفزيون ليُصوِّر فودّعني حتى باب السيارة... شعرتُ بأن هناك احتراماً كبيراً وإعزازاً. وقد كنتُ، بين وقت وآخر، أسعى إلى معالجة بعض القضايا المتصلة بطلاب العلم الموجودين في سوريا، والذين يُعانون من بعض المشاكل مع فريق اللواء بهجت سليمان، فذكر لي اللواء «أن الرئيس بشار قال لهم: ما يطلبُهُ السيّد لا يمكنُ أن يُرَدّ».

كانـت هنـاك تمنيّات من بعض المسؤولين أن ألتقي الرئيس بشار، فقلتُ «لا مانِـعَ عنـدي شرط عدم وجود الإعـلام». وهذا يتعلّق بمقترحاتـي حول الوضع اللبنانـي والعربي. وشرط عدم الإعلام وضعْتُـه لأن اللقاءات وراء الكواليس قد تكـونُ أكثـر عمقاً، ولأن الذين يطلبون الإعلام قد يجدون ذلك امتيازاً لهم وأنا لا أطلب ذلك.

✿ في أربعين باسل الأسد، ألقيت «كلمة»، مولانا...

– عندمـا دُعيـت مـن لجنة الاحتفال، ومـن أكثر من جهة فـي شكل طبيعي ورسمـي، وكانـت الدعوة مباشرة وكان إلحاح من «أبي وائل» رغم أنه ترك لي حُريّة الاختيار حسب ظروفي، لأننا كُنّا في شهر رمضان. كنت في كلمتي أتحدّثُ وأخاطِـبُ الرئيس الأسد الذي كان موجـوداً بقولي: «نحنُ معك لأنّك في مواجهة الاستكبـار العالمـي، وإسرائيل». كانـت الكلمة ارتجالية ومميّـزة، ولاحظتُ أن الرئيس الأسد تابعها بكُلّ إصغاء. وقد التقيت معه في الصلاة في القرداحة وجرى حديث بيني وبينه. كان دمِثاً، ثم تناولنا طعام العشاء على مَائِدتِهِ، حيث التقيتُ عبد

الحليـم خــدّام. أذكرُ أنني قلتُ له: «عليكم أن تكونوا حذرين في سياستكم في لبنان لأن اللبنانيين باطنيون، يمكن أن يتغيّروا في أي لحظة». فردّ: أنا أؤيّدُ ذلك».

۞ هل كان لك علاقة مع غازي كنعان المســؤول الأمني السوري الأرفع في لبنان؟

– أيام الحرب في الضاحية، زارني اللواء غازي كنعان. ودار حديث حول وضـع «حزب الله» وبقائه في المساجد دون المكاتب... تعرّض موكبه لإطلاق نار... أثار ذلك علامات استفهام. تابعوا القضية واعتقلوا المرتكبين.. فلا علاقة مع غازي كنعان... وقد يكون هناك بعض الاتصالات الهاتفية.

۞ عندما خطفَ السوفيــات في بيروت، هــل صار حديث معــك للعمل على إطلاقهم وكان فيه شيء من الإنذار؟

– لا، لـم يوجَّـه إنذار. أذكـر أنّ أحد المسؤولين فـي المخابرات السوفياتية جاءنــي، وكان كلامــه أن «حــزب الله» يمتلك إمكانــات جيِّدة ونَحــنُ مُستعدّون للتعاون معه. أما الإنذار فليس واقعياً، وقد سعيتُ سعياً فوق العادة في هذا الاتجاه.

۞ ما عدد الشيعة في سوريا؟

– لا أمتلـك إحصائيـة دقيقـة، لكن في تصــوّري أنهم في هــذه الظروف قد يصلون إلى ربع مليون.

۞ ماذا عن العلاقة بين العلويين والشيعة؟

– قــال لي بعض المسؤولين لا تُحدِّثوا العلوييــن بالقول لستم علويين. قولوا لهم أنتم شيعة جعفريون. فالهوية العلوية صارت تشبه الهوية القومية. ومسألة تأليه العلوييـن الإمام علي (ع) يتبّـرأ منها المسؤولون والشباب المثقف، ولذلك يعلنون أنهـم شيعة جعفريـون، ويدلّلون على ذلك بإقامة الصلاة فــي المساجد، والذهاب إلــى الحـج، وصيام شهر رمضان. مــن الطبيعي أن كثيراً منهـم كما غيرهم من السنّة والشيعة ليسوا مُتديّنين وملتزمين. وهم يتقبلون ذهاب الكثير من علماء الشيعة إليهـم والتحدّث عن التشيّع والصلاة معهـم وخلفهم من دون مشكلة. ولنا علاقات مــع علماء العلويين الذين يُعلنون انتماءَهم للتشيّــع، ولكن ليس على أساس أنهم لم يكونوا شيعة سابقاً. وقد استقبلنا في لبنان وفي حوزتنا في السيّدة زينب (ع) بعض الطلاب لدراسة العلوم الدينية كما يدرس طُلاب العلم الديني على المذهب الشيعي.

والعلويُّـون عندهـم الآن مثقفون على مستوى عالٍ جـدّاً يكتبون في الإسلام أفضل مِمّا يكتبه الآخرون.

۞ كيف العلاقة مع المسلمين السنّة في سوريا؟

– هنـاك امتداد كبير لدى المسلمين السنّـة بالنسبة إليّ، حتى إن هناك علاقة فـوق العـادة مع مفتـي الجمهورية السوريـة (الراحل) الشيخ أحمـد كفتارو. كان يدعونـي إلـى مسجـده الغاصّ بالناس. وقـد دعاني إلى إلقـاء محاضرة في جامع أبـي النور، ورحّب بي ترحيباً كبيراً جـدّاً. كان يزورني في لبنان وكنت أزوره فـي سوريـا. كمـا كان هناك تبادل لقـاءات وزيارات مع العديد مـن علماء السنّة الكبـار كالدكتور قصْبَـه الزحيلي والشيـخ البوطي وغيرهما... وهـم يعتبرونني مـن دُعاة الوحدة الإسلاميّة. ولهذا، فعلاقتي جيدة على المستوى الديني والشبابي والمثقف الجامعي، وعلى مستوى الناس البسطاء فوق العادة، وهم يحضرون كُلّ المحاضـرات التي أدعى إلى إلقائها والندوات التي أشارك فيها. حين أدعى إليها. وأنـا حيـن أطرحُ الوحـدة الإسلاميّة لا أطرحُها أو نطرحهـا كمسلمين على أساس أن نحـوِّل الشيعـة إلى سنّة أو السنّة إلـى شيعة، وإنما نطرحها على أساس ما اتفقنا عليـه في القضايـا الفكرية، ولتأكيد أن ما اتفقنا عليه يبلـغ 80 في المئة، وللانفتاح علـى القضايا السياسية التي تواجه المسلمين مـن السنّة والشيعة كالقضية الفلسطينية وغيرها. وقد لاحظتُ أن هناك فئات من السنّة كما من الشيعة منفتحة على الآخر، وأنه يوجد متعصّبون هنا وهناك... وقد نلاحظ أن الوهّابيين يعملون على توسيع الخـلاف بين السنّة والشيعة ويخلطون بين الجانبين السياسي والديني. لكنني أشعرُ بأن السوريين مُنفَتحون وربما أكثر من بعض اللبنانيين، فلا يخلطون بين الموقف من النظام والموقف من الشيعة.

لقـد أقمتُ مسجداً في دِرْعا يُشرِفْ عليه وكيلي هناك، وأغلبُ المُصلّين وراء هذا العالِم الشيعي من السنّة.

۞ هل النظام السوري علماني، في رأيك؟

– طبعـاً، النظام يقول ذلك، والسوريون رفضـوا أن يُكتَبَ في الدستور أن دين الدولة الإسلام. كُلّ ما حصل أنّهُ لا بُدّ أن يكون رئيس الدولة مسلماً، وهو ما تتميّـز به سوريا عـن غالبية الدول العربية. والإسلاميون العاملون لتحويل النظام إلى نظام إسلامي كمشروع سياسي من الطبيعي أن يصطدموا بالنظام...

الجلسة التاسعة

۞ بدأت العلاقة مع السيّد خامنئي رئيس الدولة ثُمّ مرشداً لها، كيف تطوّرت هذه العلاقة؟

- تحدّثتُ عن المرحلة الأولى مليّاً.

المرحلة الثانية، أصبح في مرحلةِ الولاية، والمرشديّة، والذي أهّلَهُ لذلك هو أنّ الإمام الخميني ربط في آخر حياتِهِ بين الولاية والمرجعية. فالوليّ يجب أن يكون مرجعاً، ومن الطبيعي أن شروط الوليّ تختلفُ عن شروط المرجع. فالمرجعُ، وبحسب رأي الإمام الخميني، لا بُدّ من أنْ يكونَ الأعلم في الفقه، بينما الوليّ يكفي له أن يكون مجتهداً عَدْلاً عارفاً بأمور زمانه. بعد ذلك، حين أزيحَ الشيخ منتظري عن الخلافة، فرّقوا بين الأمرين لأنهم يمكن أن لا يجدوا شخصاً يجمع الصفتين. وكان الخميني، حسب ما نقل ابنه، يشيدُ بالسيّد خامنئي، خصوصاً عندما ذهب إلى الولايات المتحدة والصين. كان يتابع نشاطه في التلفزيون، وقال إنهُ صالح للقيادة، ونقل لي ابنه أيضاً أنَّه يشهدُ باجتهادِهِ. وعندما توفّي الإمام الخميني لم يترك وصيّة لأحد. المفروض كان أن يجتمع مجلس الخبراء حتّى ينتخب الوليّ الفقيه، وفي مجلس الخبراء هناك الكثير من الفقهاء يعتبرون أنفسهم أكثر علماً من السيّد خامنئي. ولكن يبدو أنّهم درسوا، أو درست الأكثرية، أن إيران لا تحتاج إلى شخصٍ متمرِّسٍ بالفقه ومتقدّم فيه بل تحتاجُ إلى شخصٍ متقدِّم في إدارة شؤون الدولة وفي المعرفة السياسية والإطلالة على العالم المعاصر. ولم يمكن هناك مَن يُساوي السيّد خامنئي الذي يجمعُ الجانب الفقهي مع هذه الخبرة المتقدِّمة، خصوصاً أنه قضى ثماني سنوات في رئاسة الجمهورية، وكان من رجال الثورة، وكان أيضاً مِمّن أسَّسوا الحزب الجمهوري، وعلى هذا

الأساس نجح السيّد خامنئي بالأكثرية وبحدود 67 صوتاً من خلال 80 صوتاً أو أكثر. ويبدو أنهُ لم يجد معارضة، باعتبار أن الناس كانت تبحثُ عن شخص يمتلك الخبرة والدّراية في هذا المجال. بعدما انُتخب للولاية كانت أوّل جلسة لي معه بحدود ساعة ونصف الساعة. ولعلّ أول حديث معه كان حول حوزة قُمْ وأنّها تُمثِّلُ الوجه الديني للإسلام ولخطّ مذهب أهل البيت. ولهذا طلبت منه أن يوجّه نظره إليها وهو في موقعٍ يختلِفُ عن موقعه السابق. فموقعُ الولاية موقعٌ دينيّ بالإضافة إلى أنه موقعٌ سياسي. وكان حديثي أنّهُ من الضروري «أن تهتمَّ بالحوزة ومحاولة تحديثها وجعلها تنفتِحُ على الواقع وعلى العصر حتى تستطيع أن تقدِّم إسلاماً حضارياً منفتحاً بعيداً من الخرافة وعناصر التخلُّف». في الوقت نفسه، تحدثت معه عن الصعوبات التي قد تواجهه. ذلك أن في الحوزات مراكز قوى قد ترى أن أيّ نوعٍ من التغيير لمصلحة المعاصرة قد يخرِّب الحوزة، وقد يُدخِل التيارات المضادة إلى داخلها. ولذلك أعطيته نموذجاً متقدّماً في التنظيم الدراسي، كنتُ أشجِّعه.

ثمّ حصلت لقاءات لي معه خلال كُلّ سفراتي إلى إيران، وكان حديثنا يدور حول القضايا السياسية في لبنان، وحتّى القضايا السياسية في إيران والعالم الإسلامي. وكنتُ أقدِّمُ بعض الاقتراحات بينَ وقتٍ وآخر، مثلاً قدّمتُ اقتراحاً «أنّك حين أصبحت في مركز الولاية (ولاية الفقيه)، التي هي بحسب العنوان الرسمي ولاية شؤون المسلمين، لا يجوزُ أن تستخدِمُ القنوات الإيرانية للتحرُّك في مواقع الولاية في العالم. بل لا بُدّ من أن يكون لديك مجلسٌ يجمع العلماء والخبراء في سائرُ أنحاء العالم الشيعي على الأقل، حيثُ يُقدِّمون لك الاقتراحات التي تُناسِب الدراسات. ذلك أن الاعتماد على وزارة الخارجية أو وزارة الإطلاعات يجعل الولاية تُحرّكُ العالم الشيعي الإسلامي في نطاق الجمهورية الإسلاميّة الإيرانية، فيصبحُ ملحوظاً أن التفكير هو في مصلحةِ إيران التي قد تصطدم بمصلحة العراقيين أو اللبنانيين أو غيرهم. لذلك يجب دراسة المسألة قبل وبعد الاصطدام بها». كان إيجابياً أمام هذا الاقتراح. وممّا قدّمتُهُ أيضاً من الاقتراحات في الواقع الإسلامي الشيعي، ضرورةُ أن يكون هناك مجلسٌ للعلماء والفاعليات الشيعية في العالم من أجل تدارس شؤون الشيعة في كُلّ علاقاتهم بالآخرين مثل السنَّة، وكيف يمكن أن نُحرِّك هذه العلاقة في شكل إيجابي، وكذلك علاقتهم بالأديان الأخرى وبالأوضاع السياسية المتحركة بين يسار

ويميـن، وضـرورة أن يكون هـذا التجمع سرّياً بمعنـى أن لا يكون إعلامياً ولا مجلساً علنياً. وقد تقبل هذا الشيء. لكنّه أسَّس بعد ذلك المجمع العالمي لأهل البيت (ع) فـي شـكلٍ علني، وقال «هذا اقتراحُك». فقلـتُ «اقتراحي كان أن لا تكون للمجلس صفة إعلامية أو إعلانية».

حدثتُـه كذلك عن الشباب الإيراني، فقلـتُ إنه ليس معكم لأن بين المتشدّدين مَـن لا يقبلـون الحلـول الوسطية والمنحرفين عـن الخط الإسلامي ومـا أكثرهم. كنـتُ أقولُ له: «من الضـروري جدّاً أن ترسلوا علماء ومفكّرين لمحاورة الشباب الجامعي. فلدى هؤلاء علامات استفهام كثيرة، ولا بّد أن نجيبهم عنها خصوصاً من خـلال دراساتهم في الجانب الفكري الذي قد يتحفَّظ عن بعض طروحات إسلاميّة وعـن بعضـ اجتهادات وما إلى ذلك». وكان تعليقُهُ آنـذاك هو «قلّةُ الكوادر التي يمكنُ أن تمتلك الفكر المنفتح المعاصر الذي يقومُ بهذه المهمّة». وأضاف إنّه «كان سابقاً يأتي إلى الجامعة قبل رئاسة الجمهورية ويحاورُ الشباب»، وقال: «لقد فقدنا شخصيـات منفتحة»، وذكر اسـم الشهيد مُطهّري والسيّد بهشتـي والدكتور مفتَّح. ذكر هذه الأسماء وقال: «نحن لا نمتلك مثل هؤلاء الأشخاص».

ومـن المسائـل التي تحدّث عنها في ذلك اللقاء وجود مواقع علمانية كبرى في إيـران، قـال: «نحنُ نعرفها لكننا لا نجـدُ مصلحة في ضربهـا»، وكأنّهُ يوحي أننا نحـاولُ معالجتها بالطرق السلمّية. وكنا نتحدّث معــه عندما حصلت الفتنة في لبنان فـي قصـة «إقليم التفاح». كنتُ أتحـدّثُ معه حول كيفية أو طريقـة السيطرة عليها وحلّهـا. وأشهـدُ أنَّ الرجل كانَ ضدّ التقاتـل، وكان لا يقبَلُ به، وكان يفضِّلُ حتى تقديـم تنازلات من أجل إنهاء القتال بين حركـة «أمل» و«حزب الله». لكن يمكنُ الظروف اللبنانية وتعقيدات الخطوط المختلفة الموجودة في إيران كانت تحولُ دون ذلـك. فهناك خطٌ يُشجِّعُ وآخـر يرفض الأمر. وكنتُ، بين وقتٍ وآخر، أثيرُ معه الكثيـر من القضايا حتى على مستـوى العلاقة مع أميركا. وكان يرى أنّهُ لا بُدّ من أن تخوضَ إيـران التجربة، لأن أميركا تريدُ تطويقَها وإرجاعها لأن تكون مجرّد تابع لها بطريقة مُحسَّنة. كان يفكر كامتداد لتفكير الإمام الخميني «أنّنا نريدُ أن نثبتَ أننـا نستطيـع صناعة دولةٍ مع المزيدِ من الجهـدِ والتعب، ومن دون الاعتماد على أميـركا ومـع بقاء العلاقاتِ معها متشنّجة أو مقطوعـة». وكان يقول: «إذا استطعنا فـي مـدّة عشر سنوات، أن نبني دولتنا في شـكل راقٍ، تنطلق العلاقات حينها من موقـع قـوّة». كان يفكّرُ فـي هذه الطريقة، ولذلـك أتصوَّرُ أن فكـرهُ ومسألته في

قضيّــة المواجهة مع أميــركا ليسا ولم يكونا خضوعاً للمحافظين. فهــذه مسألة تُمثِّلُ استراتيجية في فكره.

كنتُ أتحدَّثُ معه عن أنّ الدول المحيطة بكم كباكستان هي تابعة لأميركا فكيف يمكن أن تُنشئ إيران علاقاتٍ معها مثلاً؟ مثل هذه العلاقات هي علاقات مع أميركا! وكان جوابُــهُ «أن هؤلاء تابعون حقيقــة لأميركا، لكن هناك هامشاً من الحرية حتّى عنــد الدول الصغيرة التي تتحرّكُ فــي علاقاتها مع خصوصيّاتها. وأن تكون الدولة تابعــة لأميــركا لا يعني أن تنفِّـذ كُلّ سياستها. فحتّى أميركا تتــركُ للدول التابعة لها هامشــاً مــن الحريّة لمعالجة ظروفها وأوضاعها، كمــا أنّه ليس هناك دولة في العالم تُعطي مئة في المئة لأميركا. فنحنُ عندما ننشئ هذه العلاقات مع الدول المحيطة بنا أو الدول الأخرى، فنحنُ ننشئ العلاقات من خلال هذا الهامش. فهم يحتاجون إلينا في جانبٍ ونحنُ نحتاج إليهم في جانب». وكانت هذه وجهة نظره في هذا المجال.

كنــتُ أشعرُ بــأنّ الرجل (آية الله خامنئي) يتابع حركــة العالم، ويمتلك الفكر المتحــرّك والخبرة، وأنه ليس ساذجاً بــل عميقاً ودقيقاً. حتّى إنّه حين يُتحدَّثُ عن المقارنــة بينَــهُ وبين خاتمي من خلال فهمــه للأحداث وفهم خاتمــي لها، فإنّ هذا الحديــث ليســ دقيقاً. فالرّجلُ ليس ظلامياً وليس محافظاً. لكنّه يمتلك رؤية هي أنّ الجمهوريــة الإسلاميّة قائمــة على أساس الإسلام، وهو دين لــه قاعدة فكرّية وله امتــدادات وشريعــة، وأنَّ الحركة العلمانية تحاول إسقاطــه كقاعدة تحت شعارات متنوّعــة ومن خلال أكثر مــن تجربة. ولذلك، من الطبيعــي التحرُّك حين تنطلِقُ لتُسقِـطَ التزاماً معيّناً في هــذه الدولة أو تلك. فالرجل يتحرّكُ مثلاً في خطّوة وقف الصحــف لأنهــا أخذت حرية أكثــر من اللازم، في الوقت الذي لــم تستطع إيران أن تمتلــك بعدُ الاستقرارَ الثقافــي الإسلامي والمناعة الثقافية. وهذا أمرٌ أشبَهُ بحالة الطــوارئ، وهــو يتعلَّقُ بأمن البلــد ونحوه للحفاظ عليه. فهو يقــولُ مثلاً: «إننا لا نــزال محاصرين إعلامياً وسياسيّاً واقتصاديــاً. والبلد يتعرّضُ للكثير من العمليات الإرهابية في الداخل من خلال «جماعة خلق»، وجهات رجعيّة كثيرة، أو ملكيّة. والمسألــة هــي حماية الثــورة والجمهورية مع إعطاء حرّيات لم تُقمــع أساساً لكنّها حريــات ملتزمــة». علماً أن تقييد هــذه الحريات طبعاً قد يكــونُ خضوعاً لضغوط معيّنة. فهو يحاوِلُ دائماً أن يمسك العصا من الوسط، وأن يبقى دوره دور الحكم.

ولعــلّ قمــة مواقفه كانت التي تدلِّل على أنه يُؤمِنُ بأنّهُ لا بُدّ أن تعطى للشعب حريّتــه فــي الانتخابات. فمثلاً لا يستطيعُ الإنسان أن يقول إن تلاعبا لم يحصل في

بعض المواقع في كل انتخابات إيران، لكنّ الجوّ العام هو جوّ عدم التزوير الذي قد يحصُلُ في أميركا وفي أيّ مكان. لكن حين نرى أن رئيس جمهورية كرفسنجاني يأخـذُ فـي الدورة الأولـى 80 وهو من رجال السلطة، ثمّ يأخـذ في الدورة الثانية 60، وحيـن نلاحِـظ كيف يفوز على مرشح الدولة وهو ناطق نوري يُفْسَحُ المجال لخاتمي كي نعرف أن خامنئي كان صادقاً في مواقفه الانتخابية. الأمر نفسه حصل في الانتخابات التشريعية حيث حصل الإصلاحيون على الأكثرية، وفي الانتخابات الثانية، مِمّا يوحي بوجود استراتيجية أنه مهما كانت الظروف السياسية في الداخل لا بُـدّ للشعب من أن يقول كلمتَـهُ. لقد كانت لقاءاتي معه غالباً واضحة وصريحة. كنتُ صريحاً معه وكان صريحاً معي، ولم يحاول أن يتكلّم معي بلغةٍ دبلوماسية.

۞ هناك مرحلتـان، مولانا، مرحلـة السيّد خامنئي مع الشيـخ رفسنجاني، ومرحلة علاقته مع السيّد خاتمي. هناك نظرة أن السيّد خامنئي إصلاحي وليس محافظاً بالمعنى المعروف، فهل من الممكن أن يكون هناك توزيع أدوار؟ فالصـدام الحاصل بين السيّد خاتمي والسيّـد خامنئي تقرأهُ الناس حماية من خاتمي لخامنئي فـي المفاصل الصعبة. وكذلـك السيّد خاتمي يتجنب الذهـاب إلى النهايـة في الصدام تجنبـاً لإيذاء الثـورة الإسلاميّة والنظام الإسلامي.

– قد تكون كلمة توزيع الأدوار غير دقيقة إذا كانت توحي بوجود خطّة بين الطرفيـن بحيـث يقول كُلّ واحد منهما للآخر إنّ عليـك أن تقف في هذا الموقع أو ذاك الموقع. لا أظنُّ أن القضيّة في هذا الشكل. لكن هناك نقطة مهمة جدّاً، وهي أن كُلاً من الرجلين يُؤمن بالقاعدة الإسلاميّة للثورة، وقد عاشا مع الإمام الخميني ثورتَـهُ وحركتـه ويثقان به. لكن من الطبيعـي أن يكون هناك نوعٌ من الاختلاف في الأساليب والوسائِل.

ومـن الممكن أن لا يكون السيّد خاتمي متّفقاً في كُلّ شيء مع السيّد خامنئي، وقـد يكون السيّـد خاتمي أكثر انفتاحاً على الواقع السياسي من حيث موقعه كرئيس للجمهوريـة، ورغبتـه فـي إلغـاء التوتّـرات السياسية، سـواء كانت فـي المنطقة الإقليميـة المحيطـة بإيران، أو التوترات العالمية، حتى يُخيَّـل للإنسان أنّهُ يقترِبُ من أميركا. أما السيّد خامنئي فقد قلنا إنّهُ يمتلك استراتيجية تضعُ حاجزاً عالمياً بين إيـران وأميـركا. لكن المسألة مع اختلاف الوسائل التي ربّما يضغط السيّد خامنئي

لتحجيمهـا أو للضّغط على بعضها، هـي أن السيّد خاتمي قد يوحي أنّهُ ليس مرتاحاً لذلـك، كما في قضايا الحريّات مـن حيث السعة والضيق. لكن إذا وصلت المسألة إلى نقطة وموقع يُهدّدان الدولة إمّا من جهة تحريك الفتنة وإنتاجها، وإمّا من جهة إضعـاف الموقف الإسلامي فـي الجمهورية، وإما من جهة تهيئـة المناخ للجهات الخارجيـة مـن أجل أن تعبث بالواقـع. إذا وصلت المسألة إلى هـذه النقطة فإنّهما يتحرّكان كُلّ في موقعه وبأسلوبهِ الخاص، وينضّمان أحدهما إلى الآخر. فالمسألة ليسـت توزيـع أدوار، لكنّها التقاء على القضايا المشتركـة في ما هي حماية الكيان في هذا المجال.

ومـن الطبيعي أن الشعبية التي يملكها السيّد خاتمي يمكِنُ أن تضبط هذا التيّار الصّـارخ الهادر، بالشكل الذي قد يوحي، أو ربمـا يُستوحى من سلوكه أنّ هناك ضغوطاً تُمارس عليه. لكن، في الوقت نفسه، نجد أن السيّد خامنئي يمتلك الضغط أيضـاً علـى التيّار المحافظ حيث يمنُعهُ من التحرك كي يطغى على الساحة، أو كي يصنع الفتنة أو ما إلى ذلك. ولهذا، فإنّني أتصوَّرُ أن المسألة بين الرجلين هي إبقاء التّوازن لحماية الدولة.

۞ السيّد خامنئي يعرف جيّداً رفسنجاني وعنده تجربتهُ مع السيّد خاتمي. أيُّ التجرُبتين في رأيك وجد السيّد خامنئي نفسه منسجماً معها أكثر؟

- ربما كان يجِدُ نفسه مع الشيخ رفسنجاني أكثر، لأنهما عاشا معاً في أجواء الإمـام الخميني في حركة المسؤولية الحادّة والحيويّة. كانا معاً في الوقتِ الذي لم يكـن السيّـد خاتمي في هذا الموقع. أذكُـرُ أن السيّد خامنئي كان يُحدّثني عن الشيخ هاشمـي رفسنجاني كما يتحدّثُ العاشقُ عن معشوقه. كان يتحدّثُ أن الرجل يمتلك فكـراً عميقاً قويّاً وإخلاصـاً نقيّاً وأيضاً إخلاصاً للسيد خامنئـي. كان السيّد خامنئي لا يحتـاجُ إلـى أن يطلب مِنْهُ شيئاً بـل كان يعرفُ الشيخ ما يريدُ السيّد، ولهذا كان منسجماً معه، كما كنتُ استوحي من كلامِه. وأَنا هنا لا أنقلُ كلامه بدقته أو مئة في المئة. ومن الطبيعي أن مثل هذه العلاقة القوية العميقة، لم تكن موجودة بين السيّد خاتمـي والسيّد خامنئي. إذ هناك مميّزات بين عناصر الشخصية عند كل من السيّد خامنئي والسيّد خاتمي. ومن الممكن جدّاً أن يستوحي الإنسان أن عناصر الشخصية عند الشيخ هاشمي والسيّد خامنئي أكثر قرباً من عناصر الشخصية عند السيّد خاتمي والسيّد خامنئي. لكن طبيعة الشعبية التي أخذها السيّد خاتمي، وطبيعة إطلالته على

الجيل الشاب أعطتاه زخماً. هذا الجيل كان يُؤمِنُ به السيّد خامنئي ويُؤمِنُ بالحوار معه، ولذلك نجد أنه عند اشتداد الأزمات، كان يذهب إلى الشباب أو يأتي الشباب إليه، وكان يحاورهم، حتى إنّهُ تلقّى سؤالاً: «هل إنّ ولاية الفقيه تحت القانون أو فوق القانون»؟ فأجاب: «إنها تحت القانون». هذه الشعبية استطاعت أن تُعطي السيّد خامنئي إحساساً بوجود ضمانة شعبية للدولة من خلال موقع السيّد خاتمي الذي يتكامل مع موقع السيّد خامنئي الذي يمتلك أيضاً شعبية كبيرة في هذا الجانب في شكل معيّن، وفي الجانب الآخر. وجعل ذلك الشعبيتين تتوازنان في علاقتهما إحداهما مع الأخرى.

۞ هل السيّد خامنئي الوليّ الفقيه يمسِكُ السلطة كما يجب أم إن هناك مراكز قوى فيها رجال دين وأمن وعسكر تضطرّه في النهاية - كما ذكرتَ - إلى إمساك العصا من الوسط، فيستنِد أحياناً إلى شعبية الرئيس خاتمي حتّى يخفّف من غلواء المحافظين؟ الإمام الخميني كان الكُلّ بالكُلّ، فهو مؤسس الثورة ومفجّرها... لا سيما أنكم ذكرتم أنه سعى إلى وقف حرب إقليم التفاح وأن هناك تقاطع خطّوط في إيران.

- الفرق بين السيّد خامنئي والسيّد الخميني، أن السيّد الخميني كان أب الثورة، وكان الشخص الذي يمتلك الثقة شبه المطلقة ممّا يجعل موقعه لا مجال فيه للجدل. لكن هناك نقطة مهمة عند السيّد الخميني هي أنّهُ لم يكن ديكتاتوراً ولم يكن استبدادياً. كان يستمِعُ إلى آراء معاونيه ومساعديه. وكانت ثقته بالشيخ رفسنجاني كبيرة. يثق بفكره وبقدرته على التفكير. وكان السيّد الخميني أيضاً يؤمِنُ بالشعب. فقد اجتمعتُ إليه مرّةً في ذكرى الثورة وكان رجال الثورة موجودين والجهات الدبلوماسية، والسفير البابوي كان واقفاً يستمِعُ إليه، أذكر أنه كان يقول: «إن كُلّ ما عندنا هو من الله ومن ثم من الشعب». ولذلك كان يُصارِحُ الشعب بكُلّ شيء. كان يؤكّدُ هذه الثقة حتّى إنه في بعض المواقع كان ينتقِدُ المسؤولين أمام الشعب، كما انتقد السيّد خامنئي عندما كان رئيساً للجمهورية في الجانب الفقهي لبعض آرائه وأمام الناس.

كان الإمام الخميني يتميّزُ بقداسة، وجاء من المرجعية، وولايته انطلقت من موقع المرجعية، ومن موقع الثورة التي استولدها وحرّكها، ولا سيما أنّهُ جَمَعَ في حركتِها كُلّ التيارات، بما فيها العلمانية التي كان لا يُوافِقُ عليها، إذ كان يطرح

الحكومـة الإسلاميّـة منذ البدايـة. كُلّ الناس الملتقين معه فـي الطريق واكبوه ولم يسمـح بـأي معركة معهم، دينيـة أو سياسية... أما السيّد خامنئـي فقد كان ثورياً منـذ البداية، وتربّى فـي مدرسة الإمام الخميني، وعانى الكثيـر حتّى إنّهُ تعرّض للاغتيال. لكنّه انطلق كرئيس جمهورية مجرداً من هذه القداسة إذ لم يكن مرجعاً. كان رئيسـ جمهوريـة محترماً. كان إمام الجمعة في طهـران وكان يلتقي الناس وكان محـلّ تقديرهم واحترامهم. لكنّـه كان احترام صاحب الفكر والثوري وأحد تلاميـذ الإمـام الخميني الذي يمنحهم الثقة واحتـرام الإنسان الذي يستطيع الذهاب إلى أميركا وغيرها من البلدان ويعطي الصورة الحيّة المشرقة...

لهذا، فان التفافَ الناس حول خامنئي يختلفُ في روحيّتِه عن التفافهم حول الإمـام الخمينـي. وهو لم يواجه في بدايةِ ولايتِـهِ ومرشديّتِهِ معارضة إلاّ ما يُشبهُ المعارضـة الخفيـة التي تحاوِلُ إثـارة علامات الاستفهام حول اجتهـاده ومرتبته العلميـة وغير ذلك... يومهـا كان السيّد خاتمي في الظّل وزيراً للإرشاد. لكنّه، حين اصطدم ببعضـ الجهات الحكومية والرسمية، استقال وخرجَ وأصبحَ مجرّد شخصـ مفكّرٍ ومحترم وأميناً للمكتبة العامّة. كانت شعبية السيّد خاتمي منطلقة من حركـةِ الصراع التي بَـدأت في الساحة الإيرانية أمام التطـوّرات التي حدثت في إيـران، والتـي كانت تأتي من الخـارج والداخل، والتي برز فيهـا السيّد خاتمي كمفكّـر يطرحُ الأفكار الجديدة التي تستهوي الشبـاب والجيل الجامعي، ولا سيما قضايا الحرّيات وغيرها. وحينَ جاءَ إلى لبنان ونجحَ في محاضراته بانفتاحه على الجـوّ الثقافـي اللبناني ونحوه، صار أمـلا للتغيير. لهذا التفّت حولَـهُ كُلّ الجهات المعارضـة للمحافظيـن أو للمناخ الذي يتحـرّك فيه النظام. لم تكـن هذه الشعبية شعبيتـه بالـذّات لأن النّاسـ الذين انتخبوه كانـوا يُمثّلون تيّـارات متنوعة أرادت تقديمـه كواجهـةٍ من أجـلِ التغيير، ومن أجلِ جعله في موقـع الصراع مع الجهة الأخـرى. ولذلـك فإن الفرق بين السيّـد خامنئي والسيّد خاتمي جـاء من الناحية السياسيـة والشعـارات الثقافيـة التـي تتقاطعُ مع الجانبيـن الثقافـي والسياسي في القضايـا المعاصرة، بينمـا كان السيّد خامنئي أكثر عمقاً لأنّهُ جاءَ من عدّة مواقع، فيها الثقافي وفيها السياسي وفيها الديني وفيها الاجتماعي، مِمّا جعل شخصيته أكثر غنى على الأقل في الموقع العام.

أتصـوّرُ أن السيّـد خاتمي يتميّـز بعقل متحرّك وواقعي، ولذلـك فإنّه لا يجدُ مصلحـة فـي المغامـرة في مجتمـع كالمجتمـع الإيراني وخصوصا فـي الظروف

السياسيــة والدوليــة والإقليميــة التي تُحيطُ بإيــران. ولهذا أعتقــد أن هذين العقلين اللذيــن قــد يختلفان عندما تكون الساحة الإيرانيــة مقارنة بالساحة الدولية في حاجة إلــى هــذا الاختــلاف، أو إذا كان هذا الاختــلاف يحمي الساحــة الإيرانية. فالسيّد خاتمــي عندما يُطلِقُ بعض الأفــكار أو بعض الخطوط السياسية التي تجتذب بعض المواقــع الدوليــة، فإنّه بذلك قد يحمــي إيران من بعض الخطــوات الدولية الحادّة رعايــة لأوضاعِ خاتمي مثلاً. لكنّ المسألة حين تصِلُ إلى مستوى الخطورة، فلن يكون هناك إلا التكامل والتوازن في هذا المجال.

۞ هل يمكن أن يُعصى أمر وتوجيه للسيد خامنئي، لأن في العالم الثالث كما تعرِفُ، مولانا، يأتي الرئيس وحوله مجموعة أمنية وعسكرية تفرِضُ كُلّ ما تريد؟

- ليس هناك في أي بلد في العالم، كما أثار السؤال، قائدٌ يمتلك الأمر كُلّه. فمراكــز القوى قد تلعبُ لعبتَها وتلتفّ على قــرار هنا وقرار هناك، وإيران ليست بدعاً من الدول، وإن كان هذا الحديث لا يُعجِبُ الكثيرين.

۞ في إيران قد نجد أكثر من جهاز أمني، فهل هــذا التنوّع مخطّطٌ له، أي كما في العالم الثالث، كل جهاز يراقب الأجهزة الأخرى وهكذا دواليك.

- لا أتصوّرُ أن هناك فريقاً يمتلك القوة الكبرى أكثر من «الحرس الثوري». فهــو مركــزُ القوة. وهناك قِوى متنوّعة لكنّها لن تصِلُ إلى هذا الموقع، على الأقل هذا ما ألاحظِهُ في إيران.

إنه ابن الثورة وحاميها والمنفتح على السيّدين معاً.

۞ لماذا كان لدى الأميركيين خــلال الولايتين الرئاسيتيــن للشيخ رفسنجاني الأمل في إراحة العلاقة مع إيران؟

- لأن الشيــخ رفسنجانــي كان يمتلك المرونــة السياسية التي تغري الآخرين بالانفتــاح عليه. لكنّه كان عنيفاً في ثوريتــهِ، فهو من رجالات الثورة وليس مِمّن جــاؤوا على هامشها. كان يمتلك الأسلوب البراغماتي، لكنّه ينطلق من استراتيجية حاسمــة في هذا المجــال. وكان يمتلك أيضاً عمق التفكيــر ودقّة المناورة، وكانت ميزتُهُ أنّهُ في الوقت الذي يؤكّدُ الاستراتيجية الثورية كان يُؤكدُ الواقعية.

۞ ما هو الدافع الحقيقي لقبول الإمام الخميني القرار الدولي 598؟

- الدافع هو الهجمة العالمية على إيران، وهو التحالف الدولي الذي حرّك كُلّ المواقع الإقليمية المحيطة بها، بما في ذلك الاتحاد السوفياتي ضد الحرب التي كان الإمـام الخميني يخوضها لإسقاط النظام العراقي. وهذا ما جعل المساعدين للإمام وفـي طليعتهم الشيخ هاشمي رفسنجاني، وهذا استنتاج لأنني لا أمتلك المعلومات، يشيرون على الإمام الخميني، ومن خلال تقديم الظروف الموضوعية التي جعلت هنـاك إنذاراً بالخطر، بقبول القرار. فالمرحلة، في ذلك الوقت، كانت مُعدّة لأن تُطلقَ يد النظام العراقي لتدمير إيران، وهذا ما لاحظناه في قصفه لها. وقيل يومها إن النظام العراقي اتفق مع الاتحاد السوفياتي على أن يقصِفُ المناطق البعيدة مثل منطقـة خراسان المجـاورة له. كانت إيران مهيّأة للتدميـر في هذا المجال، بعدما دُمِّـر الكثيـر من بُناها التحتيّة. لذلك كان تجرّع السـمّ، على ما عبّر الإمام، يُمثِّلُ كُلّ تلك المرحلة.

۞ مولانا، منذُ متى لم تلتقِ السيدّ خامنئي؟

- منذ سنة 1994، تاريخ آخر سفرة لي إلى إيران.

۞ إلى متى بقيت العلاقة جيدّة مع السيدّ خامنئي، وكيف بدأت تتطوّر سلباً؟

- لم تصبح العلاقة سلبية. ربما كانت العلاقة الإيجابية تتميّزُ ببعض الضبابيّة. لقـد تحـدّث الرجلُ في شكلٍ جيد أمام بعض الشبـاب الذين تحدّثوا عني في طريقة سلبيـة فـي مجلسه، إذ ردعَ بقسـوة مَن أساء في حضرته إلـيّ. كان الإخوان في «حزب الله» يُحدّثونني أنه كان يوجّههم دائماً أن يستشيروني. وكان، عندما يُثار بعضـ القضايـا، يقول إنّهُ لا بُدّ من أن يُحفَظَ «السيّـد» ولا يجوزُ التكلم عنه. كما إنّـهُ، عندمـا قمنـا بصلاة الجمعة، كان أول مَـن أيدّها في كتـاب أرسلَهُ إلى قيادة «حـزب اللـه» في ذلك الوقت. ولم تحـدث هناك علاقات مباشـرة، ولكن كانت هنـاك إشارات منه ومنّي تُحافظُ على طبيعة العلاقـة. وأتصوّر أن انطلاق مسألة مرجعيتـي ربمـا كان السبب الذي دفع بعضـ الجهات المحيطـة بالسيّد والعاملين لمرجعيتـه إلـى أن يُثيروا الحـربَ ضدّي، الأمر الذي قلّصـ العلاقات. لكنني لا اعتقدُ أن الرجل يحملُ شعوراً سلبياً بالنسبة إليّ...

۞ تردد أنك دُعيت أكثر من مـرة لزيارة إيران، لكنك رفضتهـا قائلاً: ألبّي الدعوة حين تكون موجهّة إليّ من المرشد.

– نعـم. وحيـن تحدّث معـي سكرتيره في هـذا المجال أفهمتُـهُ الأسس التي أرتكِـز عليهـا والتي ليس فيها أساسٌ شخصيّ. وهي الأسس المنطلقة من مصلحتهم ومصلحتنا.

۞ ماذا عن علاقتكم بالسيّدين خاتمي وخامنئي؟

– علاقتـي بالسيّد خاتمـي توثقت عندما كان وزيـراً للإرشاد، حيث تعرفْتُ إليـه فـي تلك الفترة. ولاحظتُ مـن خلال أحاديثي معه أنـه كان ولا يزال يحمِلُ فكـراً منفتحاً. وكنتُ ألحظُ أنه يُبـدِي اهتماماً بعلاقته بي، إذ اتخذ مبادرات جيدة، منهـا مساعدتـه مادياً بصفتِه وزيـراً للإرشاد مجلـة «أحمد»، وهـي مجلة أطفال تصدرُ عن «جمعية المبرّات». كانت المساعدة رمزّية لكنّها دلّت على اهتمامِه بهذا الموضـوع. ثم طلـبَ مني عندما عرف أنني أُحلُّ الموسيقى وأن المحرَّم منهَا إنما هـو المثير للغرائز والشهوات أو الذي يُحطِّمُ الأَعصاب مثل الموسيقى العنيفة التي تُضِـرّ الإنسـان وتحوّلُهُ حالـةً هستيريةً، وقد كان يخوضُ فـي ذلك الوقت معركة الموسيقـى في الإذاعة والتلفزيون لأن الرأي العـام الفقهي كان يُحرِّمُ الموسيقى. أذكـرُ أنّـهُ طلبَ مني أن أكتب فـي حينها بحثاً فقهياً علمياً، فيـه تبرير للرأي الذي أذهـبُ إليـه. وبقيت العلاقـة حميمة، إذ كنـت ألتقيه بين وقت وآخـر حين أزور إيـران، لكنّها لقاءات أقرب إلـى العامة(العمومية). كان الشخص الذي يربطُ بيننا السيّـد محمـد أبطحي الذي كان مسؤولاً عن التلفزيـون الإيراني في لبنان مُدّة من الزمن. وهو شابٌّ معاصرٌ ومنفتح ومتحرِّرٌ في فكره، ويحملُ فكراً حديثاً إلى حدٍّ التطـرُّف حسب مفهـوم المحافظين. كان الرابط بيننا في كُلِّ مـا يريدُهُ مني السيّد خاتمي أو أريدُهُ منه.

وعندما جاء السيّد خاتمي إلى لبنان زارني فجلسنا قرابة ساعة ونصف الساعة، وأكد لي أن بعض الخطوط المحافظة الموجودة في إيران اتخذت موقفاً سلبيّاً منّي لسبب أساس، وهو أنها لا تدعم الشخص إلاّ إذا جاء عن طريقها. وقال لي: «أنت لم تأتِ عن طريقهم لأنّك صنعت نفسك بنفسك. وهذا هو السرّ أي استقلالك ونموُّك في العالم. ورأيك هو الذي جعل هناك حالات معقّدة وسلبية نحوك». كان الرجل يفكِّرُ في الجانب الثقافي في الحركة الإسلاميّة، ولذلك كان في لقاءاتِه مع «حزب اللـه» يُؤكِّـدُ عليهم على الانفتـاح الثقافي على طريقة مجلّـة «المنطلقَ» التي كانت تُمثِّـلُ مستوى ثقافياً إسلاميّاً معاصراً. ومـن المفارقات أن «حزب الله» ساهم في

إغلاقهـا، وكانت تصدُرُ في بيـروت، وهي المجلّة التي تُمثِّـلُ الانفتاح الإسلامي الثقافي على العصر، في مقابل المجلات والجرائد الصادرة عنهم والتي تُمثِّلُ الخط المحافـظ. هكـذا حصل. ثـم كان الاجتماع الثاني في دمشـق عندما زار سوريا، وكان رئيساً، فاستقبلني استقبالاً مميّزاً. لم يُحدِّد وقتاً معيناً لاستقبالي، وكانت هناك شخصيّـات لبنانية تنتظرُ مواعيدها، وأذكُرُ أنني أطلتُ الجلوس، وما صدر منه أو من مساعديه أي إشارة إلى أن الوقت انتهى. يومها تحدّثتُ معه في نقطتين.

الأولـى أن الجيل المعاصر، وهو جيـل الشباب والجامعات، يمتلك علامات استفهـام كثيـرة حول كثير من القضايا الإسلاميّة والسياسية، وأنّ عليكم أن تجيبوا هذا الجيل عن علامات الاستفهام، وإلاّ فسوف تفقدونه. وعلينا أن نعرف أن هذا الجيـل هو إيران المستقبـل، وكان يُؤيِّدُ هذه المسألة. والثانيـة أن علاقتكم بالعالم العربي ولا سيّما بسوريا لها دورها الحيوي في امتدادكم في المنطقة ولذلك نشجِّعُ هـذه العلاقات، ونأملُ منكـم تقويتها أكثر. كما أثرتُ نقطـة ثالثة غائبة عن ذهني الآن. في كُلِّ مناسبة، كنا نتبادل التحيات. كان يرغبُ في زيارتي لإيران، وكان مستعـداً لدعوتـي رسمياً أو في صورة رسمية. لكنني كنتُ ولا أزال أعيشُ ظروفاً تمنعني من الذّهاب إلى إيران.

كان يُظهِرُ لي أنّهُ ممن يُرحبّون بفكري كما آخرين في إيران. وعندما كانت الشخصيَّـات التـي من فريق السيّد خاتمـي تأتي إليّ في لبنان، كنـتُ أشعرُ بتقدير واحترام ومحاولة استماع دائمة إلى أفكاري ونظريتي في كثيرٍ من القضايا المتعلقة بالحـوار وبعض القضايـا السياسية والثقافية. ومنها الوزير مهاجراني الذي بادر، حين جاء لبنان وحَضَرَ صلاة الجمعة، إلى القول: «أنا ما صلّيت صلاة فيها روحانية مثـل هذه الصلاة». علماً أنهُ «طولِبَ» بذلك وسُئل «كيف تحضَرُ صلاة الجمعة»، وقد أتى ذلك من بعض المحافظين. أذكُرُ أنّهُ ألغى بعض لقاءاتِهِ بالوزراء اللبنانيين حتّى يحضر صلاة الجمعة. ولا تزال علاقاتي جيّدة بهذه الشخصيات.

۞ في الاجتماع الـذي حصل بينكم وبيـن الرئيس السيّد خاتمـي في الشام، وكان مطوّلاً كما فهمنـا، هل وضعك في أجواء التحديـات التي يخوضها داخل النظام؟

– لا، لـم يتحـدّث، لأن الاجتمـاع كان عامّـاً. إذ حضـره كل مرافقيه مع أعضـاء السفـارة الإيرانية في دمشق. لم يكن اللقاء خاصاً. ولكن كنتُ أعرِفُ كُلّ

هذه الأمور من خلال السيّد أبطحي في أثناء زياراته للبنان، إذ كان يضعني في كل المشاكل والتحديات وكل الخلفيات للتحرّك السياسي المضاد للسيّد خاتمي، سواءُ من بعض المحيطين بالسيّد خامنئي أو من غيرهم.

۞ ما هي المشاكل التي كانت تعترِضُ مسيرته في الدّاخل؟

– السيّد خاتمي كان يفكِّرُ ولا يزال في إعطاء الحريّة الثقافية والإعلامية والسياسية في إيران، على الطريقة الديموقراطية مع نكهة إسلامية، إن صحّ التعبير. وكان يعتقدُ ولا يزال أن الإسلام لا يفقِدُ موقعه أو قضاياه في حرية الفكر الآخر، بل ربما ينمو في مناخ الحرية أكثر مِمّا إذا اضطُهدت الحرية. ولهذا، كان يرى أن القضايا كُلها يجب أن تُناقش، وربما يصِلُ إلى مستوى أنّهُ حتّى ربما يُناقَشُ فكر الإمام الخميني، وتُناقَشُ أيضاً سياسة الوليّ الفقيه، وتُطْرَحُ القضايا في شكل حُرّ. فعندما يُقدِّمُ فكرٌ يختلِفُ عن الفكر الإسلامي، من الممكن أن يُناقش في فضاء الحريات. كانت قضية الحريات هي برنامجه في إيران لأنّ هذا ما يمكِنُ أن يردُمَ الهوّة بين الجيل الجديد والإسلام أو الجيل القديم. ذلك يحفظ للجمهورية الإسلاميّة قوّتها لأنهُ يمنحها قاعدة واسعة، ولا يُؤطِّرها في فريق معيّن قد لا يمتلك أيضاً الوحدة في خطّوطه الفكرية الثقافية في هذا المجال، مع العلم أن الخط الثاني أيضاً لا يمتلك وحدة في المجال نفسه.

هذا الجوّ المحافظ المحيط بالسيّد خامنئي، وربما بعض الخطوط التي يلتزمها السيّد خامنئي أيضاً، لا يرى مصلحة في هذه الحريّة. وقد يرى أن الآخرين سيستغلّون هذه الحرية استغلالاً سيّئاً، لا سيما مع عدم نضوج الجانب الثقافي والسياسي وخصوصا في الساحة الإسلاميّة السياسية والثقافية، ومع عدم امتلاك القوة في مواجهة هذا التيار الأقوى. وهو الأقوى لأنّهُ أيضاً يَستمدُّ قوّته من التيّار الموجود في العالم والمضاد للإسلام ولإيران أيضاً. وربما يدخُلُ الكثيرون على الخط من المعارضين لإسقاط النظام مثلاً أو الخائفين من الفوضى الفكرية أو السياسية وخصوصا إذا أُعطيت الحرّية على الطريقة الغربية التي يمكن أن تتحرك في الانحراف الأخلاقي وما إلى ذلك.

كانوا يتصوّرون أن إعطاء الحرّية في الشكل الذي يطرحه السيّد خاتمي، قد يُهدِّدُ الجمهورية الإسلاميّة في أمنها السياسي، وقد يُهدِّدُ الإسلام في ثقافة الناس، إذ ليست هناك توازنات في مسألة الصراع الثقافي والفكري في هذا المجال.

ربمـا كان الإمـام الخميني يفكِّرُ في أن طرحَـه شعار لقاء الجامعة بالحوزة، يُمكـن أن يحقِّـق نوعاً من التواصل والتكامل من الناحيتين الثقافية والفكرية. فتأخذُ الحوزة الجانب العلمي والموضوعي والعقلاني من الجامعة ولو من جهة الأسلوب، وتأخـذُ الجامعة الفكر الإسلامي من مصادره الطبيعية وهي الحوزة الدينية حتّى لا تبقـى هذه الهوّة بيـن القديم والحديث، وبين الجيل المعاصـر والجيل القديم. لكنّ هـذا لـم يتحقَّق. أما من جهة أنـه ليست هناك كوادر وشخصيـات يمكنها تنفيذ هذا المشـروع، أو أن الحرب التـي فُرضت على إيران وجعلتها تعيش مرحلة الحفاظ علـى أمنها الداخلـي، ودمَّرت الكثير من بنيتها التحتية علـى مدى ثماني سنوات، والحصـار الأميركي والأوروبي الإعلامي والسياسي والأمني، أما من هذه الجهة فربمـا منـع كل ذلك إيران من تنفيذ الكثير مـن المشاريع التي كانت مطروحة في هذا المجال. لذلك أنا لا أتصوّرُ أن السيّد خامنئي ضِدّ الحريات.

۞ هل يمكن أن يكون هناك أشخاصٌ تعوّدوا على السلطة وأحبّوها وصاروا عاجزين بالتالي عن التخلّي عن مواقعهم داخلها؟

– هـذا أمرٌ قـد يكون طبيعياً وواقعياً جدّاً لأنّهُ لا نستطيع أن نتحدّث حتّى عن الدولة الإسلاميّة كما نتحدّثُ عن الملائكة. فهم بشر وإن كانوا من المشايخ، لأنّهم قـد يقعون في الخطأ حتّى وهم داخل الحوزة، وقـد يتعلّقون بمراكز الدنيا. فكيف إذا استلـم الإنسـان سلطة تنفتحُ فيها المواقع من جميع الجهات. لهذا، فإن الأمر لا يخلو من هذه الفرضية.

۞ هل تعتبر السيّد خاتمي، وهو رجل دين وعلم عصـري، فقيهاً في أمور الدّين؟

– مع كُلّ الاحترام لثقافته، ولدراستِهِ الدينية فهو لا يُصنَّفُ في فئة الفقهاء.

۞ انطلاقاً من ذلك، هـل يمكن اعتبار العلاقة التي ربطتكـم بالسيّد خاتمي، واستمرت عبر السيّـد أبطحي، «استئناسـاً» بآرائك الدينيـة الفقهية في المواضيع التي كان يُعَالجها داخل إيران...

– إن الموضـوع الذي طلب مني الكتابة فيه هـو موضوع الموسيقى. لكنني أتصـوّرُ أن الرجل كان يقرأ كتبي وأبحاثي التي بدأت تأخذُ سبيلها إلى الترجمة في إيران.

۞ هل نظرية السيّد الخاتمي في الحرية الثقافيـة والإعلامية والسياسية كان يمكن أن تُهدّد النظام الإسلامي فعلاً لو لم يواجهها المحافظون؟

– لا أتصـوّرُ أن فيهـا تهديـداً للنظـام الإسلامي إلا من جهـة استغلال القوى الخارجيـة التـي لا يزال لها واقع نفوذ في إيران علـى المستوى الثقافي والسياسي، ومـن خلال أن الوسـط الديني لا يزال جديداً في المسألـة السياسية التفصيلية، وإن كانـت إيران الدينية، إن صح التعبيـر، تمتلك تاريخاً طويلاً في الماضي من دخول لعلمـاء الديـن في السياسة حتّـى قبل القرن الماضي. ففي أوائلـه، كان تدخُّل علماء الدين بالسياسة أمراً طبيعياً لدى الإنسان العادي، ولم تكن هناك مقولة ابتعاد رجال الدين عن السياسة في إيران كما هي في العالم العربي. ولهذا رأينا أن هناك رجال دين في مستوى المراجع دخلوا المسألة السياسية كما في مسألة المشروطة والمستبدّة وتحريـم التنباك، مثـل أبو القاسم الكاشاني المعروف فـي مصدِّق وهكذا. حتى إن انطلاقـة الإمـام الخمينـي في المسألـة السياسية لـم تكن محلّ اعتراضـ في الوسط الدينـي. لكـنّ المسألة هي أن التطورات السياسية التي عاشتها المنطقة وعاشها العالم كانت تحتاجُ إلى إيجاد المناعة في المواجهة السياسية، وإلى مزيد من التجارب ومن الثقافة السياسية ومن الارتباط بالواقع أكثر ممّا هو قائم، الأمر الذي قد يُوجدُ هناك نوعـاً مـن التعقيد مـع التزامه المسألـة الديموقراطية مثلاً في شكل جيـد. لكنّه أيضاً يحتاجُ إلى الكثير من النضج في المسألة السياسية في هذا المجال.

۞ هل كان الرئيـس السيّد خاتمي، في رأيك، على استعـداد لتقبّل فكرة أن تُؤدي هذه الحرية التي يعملُ لها، إلى نظام آخر أو إلى وصول أشخاصٍ غير إسلاميين إلى السلطة؟

– كان لا يمانـعٍ أن يكـون هناك أشخاص غير إسلاميين في السلطة. وأنا لا أنقلُ هنا كلاماً صادراً عنه في شكل تفصيلي. لكنّ طبيعة طروحاته، وخصوصاً في تأكيـده علـى المجتمع المدني وعلى أن الشعب هو صاحب القرار أو ما أشبه ذلك، تفرض مثل هذا التفكير.

۞ أحيانا يبـدو أن الرئيس خاتمـي والسيّد خامنئي على طرفـي نقيض، وأن هناك عداءً مستحكماً بينهما. وأحياناً يبدو كأن هناك تكاملاً بينهما أو توزيع أدوار. إذ عندما يضعف السيّد خاتمي لأسباب كثيـرة ويُحارَب بشدّة يُبادِرُ إلى إنقاذه السيّد خامنئي.

– لعل سياسة السيّد الخامنئي هي أن يُمسك العصا من الوسط. ولعلّه يمتلك كثيراً من الانفتاح المتمثّل في خطاب السيّد خاتمي. لكنّ موقعه في ولاية الفقيه، فضلاً عن القوى المحيطة به، قد يجعل خطّابه أقل انفتاحاً من خطّاب السيّد خاتمي. وربما يفرِضُ عليه هذا الواقع، وقد يكون في موقع اقتناعه في بعض الخطوط التفصيلية، أن يتدخل كي يحمي الساحة، كما فعل في مسألة إيقاف الصحف عن الصدور مثلاً، أو كما تدخَّل في منع مجلس الشورى من مناقشة قانون الصحافة، لأن الظروف الموضوعية المحيطة بالساحة وقوّة التيّار المحافِظ تفرضان ذلك، أو لأنه مقتنع بأن إعطاء الحرّية الواسعة قد يضّر بالكيان وبالجمهورية الإسلاميّة وبالصفة الإسلاميّة للجمهورية. وهو قد يرى أن الذين يمارسون هذه الحريات الصحافية ليسوا مخلصين للجمهورية الإسلاميّة، بل إنهم يأخذون الحرية سبيلاً لنقد القيم الإسلاميّة أو لإفساح المجال للقوى المضادة التي يمكن أن تأخذ موقعها القومي في الساحة السياسية.

۞ مولانا، حدّثنا أكثر عن علاقتك مع السيّد خامنئي؟

– بدأت علاقتي مع السيّد خامنئي منذ 1963. كان صديقاً شخصياً حميماً للمرحوم أخي السيّد محمد جواد فضل الله الذي كان يتقن اللغة الفارسية ويتردّدُ على إيران. وكانت له صداقة قوية جدّاً معه. كانت معرفتي بالسيّد خامنئي في إحدى سفراتي إلى إيران من خلال أخي. التقيتُهُ قبل الثورة في مدينة مشهد التي كان يسكنها وهو من أهلها، وبقيتُ معه سبعة أيام، وكنا نلتقي في بيته. كنتُ أذهبُ معه إلى درسِ أحد العلماء الكبار الذي كان يلقي دروسه الفقهيّة في أحد مساجد مشهد الكبرى وهو مسجد «جوهر شاد»، وكنّا نتحدَّثُ عن الثورة وحركة الإمام الخميني الذي كان أحد رجالاتها. وكنتُ أسأله «ماذا ربحتم في تلك الفترة»؟ وكانت إحدى إجاباته «إننا استطعنا أن نأخذ موقعاً مميّزاً لدى الجيل المعاصر، ولا سيما الجيل الجامعي الذي كان يعتبر أن رجال الدين يُمثّلون الرجعية السوداء، فأصبح بعد الثورة يرى أنهم أصحاب الفكر العالي والرفيع. بذلك استطعنا النفاد إلى هذا الجيل المعاصر». وهذا كان قبل نجاح الثورة.

كنتُ ألاحظُ أن السيّد خامنئي منفتحٌ على الفكر الإسلامي المعاصر. وكان يُترجم بعض كتب السيّد قطب (إخوان مسلمون) إلى اللغة الفارسية. ولاحظتُ انفتاحه على القضايا السياسية المعاصرة منذُ ذلك الوقت، إذ كان يتعاطف مع الجوّ

السياسي العربي، ومع القضية الفلسطينية ومع مواجهة الاستعمار... ثم عندما نجحت الثورة، كنتُ أزوره بين وقتٍ وآخر وهو رئيس للجمهورية، وكنت أتحدّثُ معه كثيراً حول القضايا المتصلةً بالجمهورية والمتصلة بلبنان. وكان في تلك المرحلة معنياً بالمسألة اللبنانية ومتخصّصاً فيها، أو كان مسؤولاً في شكل رسمي في الجمهورية الإسلاميّة عنها. حتى إن اللبنانيين الذين يلتزمون خطّ الثورة ولهم ارتباطات بها وبالجمهورية الإسلاميّة كانوا يأتون إليه ليتداولوا معه في الشؤون اللبنانية في ذلك الوقت.

كان منفتحاً، ولم أجده معقّداً. كان منفتحاً على الواقع اللبناني وكان واعياً لتعقيداتِه وتناقضاته. ومن دون أن يبتعِد عن خطّ الثورة، كان يؤكِّدُ ضرورةَ العمل السياسي في شكل واقعي في لبنان. كان معنيّاً، إلى جانب ذلك أيضاً، بالقضية العراقية، وكنتُ أتحدّثُ معه عن مشاكل العراقيين وخطّوط القضية العراقية. كانت جلساتنا وفي موقع رئاسة الجمهورية جلسات صديق مع صديق. لم يكن يتعامل معي في طريقة رسمية، حتّى إنني أخذتُ منه موعداً في الصباح قبل الدوام الرسمي، وذهبتُ إليه في مركز رئاسة الجمهورية وجلسنا على العشب وأفطرنا معاً في صورة طبيعية. وهو كان ثالث رئيس لإيران بعد بني صدر ورجائي.

۞ في الموضوع اللبناني، ماذا كانت عناوين الموضوعات اللبنانية التي كان يهتم الرئيس خامنئي بها؟

- كان حين يتحدث عن لبنان يتحدث عن ضرورة الانفتاح على اللبنانيين الآخرين، لأنّهُ كان يفهَمُ جيداً طبيعة التعقيدات الموجودة في الواقع السياسي اللبناني. فهو في الوقت الذي كان يُؤكّدُ على عناوين الإمام الخميني، كان يتحدّث عن اللقاء مع المسيحيين والسنّة، وعن خطّ الوحدة الإسلاميّة. كانت المسألة الفلسطينية، بالنسبة إليه، مهمة بالمقدار نفسه. حتى إنّه كان يتجاوب كثيراً مع الانقسام الشيعي، ويحاول منع الاقتتال الشيعي - الشيعي. وقد تدخّل أيام حرب إقليم التفاح بأكثر من وسيلة من أجل وقف القتال.

۞ هل كان «حزب الله» من مسؤوليات السيّد خامنئي في تلك الفترة؟

- من الطبيعي ذلك لأن «حزب الله» أساساً يرجِعُ إلى ولاية الفقيه، وكان هو المسؤول من قبل الوليّ الفقيه (الإمام الخميني) عن الشؤون اللبنانية.

۞ هل كان في آرائـه اللبنانية، إلى جانب انفتاحه علـى الطوائف الأخرى، دعوة إلى إنصـاف الشيعـة وبالتالي إلـى أن يكون لهـم دور أكبر في التركيبة اللبنانية؟

– من الطبيعي أنّهُ كان يفكّرُ في هذه الطريقة. لكن لا أذكُرُ إعطاء هذه المسالة صفة الشعار المطلبي لأنّها كانت واقعية.

۞ في أثناء الحديث عن العراق، مولانا، هل شعـرت مرّة بأن هناك رغبة في إيران (النظام الإسلامي) في جعل الديمقراطية تسودُ في العراق بحيث تحكم الأغلبية الشيعية؟ أو برغبة في اقتطاع الجزء الشيعي من العراق؟

– لـم يكـن هناك أي تفكير منـذُ كانت الثورة الإسلاميّة حتّـى الآن في تقسيم العـراق. كانـت المسألة الملحّة على تفكير الجمهوريـة الإسلاميّة ولا تزال هي أن تكون هناك ثورة إسلامية في العراق. ومن الطبيعي أن الفريق الإسلامي العراقي الأوّل هـو «حزب الدعوة» الشيعي الذي كانت إيران ترسمُ علامات استفهام حوله انطلاقاً من بعض الشخصيات المعقّدة داخله. ذلك أن بعض شخصياته آنذاك كالسيّد مرتضـى العسكري وقف موقفـا سلبياً مضاداً ومحارباً للدكتـور علي شريعتي على أساس اتهامـه بالانحراف الفكري عن الإسلام. كما كانـت هناك علامات استفهام حـول علاقـة بعض الشخصيات فـي بدايات «حـزب الدعوة» مثـل الشهيد مهدي الحكيـم، ابـن المرحوم السيّد محسـن الحكيم الذي اغتالته المخابـرات العراقية في السـودان، بسبـب علاقته فـي شكل أو في آخـر بالشاه قبل الثـورة. كان «حزب الدعـوة» لا يحظـى برضى بعض الشخصيـات وفي مقدمها السيّـد مهدي الهاشمي الـذي أُعـدِمَ، والشيخ محمد منتظري نجـل الشيخ حسين منتظـري. كان الموقف مـن «حزب الدعوة» سلبياً، وكانت الجمهوريـة الإسلاميّة تحاولُ أن تجدَ شخصية عراقيـة يمكِنُ أن تكون الواجهة للعمـل الإسلامي أو للثورة الإسلاميّة في العراق. وجـاءَت هـذه الشخصية ممثّلةً بالسيّد محمد باقـر الحكيم الذي يتميّز بعدة مواصفات تؤمِّـن له إمكانيات العمـق الشعبي. فهو ابن المرجع السيّد محسن الحكيم الذي كان يعتمِـدُهُ فـي تمثيلِه فـي أكثر من مناسبة فـي العراق. وكان تلميـذ السيّد محمد باقر الصـدر. وقد دخل سجون النظام العراقي، الأمر الذي جعل الجمهورية الإسلاميّة في عهد الإمام الخميني تستقبِلُهُ وتضعه في الواجهة السياسية.

ثـم بـدأت الجمهورية الإسلاميّـة تقترِبُ مـن «حزب الدعـوة» بعدما أبدى

استعـداده للتجـاوب والتنسيـق معهـا. حتى إنـه أعلـن التزامه ولاية الفقيـه. فبدأ مشـروع الجمهوريـة الإسلاميّة في ما سُمّي «المجلس الأعلى للثورة الإسلاميّة في العراق» الذي جَمَعَ شخصيات إسلامية إيرانية كانت في العراق، مثل السيّد محمود الهاشمـي والشيخ محمد مهـدي الآصفي مع شخصيات وتجمعـات إسلامية عراقية لـم يكن فيها أحـدٌ من السياسيين العلمانيين العراقيين. لهذا، سُمّي «المجلس الأعلى للثورة الإسلاميّة في العراق». لكنّ الرابط لهذا المجلس الأعلى وفي جميع العهود كان إيرانيـاً. كانـت تختلِفُ طبيعته حسب اختلاف طبيعـة المسؤول الإيراني، في وقـت كانت إيران مبتلاة بالخطوط المتنوعة التي لا ترجِعُ إلى وحدة. وفي ضوء التعقيـدات التي كانت تحصُلُ، خَرَجَ مَن خَرَجَ من الشخصيات، فتحوّل «المجلس الأعلـى» في نهاية المطـاف إلى مجلس السيّد الحكيم. ذلك أن الفئات التي قد تأخذ عنواناً تمثيلياً لا تمتلك إلا العنوان التمثيلي في هذا المجال...

وقـد انفصلت أغلب المنظمات العراقيـة، ومنها «حزب الدعوة» عن «المجلس الأعلى»، ونشأت بعض التعقيدات في الساحة العراقية واستمرَّت حتّى الآن. لذلك، كانـت الجمهوريـة الإسلاميّة تفكّرُ في الثورة الإسلاميّة فـي العراق، وفي أن يكون للإسلاميـين دورٌ فاعل فـي المسألة العراقية. وهكذا لاحظنا كيف أن المجلس الأعلى كوّن لنفسه فريقاً عسكرياً هو «قوات بدر» التي كانت تقوم ببعض العمليات العسكريّة.

۞ ما هو سبب «الجفوة» التـي يلاحظها الناس بينكم وبيـن السيّد خامنئي؟ وما علاقة المرجعيّة بذلك؟

– الواقـع ليسـت هناك، بالمعنى الدقيـق للكلمة، أي جفوة بينـي وبين السيّد خامنئي. فأنا لم ألحظ منه كشخصٍ أي موقفٍ سلبيّ، بل كانت تنطلِقُ مِنْهُ إشارات إلى بعض الناس الذين قد يتحدثون في طريقة سلبية قويّة عنّي.

حتّـى إنّهُ، كما يخبرني بعض قيادات «حزب الله»، يطلب منهم استشارتي، وكان يُؤكِّـدُ عليهـم بقـوة كي لا يصدر منهـم أي موقفٍ سلبيٍّ تجاهـي. أمّا مسألة الاتصـال المباشـر، فالظاهر أن بروتوكوله يمنع أن يتّصـل بالهاتف مع أي جهة داخليـة أو خارجية. وليست المسألـة خاصة لأني جرّبتُ في بعض الحالات نتيجة إشـارة أحـد معاونيه أن اتصل به هاتفياً فَلَم يُفْتَح الهاتـف. وأنا لا أعتبِرُ أنّهُ يتحمّلُ مسؤولية ذلك، بل المعاونون يتحمّلونها إذا كانت هناك مسؤولية.

مـن الطبيعي أن الاتصالات انقطعت إلا من بعضِ الرسائِل الخاصة ببعض

الجوانب المتعلّقة بمسألة العراقيين حين كانت تحدُثُ بين وقت وآخر، مثل التعقيدات للمهاجرين منهم المقيمين في إيران الذين شرّدتهم السياسة العراقية لمعارضتهم النظام العراقي. ولم أتلقَّ منْهُ جواباً خطّياً. من الممكن أنّهُ في مثل هذه القضايا لا يجيبُ خطّياً، لكنّه عن آخر رسالة أرسل لي جواباً شفهياً مع أحد معاونيه هو الشيخ محمد علي التسخيري. لم تكُن هناك اتصالات لأنني لم أذهب إلى إيران منذ زمن غير قليل، ممّا جعل الاتصالات المباشرة غير متوفّرة مع السيّد خامنئي شخصياً. وهناك رأي له في موضوع المرجعية يؤكد أنّها لا بُدّ من أن تكون في إيران. فنظام الجمهورية الإسلاميّة في حاجة إلى أن تحميه وترعاه المرجعية وتدافع عنه.

ومن الطبيعي أن أيّ مرجعية في العراق أو أيّ مكان آخر لا يُؤمَن لها، إمّا بسبب طبيعة عناصرها السياسية أو الثقافية أو بسبب الضغوط المحيطة بها، ولا يُؤمَنُ تأييدها ودعمها للنظام الإسلامي في إيران، الأمر الذي يجعل امتداد تقليدها إلى إيران مشكلة له، لا سيّما إذا كانت لا تُؤمِنُ بولاية الفقيه. فهذا الموقف السلبي من ولاية الفقيه قد يشجّع مقلّديها على عدم الالتزام بالنظام الإسلامي، وبمّا يصدُرُ عن ولاية الفقيه، الأمر الذي قد يُؤدِّي إلى الفوضى. هذه كانت المشكلة السلبية وسبب الموقف الذي اتخذته الجمهورية الإسلاميّة من السيّد الخوئي الذي كان لا يرى الولاية العامّة للفقيه من الناحية الفقهية. ولذلك كان مقلّدوه في حِلّ من النظام المرتكز على ولاية الفقيه. ولهذا، كان السيّد خامنئي يرى أنّهُ لا بُدّ للمرجعية من أن تكونَ في إيران حتى تعيش في انسجام مع الجمهورية الإسلاميّة. فإذا لم تكن إيجابية مئة في المئة لا تكون سلبية ولا تضرّ نظام الجمهورية الإسلاميّة. لهذا السبب، وافقوا على مرجعية الشيخ محمد علي الأراكي الذي كان من المخلصين للإمام الخميني وكان ممّن يرى ولاية الفقيه. علماً أنهم أيّدوا أيضاً مرجعية السيّد الكلبيكاني رغم أنه قد لا يرى ولاية الفقيه في هذا الحجم. لكنّه كان منسجماً مع أجواء الجمهورية الإسلاميّة، وكانت العلاقات بين مركز الولاية ومركز المرجعية علاقات متوازنة، وكانت هناك اتصالات في المستوى الذي لا تتدّخل فيه المرجعيّة بما يُضر بمصلحة الجمهورية الإسلاميّة.

أما في ما خصّ مرجعية السيّد الخامنئي فقد كان، حسب ما نقل لي بعضُ معاونيه المتقدّمين في مكتبه، لا يُوافق على أن يُرشِّحَ نفسَهُ للمرجعية لأكثر من اعتبار. لكن معاونيه وبعض القوى النافذة في إيران مارسوا عليه ضغوطاً حتّى قبِلَ ذلك تحت مقولة أن المصلحة الإسلاميّة العامة، ولا سيما في ظل امتداد

المرجعية خارج إيران، ستتأذى. وذلك يخلقُ مشاكل لإيران. فانسجام المرجعية مـع خطّ الجمهورية الإسلاميّة يخدم مصلحة إيران التي تبحث عن الامتداد الثقافي والسياسي والأمني في العالم الشيعي.

ولذلك، بادر إلى الإعلان أنّهُ يتقبّلُ المرجعية في الخارج باعتبار أنّ التقارير التي قُدِّمت إليه أفادت أن المرجعية قد سقطت في الخارج ولم يَعُدْ لها موقع للتوازن ممّـا قـد يترك تأثيراً على الواقع الإسلامي الشيعـي. فأعلن في خطّاب له أنّهُ يتقبّلُ المرجعيـة في الخارج فانطلـق مراجع «قُمْ» وهم كثيرون، لكنّـه لم يُعّين شخصاً واحـداً مـن بينهم في مرجعيـة الداخل. كان عازماً على التخلـي عن المرجعية إذا استطاع هؤلاء أن يمتدوا بالمرجعية إلى الخارج بحيثُ يمتلكون القدرة على رعاية المرجعية الشيعية في الخارج. وهذا مضمون خطّابه الأوّل.

مـن الطبيعـي أن هـذه المسألة أثارت جـدلاً في العالم الشيعـي، لأن الشيعة فـي الخـارج يعتبرون أن المرجعية في المعنى الفقهـي، وبقطع النظر عن المعنى السياسي الذي قد لا يُعتبَرُ شرطا في الرأي العام الشيعي التقليدي على الأقل، ليست في موقع السقوط أو الضعف. إذ إن أسماء موجودة في الخارج كالسيّد السيستاني تمتلـك امتداداً فـي المرجعية وفي العالم الشيعي بشكل قد يجعلها في المرتبة الأولى نتيجة بعض الظروف التي أحاطت بها. ولذلك كان هناك استغراب للحديث عن أن المرجعية في الخارج قد سقطت. وهكذا بدأ معاونوه، من خلال المصلحة وعنوان المصلحة الإسلاميّة العليا، يُؤكدّون مرجعيته حتّى داخل إيران، ويقولون إن حديثَهُ كان مـن بـابِ التواضع وليس من بابِ الموقف السلبـي من امتداد مرجعيته داخل إيـران. وربمـا يُفسّر بعضهم، خطّأً أو صواباً، أنّـهُ كان لا يريد أن يخلقَ معركة مع المراجع في إيران ولا سيما في «قُمْ». وبدأ معاونوه ومساعدوه يعملون حتى علـى مواقع الديبلوماسية في العالم معتبرين الدعاية أو الدعوة لمرجعيته جزءاً من المسؤوليات التي ينبغي لإيران ممارستها بما تمتلك من مواقع حركيّة في الخارج. فـي هـذه الدائرة بدأت الحملـة على مرجعيتي التي لم أخترهـا، انطلاقاً من اعتقاد الكثيريـن أنها قد تقف حجـر عثرة أمام مرجعيته باعتبار أن اسم صاحبها معروف عالمياً، ويمتلك حضوراً ثقافياً وسياسيّاً واجتماعياً في العالم كُلّه، ممّا يعطي فرصة لامتـداد مرجعيتـه بحيث تتركُ تأثيرها. ومن المفارقات أن هؤلاء الذين يحاربون هذه المرجعية لا يتصرفون في طريقة سلبية ضد المرجعيات الأخرى، بل يتعايشون معها باحترام كُلّي.

۞ هل يمتلك السيّد خامنئـي المقومـات الفقهية والعلمية كـي يكون مرجعاً مُقلَّداً؟

– هنـاك جدل في الحوزات العلمية حول مستواه الفقهي بين فريق ينكِرُ عليه حتى اجتهاده وآخر يُؤكِّدُ اجتهاده ولكن لا يُؤكّدُ أعلميّته، وثالث يتحدّث عن مستوى الأعلمية. المشكلة في مثل هذا النوع من الجدل التقويمي أن السيّد خامنئي لم يعِش التقاليـد التي عاشها المراجـع في كثافة الحضور الفقهـي والأصولي في الحوزات العلميـة من خلال تاريخ التدريس على مستـوى الخارج وما إلى ذلك، ممّا يجعل المسألة عندما تُثارُ من خلال خصومه مسألة قد تظهر فيها أكثر من نقطة ضعف.

ربمـا يقول البعض، كما في بعض الكلمات التـي قُدِّمت لتأييد مرجعيته، أن المصلحـة الإسلاميّـة تفرضُ ذلك ولا يتحدثون عن المستوى العلمي، لأن الحديث عنه يُثير الجدل سواء، خطأً أم صواباً، لأننا لسنا في مقام التقويم. ومن المؤكد أن تقاليـد المرجعيات في طبيعة امتـداد تأريخها العلمي في الحوزات العلمية من حيث الدرس والتدريس والتأليف ليست متوفّرة في شخصه. ويُحدِّثك بعض الناس عن أن العبقريـة ربما تفرضُ نفسها في الوصول إلى درجـات العلم بقطع النّظر عن التاريخ العلمي الذي قد يمتدّ سنين وسنين.

۞ هذا يعني في النهاية أن هناك نظاماً حتّى الولـي الفقيه الذي يفترَضُ أن يكون رأسه هو جزءاً منه تُديرُهُ مجموعة معيّنة؟

– نعـم. يُحدِّثونـك فـي نظرية ولاية الفقيـه. إن الوليَّ الفقيه هـو وليُّ أمور المسلمين كافة، وأن موقعه في الولاية، حتّى لو لم ينتخبه المسلمون خارج إيران، يجعلـه تلقائيـاً في مركز الولايـة. إذ إن الولاية لا تتحدّدُ بالانتخـاب بل بالكفاءة. فـكُلّ مجتهد عدل عـارف بزمانه هو مشروع وليّ فقيـه. والمسألة الفعليّة تتحرك مـن خلال التفـاف الناس حوله أو من خلال الظروف التـي تعيّنهُ من بين الفقهاء الآخريـن. ولذلـك فهم يتحدثـون أن انتخاب مجلس الخبراء للولـيّ الفقيه لا يعني إعطاءه الشرعية في الولاية، ولكن يعني اختيار الأصلح للولاية. فهي انتخابٌ يُعيِّنُ الفـرد الأصلـح من بين الأطراف الأخرى المؤهّلة، وليس هو مَن يعطيه شرعية. فالشرعيّـة يأخذهـا مـن النصوص الدينية التي تقـولُ: «العلماء ورثـة الأنبياء» أو «العلماء أمناء الرسل» أو ما إلى ذلك.

۞ عن التمسّـك بمرجعية السيّـد خامنئي خـارج إيران فقط، هنـاك نظرية دفاعية تؤكد أن تقليده ممكن داخل إيران؟

– هنـاك نقطة أخرى أكثر وضوحاً وارتباطـاً بهذا الموضوع هي أن الشيعة فـي تاريخهـم يرتبطون بما يُشبِهُ القداسة العملية بالمرجـع. ولا يرتبطون بالولاية لأنّ الولاية كنظرية فقهية ربما كان بعض الفقهاء المتقدّمين يتبنّونها، لكنّها لم تعشْ فـي مسار التاريخ الشيعي، أو الوجدان الشيعي، كعنوان يجتذِبُ الشيعة إليه بحيث يُسلّمونـه مقاليـد أمورهم الدينية. فقضية الولاية هـي قضية حادثة انطلقت في شكل فاعل من الإمام الخميني ولم تنطلق قبله في هذا المعنى الفاعل، وإن انطلقت فقهياً في نظر بعض الناس.

لهذا، فإن المسألة تنفتِحُ على أكثر من المسألة الدفاعية. إنها تنطلق من قضية أن احتـواء المسلميـن الشيعة في الخارج لا يمكـنُ أن يتم من خلال الولاية بل من خلال المرجعية. ولذلك، لا بُدّ أن يكون الوليّ مرجعاً حتّى يستطيع اجتذاب الشيعة إليه من خلال مرجعيته كي يمارس ولايته عليهم على هذا الأساس.

۞ يعني هنـاك محاولـة سياسية من النظـام الإسلامي في إيـران لتوظيف الشيعة ضمن هذه المرجعية من أجل تحقيق غايات سياسية إسلامية.

– هذه وجهة نظر في تفسير المسألة لأنها لم تطرح في هذا الشّكل كي تناقش فـي الهواء الطلق على أساس الجدل العلمـي أو الثقافي. لكن بعض الذين يعيشون داخل مواقع الولاية صرّحوا ببعض ذلك.

۞ هل ممكن أن تُمارَس ولاية الفقيه خارج إطـار رسمي، يعني إذا لم يكن هناك نظام إسلامي هل يمكن ممارسة هذه الولاية؟

– من الطبيعي أن ولاية الفقيه لا ترتبط بالنظام الإسلامي، بل ترتبط بموقع الولايـة الذي يمتلكه الفقيه الـذي يرتضيه الناس، لأنهم إذا لم يرتضوه لن يستطيع أن يفعل شيئاً. ولهذا من الممكن جدّاً أن يمارس ولايته في الحياة العامة، سواءٌ في القضايا التي تمسّ نظام المجتمع في هيئته الاجتماعية أو في مواجهة الأحداث التي قـد تتحـرك في المجالات السياسية أو غير السياسيـة. غاية ما هناك أن هناك فرقاً بيـن إذا مـا كان الوليّ الفقيه يمارس ولايته داخل نظـام يمتلك السلطة حيث تنفتح عليـه ولـه كُلّ السلطات التي يمارس حركيتها من خـلال ولايته، بينما إذا لم تكن ولايته داخل النظام فلا بُدّ من أن تتحجّم مساحات تلك الولاية، أو تتحجّم حركيتها في الموارد التي يمكنُ للظروف السياسية أن تسمح بها.

✿ مولانا، أشرتم إلى أن أحد أسباب الاعتراض على مرجعية السيّد الخوئي كان موضوع ولاية الفقيه؟

– نعم، كان لا يرى ولاية الفقيه العامة.

✿ سماحة السيّد فضل الله، لقد مثّلت سابقاً مرجعية السيّد الخوئي، فهل شاركته أو تشارِكُه نظرته إلى موضوع الولاية؟

– أنا لا أشارِكُ نظرته من الناحية الفقهية في الدائِرة المحدودة التي يضَعُ فيها الولاية. كما لا أشارك الإمام الخميني في نظريّته في الولاية في الشكل المطلق الذي يجعل الوليّ الفقيه ذا صلاحيات مطلقة، كما لو أنه يختصِرُ الدولة. من وجهة نظري، هناك قاعدة شرعية فقهية إسلامية تقول إنّ على الأمّة حفظ نظامها. ولو توقّف حفظ النظام على أن يحكمها شخصٌ لا يتمتع بالصفات القيادية الإسلاميّة، ولولاه لتحوّل الواقع فوضى، فإنّ الإسلام لا يعطي هذا الشخص الشرعية لأنّهُ يفقدُ أصول الشرعية، لكنّه لا يعارِضُهُ. لذلك، أنا أنظر إلى ولاية الفقيه من ناحية حفظ النظام. وقلت إذا توقّف حفظ النظام الإسلامي على ولاية الفقيه فيكون له ولاية بحجم علاقتها بحفظ هذا النظام على المستوى الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والأمْني. وإذا لم يتوقف على ذلك وأمكن أن تكون هناك قيادة إسلامية غير فقهية وقادرة على حفظ نظام المجتمع بكُلّ مصالحه وعلاقاته في الداخل والخارج، وترجع إلى الفقهاء في ما يُشكِلُ عليها من أمور الشريعة في التقنين والتطبيق وما إلى ذلك، فإنّه لا ضرورة لولاية الفقيه في هذا المجال. ولهذا فإنّ النظرية التي أؤمِنُ بها تقِفُ ربما في الخط الوسط بين النظريتين، وربما تقتربُ من خطّ عدم الولاية من ناحية ذاتية الشرعية الإسلاميّة في طبيعتها لتكون أقرب إلى هذا الجوّ.

✿ مولانا، هل الوليّ الفقيه معصوم؟

– لا، الوليّ الفقيه رجلٌ مثقفٌ بالثقافة الفقهية في شكل مميّز، وبالثقافة العامة. وهو يخطّئُ ويصيب. ولا بُدّ من أن يكون عادلاً، ومعنى العدالة الاستقامة على خطّ الإسلام، بحيث لا يمارس الكبائِر من المعاصي، ولا ينحرف عن الخط، ولا يتعسّف في حكمه، ولا يحكُمُ بغير ما يمتلك الخبرة فيه إلاّ بعد الرجوع إلى الخبراء في هذا الموضوع. فإذا أخطأ وجبَ على الأمة أن تنفصل عنه.

۞ **هل صحيح أن هناك فريقاً يُمثّلُ السيّد خامنئي وقف ضد مرجعيتكم؟**

– أنـا لا أمتلـك معلومـات حسيّـة. لكنْ هنـاك كلامٌ ينسِبُ ذلـك إلى بعض الأشخاص ولا أستطيع أن أعطي تقييماً حاسماً في هذا الموضوع.

۞ **مولانا، قُلت إن المرجعية هي التي اختارتك. كيف ذلك؟**

– لـم تكـن المرجعية طموحا شخصيـاً لي، لأن تقاليـد المرجعية من الناحية العملية تقضي أن ينطلق المرجع من داخل الحوزة الواسعة، بمعنى أن يعيش داخلها وأن يبقـى داخلهـا. لم أكن داخل الحـوزة العلمية في النجـف وإن كنت تخرجتُ منهـا، وأكثر المراجع الحاليين زملاء لي. لـم أكن في الحوزة العلمية في «قُمْ»، لكننـي في الوقت نفسه كنـت أمارِسُ تدريس الفقه والأصـول الذي يمارسونه في الدراسـات العاليـة في الحوزات العلمية لأكثر من ربع قرن. إذ منذ أن قدمتُ إلى لبنان، فتحتُ معهداً شرعياً إسلاميّاً يخرِّج العلماء. ولهذا كنت أفكر أن من الصعب جـداً أن يترشّح أو يتقدَّم شخصٌ للمرجعية في لبنان لأنه ليس مركزاً للمرجعية في الوجـدان الشيعي. كمـا إنني كنتُ أعيش الحضور الثقافـي والسياسي والاجتماعي فـي الوجـدان الشيعي في شـكل كبير جدّاً، وكنـتُ أمتلك الكثير مـن التأييد والثقة والمحبـة لأن الآخرين لا يجـدون فيّ مُنَافساً أو لاعتبـارات أخرى. وأنا لا أريدُ أن أعطـي لنفسي تلك الضخامة لشخصيته. ولذلك كنتُ أشير إلى بعض المجتهدين فـي النجـف أو في «قُمْ» في دورات متعاقبة علـى أساس أنّ من الممكن للناس أن يرجعـوا إليهم مـن دون الشهادة بالأعلمية التي قد يراهـا الكثيرون من المجتهدين شرطـاً فـي المرجعية. بل كنتُ أقول أن تقليدهم مبرئٌ للذمّة، لأن نظرتي هي أنهُ يمكـنُ للمجتهـد المُمارِس (على طريقة الخبرة) ممارسة طويلة والعادل في دينه أن يُقَلِّده الناس. لكن هناك الكثيرين من الناس في الداخل والخارج كانوا يرسلون إليّ ويقولون لي إننا مقتنعون بك وقلّدناك، وكانوا يطلبون مني فتاواي، وفكّرت.

۞ **(مقاطعاً) متى كان ذلك، مولانا؟**

– لعلّه في العام 1991. فكرت آنذاك أنّ من الممكن أن أقوم بخدمة إسلامية للجيـل الطّالـع المعاصر مـن خلال هذه المرجعية، أولاً لجهة مـا أمتلكه من الفكر المنفتح الذي يمكن أن يلتقي مع حالات الجيل المعاصر للانفتاح، إذ لم أكن تقليدياً فـي تفكيري مع احترامـي للتقليديين. وثانياً إنّ التقاليد الغالبـة للمرجعيات، سواء من خلال ظروفهم الخاصة أو من خلال بعض الأوضاع العامة المحيطة بهم، لا

تمكّن الناس من أن يتصلوا بالمرجع مباشرة، على الأقل من خلال الهاتف، ورغم أنهم يمتلكون الاتصال المباشر به بزياراتهم له. إلا أن التقاليد لا تعطي الحرية للزائرين في الكثير من المناقشات والأشياء. ربما كان ذلك نتيجة لضيق وقتهم أو لبعض الاعتبارات، ممّا يجعل هناك نوعاً من الحاجز بين المرجع والناس بحيث تبقى علاقتهم به من خلال وكلائه، أو من خلال الكتاب الفقهي الذي يصدره لهم، أو من خلال بعض الاعتبارات للحقوق الشرعية وما إلى ذلك كالخمس والزكاة والذي قد يحتاجون إلى رخصة من المرجع لصرفه. ففكّرتُ أن من الممكن جدّاً أن تكونَ هناك مرجعية يستطيع الناس أن يتصلوا بها في الليلِ وفي النهار، سواء في مشاكلهم الشخصية وحتّى العاطفية والنفسية منها، أو في استفتاءاتهم الفقهية أو في سؤالها عن القضايا السياسية والثقافية. بذلك يمكن لهذا الجيل المعاصر أن يشعر بما يملأ فراغه النفسي في العلاقة شبه العفوية بالمرجع بحيث يستطيع الحديث معه في الليل والنهار في قضاياه الخاصة والعامة.

هذا ما كنتُ أعيشهُ وقد تحرّكت التجربة في المرجعية في هذا الاتجاه، حتّى إنني أتلقّى من سائر أنحاء العالم اتصالات من نساء ورجال في قضايا عاطفية يُراد أخذ رأيي فيها، أو في حالات نفسية أو سياسية أو قضايا فقهية وما إلى ذلك. أشعر ذلك الناس بأنّه ليس هناك أي حاجز بينهم وبيني. طبعاً أنا لا أريدُ تسجيل موقف سلبي على الآخرين، لكن ربما كانت ظروفي من الناحية السياسية والعامة تسمحُ لي بذلك ولا تسمحُ للآخرين به. هذا بالإضافة إلى أني كنتُ أفكّرُ في أن الآخرين لا يمتلكون المستوى العلمي بما يرتفع عن المستوى الذي أمتلكُهُ، لا سيما أنّ لي ذوقاً أدبياً يقولُ الناس إنّهُ رفيع في فهم اللغة العربية، كما مارست الأدب والشعر والنثر منذ خمسين سنة. وأنا، منذ انطلاقتي في الكتابة، لم أكتب إلاّ في الأسلوب المعاصر. لم أكتب في الأسلوب التقليدي رغم أن دراساتي كُلّها كانت فيه. فضلاً عن أنني أمتلك أن أعطي الناس على مدى التحديات والأحداث الكبيرة ما اقتنعُ به من الرأي السياسي أو العلمي أو الأمور الاجتماعية بحيثُ يرون من خِلال مواجهة كُلّ حدث أن هناك ملاحقة له ودراسة إسلامية له في الشكل الذي يملأُ فراغهم.

لهذا، فكّرت في قبول المرجعية، وكنت أعرف من خلال رسالة، لم أحتفظ بها مع الأسف وردت إليَّ من قبرص ولم تحمل أي توقيع، وتقول إن رشحّت نفسك للمرجعية فسنهدِمُ وجودَك، ونشوّهُ صورتك وسوف نفضحك، إلى مثلِ هذه الكلمات. كنت أعرف ما سأواجه. لم أكن في ذلك الوقت في وارد المرجعية،

ولذلـك اعتبرت الرسالة خطّابـاً من سفيه، ولذلك لم أحتفـظ بها. وعندما انطلقت المرجعيـة، بدأ الكثيـرون يبحثُون عن الكلمات التي يمكِنُ أن تفسَّر بعكس معناها، أو عـن الآراء التـي تمتلك الجدّة في مواجهة اجتهـادات فقهية أو تاريخية أخرى، واندفعوا إلى العوام وأثاروا القضايا العاطفية ولا تزال المسألة تتحرّك.

۞ مولانا، بالنسبة إلى هذا الموضوع، هل قُلتَ إنك قبلتَ ترشيح نفسك؟

– لا، قبلـتُ ترشيـحَ الآخرين، ويعرف ذلك إخوانـي كلهم. لم أسعَ في أي خطّـوة تنظِّمُ هذا الوضع أو تدفـع نحوه. حتّى إنني، في رأيي، الفقهي كنتُ أقول عندمـا أُسأل أنّ من الممكن جدّاً، بحسب رأيي الفقهي، أن ترجع الناس إلى رأيي الفقهي أو أن ترجع إلى المجتهدين الآخرين.

لهـذا، لم أكـن مصرّاً علـى إدارة المسألة في الطريقة التي تُمثّـلُ طموحاً كأي طموح شخصي، إضافة إلى أنني رجعتُ إلى الله في ذلك من خلال الخيرة المستعملَة مـن السنّة والشيعة. والقضية فعل إيمان، فحين كنتُ في حيرة استخرتُ الله في ذلك وكانت الخيرة إيجابية.

۞ مولانا، عندما قبلت ترشيح الناس، كيف أخرجت هذا القبول إلى العلن؟

– بدأت أجيبُ عن الاستفتاءات الفقهية التي يجيب عنها المراجع والمجتهدون. وبـدأت أتدخّل فـي مسألة ترخيص المؤمنيـن في مسألة حقوقهـم الشرعية في نسبة أو فـي أخـرى. وأصدرت أول كتاب فقهي باسـم «المسائل الفقهية» بجزئيه قبل أن أصـدر «الرسالـة الفقهية المستقلة»، حيثُ علّقتُ على رسالة السيّد محمد باقر الصدر «الفتاوى الواضحة»، وأدخلتُ فيها الفتاوى التي اختلف معها ونُشرت بعد ذلك. ثمّ ألّفت كتابي «فقه الشريعة» بأجزائه ومجلّداته الثلاثة التي تحمل آرائي الفقهية. وبدأتُ أمارسُ المرجعية من خلال علاقة الناس بي وعلاقتي بالناس. وقد حاولتُ أيضاً أنْ أحـدِّثَ الوسيلة بفتـح صفحة على الإنترنت تتقبّل أسئلة النـاس من كل أنحاء العالم، وتُلبّـي حاجاتهـم إلى الاطلاع على خطّبـي ومقابلاتي وآرائي وأفـكاري. وحسب الإحصـاءات التـي تقدّمها شركة الإنترنت، تبيّن أنّ هنـاك مليوني زيارة في الشهر لهذه الصفحة ولعلّها أكبر الأعداد سواء للمرجعيات أو غيرها الشيعية والإسلاميّة.

كان طموحي هو كيف أؤدّي رسالتي الإسلاميّة، ولم تكن المرجعية طموحاً لي، ويمكـن أن أؤديها من الناحية الثقافيـة والسياسية والاجتماعية والتربوية والوعظيّة. كان هـذا هـو همّـي الكبير ولم تكـن المسألة منطلقة مـن ذاتيّة ما. فأنا لـم أكن أجِدُ

ضرورة فوق العادة أن تقدِّم فتاواك التي تقتربُ من فتاوى المراجع الآخرين كما تقتربُ فتوى مرجع من آخر. لقد قبلتُ ذلك انطلاقاً من المذكور سابقاً وهو إلحاحُ الناس، وواجهتُ الكثير من المواقف المثنية من علماء كبار ومثقفين من المسلمين الشيعة، وكانوا يقولون أنت أكثر علماً مِمّن رشّحتَ من أسماء.

۞ مولانا، لنبدأ بردود الفعل على قبولك المرجعية. أوّلاً إيران إذا كان موقفها عملياً من مرجعيتك؟

– من الطبيعي أن تتحرك الخطوط في نطاق الإحساس بخطّورة هذه المرجعية، سواء من المرجعيّة الإيرانية الرسمية أو من مرجعيّات أخرى بمن في ذلك مرجعيّات النجف. فقد بدأت الحملة بشراسة غير معقولة وراحت تشكّك في الاجتهاد أو الأعلميّة، أو ترفض الاجتهاد أو الأعلمّية أو تثير بعض الجوّانب في العقيدة كما في الموقف من الأئمة من أهل البيت (ع) أو الأنبياء. ونُسِبت إليَّ أشياء لم أقُلها، فحرَّفوا كلامي وفسّروه بعكس معناه، ودُبلِجت الكثير من الأشرطة. استغلّوا الجانب العاطفي عند الناس، واستخدموا كُلّ الوسائل، من كُتُبٍ تتحدَّث عن «أضاليلي»، وفاكسات كانت تُرسل إلى كُلّ مكانٍ في العالم. كما استخدموا الخطباء الذين كانوا يُرسلونهم في عاشوراء وأيام شهر رمضان، فيدفعون لهم المال ليتحدّثوا عني أمام الناس في شكل سلبيّ. هكذا بدأت الحملة وتطوّرت عندما بدأت المرجعيّة تأخذ مواقعها في هذا المجال، ووصلت المسألة إلى لبنان من خلال «حزب الله» الذي تبنّى هذا الموقف بقساوة وشدّة بأكثر ممّا تبنّاه الآخرون، وفي أكثر من حادثة وموقع. وتبنّاه جمهوره طبعاً، والمعروف أن الجمهور يُمثِّلُ أكثر من موقع من المواقع المسؤولة.

۞ في هذا الموضوع، مولانا، نحنُ نعرِفُ أن الكثير من جمهور «حزب الله» كان مُقلِّداً لك؟

– ولا يزال، لكنّ بعضهم يستعملُ التقيّة، لأنه يخشى على نفسه إذا أعلن ذلك كما حدَّثني البعض. فهم قد يرون أنفسهم منسجمين بل مؤمنين بولاية السيّد الخامنئي (حفظه الله) ويجدون أنّ أيّ مرجعية حيّة، لا سيما في لبنان الذي هو موقع حركيّة مرجعية السيّد خامنئي ولا سيما في المنطقة العربية، قد تسيء إلى الولاية وتشكّل خطَراً على الإسلام الحركي والجهادي وما إلى ذلك. فالناس عندما يرتبطون بالوليّ الفقيه فإنّهم يلتزمون خطّ المقاومة بينما إذا ارتبطوا بخطّ آخر،

فإنّهم لا يلتزمون هذا الموقع. وهذا قد يُسيءُ إلى موقع المقاومة...

۞ مقاطعاً: لكنّ سماحتكم، مولانا، أب المقاومة والحركيّة الإسلاميّة؟

- صحيح. لكنّ الأبوّة التاريخية ليس لها موقعٌ في امتداد الأبوّة عندما تشتبكُ الأمـور وتتداخل وتُـؤدّي إلى بعض السلبيَّات في حيـاة الأوّلاد. كما إن المجلس الشيعـي وَقَـفَ وقفة قاسية غير معقولـة في هذا المجال فنسب إلـيّ أشياء لم أقلها، وانطلـق كُلّ جهازه الإداري في هذيـن السبيل والمقام. وتحرّكت أكثر من جهة. وأنـا أتصوّرُ أن هذه الحرب المجنونة ربمـا استطاعت أن تُؤثّر في بعض الناس، لكنني أجِدُ أنها خسرت المعركة بنسبة ثمانينٍ في المئة. فأنا لم أدخل أي جدل حولَ هذا الموضوع، ولم أقُم بأي ردّ فعل، ولم أُصدرٍ أيّ فتوى أو فتاوى أمام الفتاوى التي أصِفها بالضّالّة المُضِلّة التي قالت إنني ضالٌ ومُضلّل...

۞ مقاطعاً: ولم تخرج عن الخط الإسلامي؟

- لـم أخرج عن الخط الإسلامي، ولـم أخرج عن دعم المقاومة وعن دعم الجمهوريـة الإسلاميّة في إيـران. كُلّ هذه المواقف أحرجت بعض الناس وجعلت خطّطهـم تفشـل لأنّ الناس قـد يسمعون شيئاً ويرون شيئاً آخـر، ولا سيما مع هذا الحضور الدائِم والمتحرِّك على مستوى العالم.

۞ هل تحدّثت مع المرجعيات في إيران في موضوع المرجعية بعدما أُعْلِنَتْ؟

- لا، لـم أتحدث مع أي مرجعيـةٍ أخرى، لأنه ليس من المألوف في التقليد المرجعي الشيعي أنْ يتحدّث أيّ شخصٍ في مسألةِ تصدِّيهِ للمرجعية مع أي مرجعية أخـرى كـي يأخذ بركتهـا أو رأيهـاً. إذ إن طبيعة المرجعيـات، بالمعنى الرسمي للمرجعيـة، قد تجعـل كُلّ واحدٍ منهم يرى نفسَهُ في الموقـع نفسه. لكنّ هذا الأمر جرى الحديث فيه مع بعض الفاًعليات الحوزويّة في إيران وغيرها.

۞ هل وجدت عند الفاعليات الحوزويّة تقبُّلاً لمرجعيتك؟

- بعض الفاعليات التي تمتلك بعض الثقة في الكفاءة يرى أن هناك ضرورة في هذا التصدِّي لأنه يُعطي إطلاقة جديدة للطروحات المرجعية في ما يُمثل مستوى حاجـة الجيـل الجديد إلى مَن يمـلأ الفراغ، ويجيب عن علامـة الاستفهام التي قد تواجهه ممّا لا تتعدّى المرجعيات التقليدية إليه. ولهذا، فقد وجدْتُ تشجيعاً من كثيرِ من الفاعلِيات مِمّن يُطلِقُ عليهم في الحوزة اسم الفضلاء في المستوى العلمي. ولعلّ

هؤلاء شجّعوني على مستوى الضّغط في التصدّي وقبول الطلبات التي وجّهت إليَّ للسير في هذا الاتّجاه.

۞ مولانا، مـن داخل النظـام الإيراني هـل نَصَحَـكَ أحدٌ في شـكل مباشر بالإقلاع عن هذا الموضوع؟

– لقد تحدّث إلينا بعضُ أصدقائنا من داخل جسم النظام ومن الفاعليات الكبيرة فيه. سألوني قبل أن أتصدّى لهذا الأمر: «هل لديك استعداد لأن تطرحَ نفسك أمام ما أُعلِن في ذلك الوقت من طرح السيّد الخامنئي للمرجعّية»؟ فأجبتُ: «ليس عندي مشـروعٌ في هذا الاتجاه، لكـن إذا رأيت أنّ هناكَ مصلحة للإسلام فيه فإنني أقبلُه إذا طُرَحَـه علـيَّ المؤمنون». كان ردُّ فعل أحد هـؤلاء أنّهُ أطلق تحذيراً لي حول هـذا الموضـوع، وإن بطريقة المحبّة وأسلوبها. قـال: «أنت من الشخصيات التي تمتلك امتداداً في المجتمعات ونحنُ نحبُ لك الخير، ونخشى أنك إذا طرحت نفسك فـي هذا الجانب فإنّـك ستواجِه حملة عنيفة جداً تُصغِّرُ موقعـك وتشوِّهُ صورتك». واستشهد على ذلك بما أثير حولي في المسألة التي تناولت قضية تاريخية هي مسألة الهجـوم على بيـت فاطمة الزهراء بنت الرسول، صلوات اللـه وسلامُهُ عليها، إذ أثيرت تحفّظات تاريخية حول هذا الموضوع، وبدأت هجمة استغلّت عاطفة الناس ومشاعرهم وعاطفتهم وغرائزيتهم. أثار هذه المسألة مؤكداً أنه «سيحدُثُ لكَ أكثر من ذلك». فقلتُ له: «أحبُّ أن أقولَ لك إنّ الجمهور المثقّف الشيعي ربما يجدُ في الأفـكار الجديدة حافـزاً على أن يرتبط بي أكثر. فقد اتصل بي بعض الأشخاص، عندمـا أثيـرت هذه المسألة، معتبراً أن موقفي يُمثِّـلُ طابعاً من حريةِ الفكر، وقالَ لي إنني أُريدُ أن أرجع إليك بالتقليد انطلاقاً من هذا». وقلتُ له أيضاً: «كُلّ الشيعة لا يتحرّكـون بطريقةِ الغوغاء أو بالوسائلِ العاطفية الغرائزية الانفعالية. ثانياً، إن حساباتي ليست معكم بل هي مع الله، وأنا أعتقدُ أن الله إذا عرف مني الإخلاص فـي موقف، فلـن يخذلني». ولم يُعلِّق على شيء بعد ذلك. ثم جاءَني شخصٌ آخر أقـلّ منْـهُ رتبة ولكنّه يتحرّكُ في السياق نفسه، وقال لي: «الناس تدفع لك الحقوق الشرعيـة من كل الاتجاهات، سواءٌ مَـن يُقلِّدُ هذا المرجع أو ذاك المرجع. وربما إذا طرحـت نفسك مرجعاً فان الموارد سـوفَ تضيقُ عليك لأن المواقف الإيجابية سوفَ تتحوَّل إلى مواقف سلبية». ولم أُعلِّقْ على هذا الكلام.

كانت هناك ضغوطات عدة وهي بمثابةِ رسائِل. وقد سأل بعض الناس الذين

لهم ارتباطات بعدد من هذه المواقع، أحد تلاميذي: «هل إن في تفكير السيّد فضل اللـه أن يطـرح نفسه في مسألة المرجعية»؟ فأجابه «أن «فلاناً» يقول إنّهُ إذا كانت هناك مصلحة للإسلام فإنّه لا يُمانِعُ في ذلك». فكان الردّ «في هذه الحال سنواجه مشكلةً لأننا أمام بعض الأسماء المنافسة أو المضادة قد نقول إنّهم ليسوا ثوريّين، أو إنّهـم ليسوا مؤيّدين للجمهورية الإسلاميّة أو انّهم ليسوا على عِلم. لكنّنا لن نستطيع أن نتحـدّثَ عـن السيّد فضل الله في هذه الطريقة، ولذلك فسوف يُثيرُ أمامنا مشكلة في هذا المجال».

لاحظتُ بعد ذلك أن الحملة اشتدت وكان مركزها الرئيسي في إيران.

۞ هل كنتم تتوقّعون أن تصل الحملة إلى هذا المستوى؟

– لـم أكـن أتوقّع شيئاً من ذلك، لأنني انطلقت في المسألة تلقائياً من دون أن تكون، كما ذكرت في حديث سابق، طموحاً شخصياً أخطّط لإنجاحه بالوسائل التي تقِـفُ في مواجهة الأمـور والحملات المضادة. لكنني كنـتُ أشعرُ بالمناخات التي تتحرّك فيها مرجعية هنا ومرجعية هناك، كما ربما حصل لمرجعية عربية ووُجهِتَ بقساوة شديدة في البداية هي مرجعية السيّد محسن الحكيم، إذ كان هناك مَن يرى أن المرجعية تقتصر على الإيرانيين وانّهُ ليس للعرب دورٌ فيها، وذلك لاعتبارات متعـددة ربمـا يُخضِعها بعض الناس لمصالح إسلاميـة أو ما أشبه ذلك. كنت أشعر بأننـي قـد أتعرض إلى شيء من هذا. كنت أتصوّرُ أن المسألة سوف تواجهُ بعض التعقيدات، لكنني لم أتصوّر أن يصِلَ الأمر إلى هذا المستوى من فقدان أيةِ ضابطة علميـة أو إنسانيـة بحيث خُيِّلَ إليّ كما خُيِّـلَ إلى الكثيرين من الناس أن هناك حملة مخابراتيـة كبيـرة جدّاً تحاوِلُ أن تُثير هـذه المسألة في هذا المستوى، إن من جهة موقعي في مواجهة إسرائيل والاستكبار الأميركي أو من جهة إثارة حملة من الفتنة فـي العالم الشيعي وفي إيران بالذّات. وقـد كتب بعض المثقفين من العلماء، وهو السيّـد خِسْروشاهـي في صحيفته التي يُصدِرُها فـي «قُمْ» وهي صحيفة «بعثت» أن الكونغرسـ الأميركي قد حدّد عشرين مليون دولار لمحاربة النظام داخل إيران، وكان يتساءل: هل إن هذا المبلغ قد وصل بعضه إلى إيران ليُساهم في هذه الفتنة؟

مـن الطبيعي أنني لا أمتلك أي معلومـات أو معطيات أستطيع من خلالها أن أُثبِـت هـذا في طريقة شرعية. لكـن المناخ الذي أوجدتهُ هـذه الحملة والأشخاص الذيـن تحرّكوا فيها جعلونـي أشعر بأن الخلفيات التي تختبـئ وراءَها ليست عادية

لأنهـم استخدمـوا كُلّ شيء، من الجانب العاطفي المتصل بأهل البيت (ع) وتحدّثوا أنّنـي ضِدّهم وضِـدّ التشيّع، وبدأوا يبحثون عن الكلمات التي يمكنُ أن تحتمل أكثر مـن معنـى، وعن تقطيع بعض الكلمات، وعن الكذب في نسبة بعض الأشياء التي لـم أقلهـا معتمدين علـى أن الناس لا يقرأون حتّـى إنهم كانوا يُقدّمـون أسئلة إلى الشخصيـات المعروفـة في الحوزة العلمية في «قُمْ» أو النجف من نوع: «ما رأيكم فـي مَن يقولُ كـذا». ومن الطبيعي أن يكون الجوّاب أننـي قلتُ هذا، مع أنني لم أقلْه ولم أقل مثله. وقد أصدروا كتاباً بعنوان: «الحوزة العلمية تُدينَ الانحراف». وحاولوا تقديم بعض الإغراءات إلى بعض الشخصيات اللبنانية فحاولت أن تصدر كتبـاً حـول هذا الموضوع من قضية الزهراء وحول التقاط بعض الكلمات المُلْتَبِسَة أو التي فُسِّرت بغير معناها في بعضِ الكتب التي تحاولُ أن تتحدّث عن رأي سلبي حول الأنبياء هنا وهناك، واستُغلِّت كُلّ الأمور حتى الأشياء العادية بشكل غرائزيّ ومجنون. وقد دخل المجلس الشيعي الأعلى بقوّة مع هذه الحملة كما دخلت بعض المواقع في لبنان...

۞ نتيجة هذه الحملـة الشرسة التي كانـت نقطة انطلاقها إيـران ومركزها إيران، هل شعرت بأن النظام الإيراني كان في حاجـةٍ إليك استعملَك ثُمّ تركك، فأثار ذلـك لديك خيبة أمل ومرارة وربما اقتناعـاً بأن هذا النظام الإسلامي في النهاية هو مثل بقية الأنظمة؟

- مـن الطبيعـي أن شخصيـات النظام كانـوا ينكرون أن يكونـوا وراء هذه الحملـة، بـل ربّما كان إنكار لها يصـدُرُ عن بعضهم، بل ربمـا يصدُرُ من بعض كبارهم: «لماذا يُثيرُ فلانٌ الآراء التي تُصبِحُ موضعاً للجدل»؟ كأنّهم بذلك يحمّلونني أسباب هذه الإثارة، باعتبار أن آرائي التي أطلِقها تصدِمُ العامة من الناس أو تصدِمُ بعضَ الأمـور العاطفية الموجودة فـي الجوّ العام. لكنني قلتُ لهـم: «إذا كنتم في موقع المسؤولية العامة عن الشيعة فإن أقل ما يلزمكم هو أن تؤلّفوا لجنة كي تبحث: هـل أثرتُ أنا مثل هذه الأمـور في هذه الطريقة؟ وهل إن ما يُنسَب إليّ صحيح أو غيـر صحيح؟ أنتم ركبتـم الموجة أو انفعلتم ولم تُدقّقوا، مـع أن مسؤوليتكم كانت تقتضي أن تُدقّقوا. وقلتُ لبعضهم لو أن هذه الحملة التي وجهت إليّ كان المستهدف فيهـا بعضَ الشخصيات من داخـل النظام فهل كنتم تقفون هـذا الموقف السَّلْبي أو تسجِّلـون التحفظـات وترسمون أمام هذه القضية الموانـع التي تمنعكم من مواجهة هذه الشخصية التي قامت بفتوى معينة أو تلك الشخصية»؟ ثمّ قلتُ لهم: «لو أردتم

أن تقارنوا بين أي شخصية من شخصياتكم وبيني لرأيتم أنني أكثر فائدةً لكم من هذه الشخصيات من ناحية الامتداد في العالم». وطبعاً لم أجدْ جواباً مُقنعاً في هذا الموضوع. لكن كان هناك بعض العواطف.

وقد لاحظتُ أيضا، بين وقت وآخر، أن بعض الصحافة الإيرانية المحسوبة على بعض أعمدة النظام كانت تتخذُ موقفاً إيجابياً منّي، وكانت تتحدّثُ في شكلٍ سلبّي عن بعض الجهات المناوئة والمضادة ممّا يوحي أن هناك خطّوطاً، أو أنّ الموقف قد توازن بعد الحملة الإعلامية العالمية التي حاولت أن تُحمّل النظام الإسلامي في إيران مسؤولية هذا الموقف، خصوصاً أنهُ أثيرت مسألة «النجف وقُمْ» واعتُبِرتُ من الفريق المؤيّد لمرجعية النجف في مقابل مرجعية «قُمْ»، وما إلى ذلك من الكلمات التي استهلكها الإعلام...

أنا لم أُصَب في الواقع بخيبة أمل أمام هذا الحادث لأنني من الأساس لم أؤيد الثورة الإسلاميّة أولاً والجمهورية الإسلاميّة ثانياً من أجلِ الحصول على أي مكسبٍ شخصيّ. فأنا، وهم يعرفون ذلك، لم أطلب شيئاً، حتى وأنا أمتلك المشاريع الكثيرة، لم أطلب منهم أي مشاركة في هذه المشاريع. لذلك عندما أعلنتُ أن هذه المشاريع ليس لأي دولة، مهما كانت قريبة، دخلٌ فيها كنتُ أعني ما أقولُ. إذ إن إيران ليس لها أي دور فيها كُلّها في شكل مباشر أو غير مباشر. وكنتُ أعرف أن في إيران أكثر من خطّ، ومن الممكن جدّاً أن تجدَ خطّاً إيجابياً معك لتلتقي بخطّ سلبي ضِدّك، حتّى إنني كنتُ أسمعُ من فاعليات عدة أنها تعاني من الشخصيات التي قامت ببعض الحملات الفتوائية أو غيرها، وأن بعض الذين أصدروا الفتاوى ضِدّي هم في الموقع المضاد للثورة، أو على الأقل في الموقع المضاد للمرشد السيّد الخامنئي وما إلى ذلك... لهذا كنتُ أحِسُّ بالمرارة لا سيما عندما امتدّت المسألة من إيران إلى لبنان بما لا يمكِنُ أن يفسّره الإنسان إلاّ أنّهُ ينطلِقُ من إيحاءات ومن خطّةٍ معيّنة. ذلك أن ما حدث في لبنان وخصوصاً من الجهات التي لها علاقة حميمة بإيران لا يمكِنُ تفسيره كشيء ذاتيّ...

۞ مولانا، اعتمدت إيران في الحرب على مرجعيتكم على أكثر من فريق. فهناك «حزب الله»، الذي يمكِنُ أن يُفهم لأنّهُ في النهاية تحت رعاية إيرانية مستمرّة. وهناك أناس لم يكونوا معروفين، سواء في المجلس الإسلامي الشيعي أو خارجه، فما هي دوافعهم؟

- الواقـع إن المجلـس الشيعـي لم ينطلق من خلفية إيرانيـة، لكنّه التقى معها واستفاد منها. وبل انطلق من بعض التعقيدات الشيعية اللبنانية التي حاولتُ أن أقوم بحلِّهـا بمختلف الوسائل ولـم أستطع ذلك. حتى إن الجمهور الذي كان يحيُط بهذه المؤسسة كان يُوزّع الكتبِ التي لا يُؤمِنُ القيِّمُ على المؤسسة بمضمونها لأنّها تُمثِّلُ التخلّف وهو لم يكن رجلاً متخلّفاً. لكنَّ ظروفاً عامة وخاصة اختفت وراء ذلك.

✿ حتّى توزيع هذه الكتـب والمناشيـر كان يتم في مناطق لـم يكن أنصار المجلس الشيعي يصِلُون إليها في السابق، مِمّـا يعني أن حماية مباشرة من «حزب الله» كانت مؤمّنة للموزّعين.

- لقـد قلـتُ إنها التقت مع عـدّة مواقع متنوّعة وربما كانـت متضادة، التقت باعتبار أن المصيبة واحدة، إن صحَّ التعبير.

✿ هذه الحملة في لبنان، هل قادها «حزب الله» بصراحة، مولانا؟

- «حـزب الله» يُنكِرُ في قيادته أنّـهُ قادها، ولكن عندما يدرسُ الواقع، فإنّه يرى أنّ كُلّ موقعٍ من المَواقع ينطِقُ بذلك.

✿ متى بدأت تشعرُ في لبنان بأن «حزب الله» ينسّقُ هذه الحملة؟

- مـن الطبيعي أنّـهُ كانت هناك بعض الحساسيـات من خلال الاختلاف في المرجعيـة التي كنتُ أدعمها أمام المرجعية التـي يدعمها قادة «الحزب». لكنّها لم تكن في هذا الشكل الصّارخ. وعندما طُرِحت مرجعيّة السيّد خامنئي كان ذلك القشّة التي قصمت ظهر البعير.

✿ نُقِلَ عن البعض فـي «حزب الله» أن الحـرب التي أُعلِنـت عليك والتي شارك فيها، هي حرب وقائية. وقائية من ماذا؟

- يمكنُ أن يُسأل الذي تحدّثَ عن ذلك.

✿ كانوا يدعونك في استمرار إلى تأبين الشهـداء والصّلوات وغيرها، هذه أمور لم تعد تحصُل.

- الواقـع أنني امتنعـتُ عن كُلّ هذه الأمور بالنسبة إليهم وإلى غيرهم. يعني كنـتُ أبـادرُ في كثير من الحالات إلى حضور الاحتفالات وقد دعيتُ إلى بعضها. علمـاً أننـي تركتُ منذُ مـدّة كُلّ حفلات التأبين والصّلاة علـى جثامين الشهداء وما

إلى ذلك. ومن الطبيعي أن ذلك خفّف الإحراج عن بعض الناس في هذا المجال.

✿ مولانا، تحدثّنا المـرة الماضية في هذا الأمـر. كان مقلدّوك من «حزب الله» يتجاوزون خمسين أو ستين في المئة من أعضائه ومناصريه، بعد الحملة عليك هل لجأ هؤلاء كلهم إلى التقية؟

- حدّثني بعض الناس أنهم استعملوا التقيّة في الإعلان عمّن يُقلّدون...

✿ هل بدأوا يفرضون على محازبيهم عدم تقليد السيّد فضل الله؟

- يريـدون من محازبيهم أن يرجعوا بالتقليد إلى السيّد خامنئي، لأن تقليدهم لـه يجعلهـم ينسجمون مع موقـع الولاية بحسب تعبيرهم الذي يمتـد من إيران إلى أصغـر مسـؤول في «حزب اللـه»، بينما إذا رجعوا إلى غيـره فربّما لا يتقيّد ولا يلتزم ما يريدون إلزامه إيّاه سواء في العمل السياسي أو الأمني أو العسكري.

من الممكن جدّاً أن تكون المسألة منطلقة من طبيعة القاعدة التي يرتكزُ عليها «الحـزب»، وهـي قاعدة الولايةِ التي تفرِضُ على كُلّ محازب أن يلتزِمَ بما يؤمَرُ به من دون مناقشة باعتبار أنه يُمثِّلُ التكليفَ الشرعي. وربّما كان هذا هو الأساس الـذي جعلهـم لا يوافقون على أي مرجعية حتّـى المرجعّيات الأخرى، وإن كانوا لا يتخّـذون هذا الموقف الحادّ من المرجعيات الأخرى. لكنّ المبدأ هو المبدأ. فهم يريدون للأشخاص الذين ينتمون إليهم أن يلتزموا الولاية التزاماً مطلقاً، وإذا كانت الولايـة في إيران تفرِضُ الولاية في لبنـان لجهة القيادة أو لجهة معينة، فإنّ ذلك يُفسِّرُ كُلّ المواقف.

✿ تلفزيون «المنار»، مولانا، كان يبدو أن أشخاصاً يظهرون على شاشته لهدف واحد هـو انتقادك. وكان يبـدو أيضاً أنه يقدّم بعضـ الشخصيّات المناوئة لك.

- هـذا لـم يكن بـارزاً في شـكل واضح. كانت تُقـدِّم الشخصيـات المضادّة أو بعضهـا. أعتقـدُ أن شخصيـات شيعيـة كبيرة فـي لبنان لم تكن فـي حاجة إلى مَـن «يطلعهـا» في التلفزيـون لأنها تتحدّث في أكثر من تلفزيـون في شكلٍ واضح وصريح... كما كان يتحدّث بعض الشخصيات الكبيرة سلباً من أكثر من تلفزيون عالمي.

لقد كان العملُ على الشارع كبيراً ولا يزالُ.

۞ مولانا، مرّ في الحركة الإسلاميّة التي أطلقتها وفي التيار الإسلامي أكثر من جيل، الأوّل أنت أطلقتــه. في اعتقادي أنّهُ لا يــزالُ وفيّاً لتيّارك وإن كان منضوياً في «حزب الله» لكنّه لا يُعلِنُ ذلــك. هناك جيل آخر يصعد، وهناك «حزب الله»، وحصلت مقاومة وتحريرٌ للجنوب. هذا الجيل الجديد يتربّى على أيدي أشخاص لديهم اختلاف مع مرجعيتكم. فهل تعتقد أنك لن تستطيع الوصول إلى الجيل الشبابي الجديد في الطائفة الشيعية كما وصلت إلى الجيل الماضي؟

- أعتقِدُ أنني لا أزالُ أعيشُ في وجدان الشارع الإسلامي في شكل عام، حتّى في شارع شباب «حزب الله». فهذا الحضور المتحرّك دائماً في حياة الناس، وفي الخطاب الإسلامــي المسجدي وغير المسجدي، وفي الأجواء الإعلامية، استطاع أن يفرضُـ نفسَــهُ. ولذلك فإنني أواجهُ في المدّة الأخيــرة الكثير من الكلمات التي تطلـبُ مني المسامحة والسّماح بشكل لافت للنظــر. أتصوّر أن الحملات المضادة فــي شــكل عام، سواء فــي لبنان أو في غيره، لــم تستطع إخراج هــذا الاسم من الوجــدان الإسلامي في شكل عام والوجــدان الشيعي في شكل خاص، باعتبار أنه صعب جدّاً، أن تخرج اسماً وشخصاً أدمنه الناس على مدى خمسين سنة، لا لأنّه يُمثِّلُ عبقرية أو مستوى فوق العادة، بل لأنّه يتحرّك في الساحة بمختلف الأساليب خطّأ أو صواباً، سلباً أو إيجاباً. من الصعْبِ جدّاً أن تُخرجَهُ من وجدانِ الناس لأنّهُ لا بُــدّ أن يكــون قد تجذّر، وهذه هي مشكلة الآخريــن الواقفين في خطّ المواجهة. فهــم ركّزوا على أمور تجاوزها الزمن وتستطيــع الأجيال الطالعة، عندما تخرج مــن كُلّ هــذه الحمّى الغرائزية، أن تجِدَ في ما يطرحــه الآخرون معنى الخرافة، مِمّا لا يتقبّلُهُ جيلٌ جديدٌ يدرسُ في الجامعات وما إلى ذلك...